جـون فـانتي

22.9.2017

الطريق إلى لوس أنجلوس

رواية | ملحمة ارتورو بانديني

٢

ترجمة أماني لازار

كلاسيكيات أثر Athar Classics

الطريق إلى لوس أنجلس

الجزء الثاني من ملحمة آرتورو بانديني

رواية

جون فانتي

ترجمة

أماني لازر



الطريق إلى لوس أنجلس

الطريق إلى لوس أنجلس / رواية
جون فانتي
ترجمة: أماني لازر

الطبعة الأولى 1438 / 2017
ردمك 6-52-880-9938-978



دار أثر للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الدمام
تلفون: 00966505774560
الموقع الإلكتروني: www.darathar.net
البريد الإلكتروني: info@darathar.net

مقدمة

منذ وقت ليس ببعيد كنت في متجر لبيع الكتب في لندن حيث كان العديد من الكتاب منهمكين في التحدث عن براعتهم. تأوه هؤلاء وانتحبوا وفعلوا عموماً ما في وسعهم كي يظهروا للجميع مدى أهميتهم، تجهمت وجوههم عندما وضحوا تماماً العمل الشاق الصرف الذي يستلزمه خلق الأدب العظيم. تمنيت لو أنهم يذهبون ويحصلون على عمل مناسب، وذهبت لتناول مشروب مع صديقي القديم كيفن، الذي عرفني منذ سنة على كتابة جون فانتي. لو كان فانتي جالساً مع هؤلاء الكتاب الآن لكانت الأمور مختلفة. قد يتوجه إلى الحانة أيضاً، لكن سيصنفهم أولاً . هل كان مؤلف"داجو الأحمر"و"أخوَّة العنب" قادراً على تحمل عواء هؤلاء الأشخاص المتكبرين المعتدين بأنفسهم؟ أشك في ذلك. قد يقترح عليهم عملاً في مصنع تعليب الأسماك حيث يعمل آرتورو بانديني في الطريق إلى لوس أنجلس. حر خط الإنتاج الشديد ورائحة أحشاء السمك قد يظهر لهؤلاء الأعزاء، كما ظهر لبانديني، ما يعنيه العمل الشاق حقيقة. بعد مرور أكثر من خمسين سنة على كتابة فانتي لهذه الرواية، إحدى موضوعاتها-صلة الأدب الوثيقة بالناس العاديين-كانت تؤدى في لندن القرن الواحد والعشرين.

الكتب عن الكتَّاب تشبه الأفلام عن المخرجين. رتيبة بشكل عام ومتساهلة، تظهر أن الكاتب لم يكن يملك سوى القليل ليقوله عن الحياة، وأن ما كان يجب أن يكون رسالة أصبح عملاً، سحق الشغف بهاجس

البنيان. إنه الفرق بين الرغبة في أن تكون كاتباً وأن ترغب في الكتابة. عدا عن فانتي، الكاتب الوحيد الذي قرأت له واحترمته والذي تثير شخصياته الاهتمام في الكتابة هو تشارلز بوكوفسكي، ومن ثم في الخلفية، ربما سيحدث يوماً ما شيء، لأن ما يجري الآن كثير، من يرغب في الجلوس أمام آلة كاتبة، وماذا في ذلك إذا لم يحدث؟ من المعروف أن بوكوفسكي تأثر بفانتي على نحو كبير، لأن كتب الرجل الأكبر سناً منحته الثقة التي احتاجها، مظهرة أن ليس على الأدب أن ينتمي إلى الحياة الأكاديمية.

الطريق إلى لوس أنجلس هي كتلة دوارة من العواطف. لفانتي أسلوبه، لكن هذه الشخصية الخيالية، آرتورو بانديني، ليست كذلك. شاب متباكٍ يتسلى بقتل الحيوانات، يسلب أمه ويضرب أخته، إنه فتى مسكين لا يبدي سوى القليل من التكافل مع من حوله. يقتنع بأن عالم الأغنياء مرير ويخفي تقلقله بالشتائم. يقايض معاناته من تلقيبه باسم " داجو " بإيذاء زملائه العمال من الفلبينيين والمكسيكيين، قائلاً لهم إنه كاتب ومتفوق علاوة على ذلك. إنه ضعيف. لكن فانتي ذكي. هو يمنح باندينى الظُرف، وهذا ينقذ الشخصية. أنت تبدأ بالإعجاب به ثانية، على الأقل حتى الاندفاعة التالية. هو يتخيل أنه متفوق، وعندما يتحدث يستعمل كلمات معقدة لايفهمها أحد، مقلداً الطريقة التي يظن أن الكتاب سيتحدثون بها. إنه مغرور ومتعجرف والناس يسخرون منه.

يدل فانتي بقوة من خلال باندينى، على الفقر، والعِرق، والأدب. بينما يهيم باندينى على وجهه، يكتب فانتي بأسلوب بسيط، كل كلمة محاطة بعشر كلمات غير مكتوبة. إنه تضاد حاد. إنه يلوع باندينى، يجعل الفتى يتصبب عرقاً، وفي نفس الوقت يلعب بالقارئ. يعترف باندينى، في لحظة طائشة، بأنه قرأ "للسادة" لكنه يجدهم مملين، لأنه لم يفهم عما يتحدثون عنه. لقد

فعلت هذا بنفسي. لقد قيل لنا إننا شديدو الحماقة فليس في وسعنا أن نفهم ما يتحدث عنه العباقرة، بينما في الواقع ليس هناك سوى القليل ليفهم. يأتي فانتي صارخاً خلال النص، مبيناً الطريق. الطريق إلى لوس أنجلس هي الأدب الأمريكي في أفضل حالاته، متجاهلة القواعد، تعج بالاختلاف والتخيل. هي لا تنتمي إلى أدب جماعة "البيت" أيضاً، لكنها تنتمي إلى كتابة بوكوفسكي الأكثر حزماً، وودي جوثري، هوبرت سيلبي جونيور. إنها تصور روح موضوعها، عالم إيطالي من الجيل الثاني يحب أمريكا لكنه يرى نفسه مواطناً من الدرجة الثانية، داجو. يمكنك أن تشعر بحرارة كاليفورنيا الجنوبية، الكفاح للبقاء على قيد الحياة، الأحلام، الحضور المستمر للدين.

الطريق إلى لوس أنجلس ستدهشك. هذا ما يتوجب على الروايات الجيدة أن تفعله. مزج فانتي الخيال مع الواقع، وهذا صحيح، لأن الواقع هو نصف الخيال بأية حال. هذا كتاب معقد، ولو أن أسلوبه ليس كذلك، وهو يستحق القراءة مراراً وتكراراً. يطرح في كل مرة مزيداً من الأسئلة. إنه صعب، مريح، مضحك، وحزين. سيجعلك غاضباً ومسروراً. وأكثر من أي شيء، هو كتاب صادق، وهذا نادر بل أكثر ندرة في هذه الأيام. الشخصيات ليست مثالية وما من أبطال. إنها رواية صادقة حتى أن مخطوطتها رفضت في الثلاثينيات ولم تنشر حتى العام 1985، بعد سنتين من وفاة الكاتب. الطريق إلى لوس أنجلس كلاسيكية ضائعة، تم العثور عليها الآن وأعيد نشرها، السرور لائق اليوم كما كان عندما كتبت لأول مرة.

جون كينج، نيسان 2000

الفصل الأول

كانت عائلتنا فقيرة ووالدي متوفى لذلك عملت عدة أعمال في مرفأ لوس أنجلس. كان أولها حفر الخنادق بعد وقت قصير من نيلي شهادة المدرسة الثانوية. كان النوم يجافيني كل ليلة من شدة الألم في ظهري. كنا نحفر حفرة في ساحة فارغة، لم يكن هناك أي ظل، الشمس تسطع مباشرة من سماء صافية، وكنت تحت، في تلك الحفرة أحفر مع شخصين ضخمي الجثة يحفران بحب، يضحكان دوماً ويرويان النكات، يضحكان ويدخنان تبغاً لاذعاً.

بدأت بحدة وضحكا قائلين إنني سأتعلم شيئاً أو اثنين بعد حين. ثم أصبح المعول والمجرفة ثقيلين. مصصت بثوراً مفقوءة وكرهت هذين الرجلين. ذات ظهيرة كنت متعباً فجلست ونظرت إلى يدي. قلت لنفسي: لماذا لا تترك هذا العمل قبل أن يقتلك؟

نهضت وطعنت الأرض بمجرفتي.

" يا أولاد"، قلت." أنا انتهيت. قررت قبول عمل مع هيئة المرفأ".

بعد ذلك عملت في غسل الأطباق. نظرت كل يوم من ثقب في نافذة، ومن خلاله رأيت أكداساً من النفايات يوماً بعد يوم، وذباباً يئز، وكنت مثل ربة منزل عند كومة من الأطباق، تنتفض يداي كلما نظرت إليها تسبح مثل سمكة ميتة في ماء مزرَق. كان الطاهي السمين هو الرئيس. خبط المقالي وجعلني أعمل. سعدت عندما حطت ذبابة على خده الكبير ورفضت أن تغادر. عملت في هذا العمل مدة أربعة أسابيع. آرتورو، قلت لنفسي،

مستقبل هذا العمل محدود جداً، لماذا لا تغادر الليلة؟ لماذا لا تقول لذلك الطاهي أن يضاجع نفسه؟

لم أستطع الانتظار حتى حلول الظلام. خلعت مئزري في منتصف أصيل آب ذاك، وأمامي جبل من الأطباق القذرة. وكان عليَّ أن أبتسم.

" ما المضحك؟" قال الطاهي.

" أنا انتهيت. انتهيت. هذا هو المضحك".

خرجت من الباب الخلفي، رنَّ جرس. وقف يحك رأسه وسط القمامة والأطباق المتسخة. ضحكت عندما فكرت في كل تلك الأطباق، لقد بدا مضحكاً للغاية دوماً.

أصبحت خادماً على شاحنة. كان كل ما فعلناه نقل صناديق المناديل الورقية من المخزن إلى متاجر بقالة المرفأ في سان بيدرو وويلمنجتون. صناديق كبيرة، مساحة كل واحد منها ثلاثة أقدام ويزن خمسين باونداً. ليلاً أتمدد في سرير أفكر فيها وأتقلب.

قاد رئيسي الشاحنة. كانت ذراعاه موشومتين. ارتدى قمصان polo صفراء ضيقة. بعضلات منفوخة. لاطفهما كما يلاطف شعر فتاة. أردت أن أقول أشياء قد تثير تبرمه. كانت الصناديق مكومة في المخزن، تعلو نحو السقف بارتفاع خمسين قدماً. طوى الرئيس ذراعيه وجعلني أجلب الصناديق إلى الشاحنة. كومها. آرتورو، قلت، عليك أن تقرر، بدا قاسياً، لكن ما همك؟

وقعت ذلك اليوم وضربني الصندوق على معدتي. نعر الرئيس وهز رأسه. جعلني أفكر في لاعب كرة قدم جامعي، تساءلت وأنا ممدد على الأرض لمَ لمْ يرتد طرَّة على صدره. نهضت مبتسماً. تناولت الغداء ظهراً

ببطء، أتألم حيث أصابني الصندوق. كان الجو بارداً تحت المقطورة وكنت مستلقياً هناك. مرت ساعة الغداء سريعاً. خرج الرئيس من المخزن ورأى أسناني مغروزة في الشطيرة، والدراق من أجل التحلية لم يُمس إلى جانبي.

"أنا لا أدفع لك كي تجلس في الظل"، قال.

زحفت ونهضت. كانت الكلمات جاهزة هناك.

" أنا مغادر"، قلت." يمكنك أنت وعضلاتك الحمقاء الذهاب إلى الجحيم. أنا انتهيت".

" جيد"، قال." آمل ذلك".

" أنا انتهيت".

" شكراً لله على ذلك".

" هناك أمر آخر".

" ماذا؟"

" أعتقد أنك ابن عاهرة ناضج".

لم يمسك بي.

بعد ذلك تساءلت عما حدث للدراق. تساءلت فيما إذا داس بكعبه عليه. مرت ثلاثة أيام ونزلت لأستقصي. الدراق لم يمس إلى جانب الطريق، تولم مئة نملة عليه.

ثم حصلت على عمل كموظف في بقالة. كان الرجل الذي يدير المتجر إيطالياً له كرش مثل قفة خبوب. عندما لم يكن توني روميرو مشغولاً كان يقف عند وعاء الجبن يقطع قطعاً صغيرة بأصابعه. كان عمله جيداً. تعامل

أهل المرفأ مع متجره كلما أرادوا الحصول على طعام مستورد.

ذات صباح تهادى ورآني أحمل كراسة وقلماً. كنت أعد قائمة بالجرد.

" جرد، " قال. " ما هذا؟ " قلت له، لكن لم يعجبه. نظر من حوله. " اذهب إلى العمل "، قال. " اعتقدت بأني طلبت منك أن تكنس الأرض أولاً كل صباح ".

" هل تعني أنك لا تريد أن أقوم بالجرد؟ "

" لا. اذهب إلى العمل. لا نريد جرداً ".

كان هناك دفعة كبيرة من الزبائن يومياً عند الساعة الثالثة. لقد كان حجم عمل كبير يفوق طاقة رجل واحد. عمل توني روميرو بجد لكنه تهادى، عنقه يتصبب عرقاً، وغادر الناس لأنهم لا يستطيعون تضييع الوقت في الانتظار. لم يستطع توني أن يجدني. هرع إلى مؤخرة المتجر وضرب باب الحمام بعنف. كنت أقرأ نيتشه، وأستظهر فقرة طويلة عن الشهوانية. سمعت الخبط على الباب لكني تجاهلته. وضع توني روميرو قفص بيض أمام الباب ووقف عليه. دفع فكه الكبير من الأعلى ونظر إلى أسفل ورآني على الجانب الآخر.

" اللعنة يا يسوع المسيح " صرخ. " اخرج! " قلت له إنني سأخرج حالاً. ذهب بعيداً يزمجر. لكني لم أطرد لهذا السبب.

ذات ليلة كان يراجع إيصالات اليوم عند آلة تسجيل النقد. كان الوقت متأخراً، الساعة التاسعة تقريباً. أردت الذهاب إلى المكتبة قبل موعد الإغلاق. شتم هامساً وناداني. تقدمت. " تنقصني عشرة دولارات. "

قلت، " هذا مضحك ".

" ليست هنا ".

تفحصت أرقامه ملياً ثلاث مرات. كانت الدولارات العشرة ناقصة حقاً. بحثنا في الأرض، ركلنا النشارة. ثم نظرنا في درج النقود ثانية، أخيراً أخرجناه ونظرنا في داخل المعبر. لم نتمكن من إيجادها. قلت له ربما أعطاها لشخص ما بطريق الخطأ. كان متأكداً من أنه لم يفعل. نقب بأصابعه في جيوب قميصه. كانت مثل النقانق. ربت على جيوبه.

" أعطني سيجارة".

سحبت علبة من جيبي الخلفي، ومعها خرجت ورقة العشرة دولارات. كنت قد دسستها داخل علبة السجائر، لكنها أفلتت. وقعت على الأرض فيما بيننا. حطم توني قلمه حتى تشظّى.احمرّ وجهه،انتفخت أوداجه دخولاً وخروجاً. أعاد عنقه إلى الخلف وبصق في وجهي.

" أيها الجرذ القذر! أخرج!"

" حسناً"، قلت."افعل ما يحلو لك".

أخذت كتاب نيتشه من تحت النضد وتوجهت نحو الباب. نيتشه! ما الذي يعرفه عن فريدريك نيتشه؟ ضغط على ورقة العشرة دولارات ورماها لي." أجرك مقابل العمل ثلاثة أيام، أيها اللص!"

تململت. نيتشه في مكان مثل هذا!

" أنا مغادر"، قلت." لا تستثر".

" اخرج من هنا!" كان بعيداً مسافة خمسين قدماً.

" اسمع" قلت." أنا مبتهج لأني مغادر. أنا مشمئز من نفاقك الأخرق الذي يسيل به لعابك. كنت أريد أن أترك هذا العمل السخيف منذ أسبوع. فاذهب إلى الجحيم، أيها الإيطالي المحتال!"

توقفت عن الجري عندما وصلت إلى المكتبة. كان فرعاً لمكتبة لوس أنجلس العامة. كانت الآنسة هوبكنز في الخدمة. كان شعرها الأشقر طويلاً ومسرحاً بشدة. لطالما فكرت في وضع وجهي فيه لأشمه. أردت أن أتحسسه بقبضتي. لكنها كانت جميلة جداً وبالكاد يمكنني التحدث إليها. ابتسمت. كنت منقطع الأنفاس ونظرت إلى الساعة. "لم أظن أني سأتمكن"، قلت.

قالت لي إنه لا يزال أمامي بضع دقائق. نظرت من فوق المكتب وكنت مسروراً لأنها ترتدي فستاناً فضفاضاً. إذا استطعت أن أجعلها تمشي عبر الغرفة بحجة ما قد أكون محظوظاً وأرى خيال ساقيها وهما تتحركان. لطالما تساءلت عن شكل ساقيها تحت الجوارب اللماعة. لم تكن مشغولة. كان هناك رجلان مسنان فقط يقرأان الصحف. تفحصت كتاب نيتشه بينما كنت ألتقط أنفاسي.

" هلا أريتني قسم التاريخ؟" قلت. ابتسمت موافقة وتبعتها. كان ذلك مخيباً. لأن الفستان من النوع الخطأ، أزرق فاتح اللون، فلم يتغلغل الضوء عبره. راقبت انحناءة كعبيها. شعرت برغبة في تقبيلهما. عند قسم التاريخ التفتت وأحست بأني كنت أفكر فيها عميقاً. شعرت بالبرودة تسري فيها. عادت إلى المكتب. سحبت كتباً وأعدتها ثانية. لا تزال تحس بأفكاري، لكني لم أرغب في أن أفكر في شيءآخر. كانت ساقاها متصلبتين تحت المكتب. رائعتين. أردت معانقتهما.

التقت عينانا وابتسمت، قالت بابتسامة: تقدم وانظر لو تحب، لا شيء يمكنني فعله إزاء ذلك، بالرغم من أني أود لو أصفعك. أردت التحدث إليها. يمكنني أن أقتبس لها بعض الأشياء الرائعة من نيتشه، تلك الفقرة من زرادشت عن الشهوانية. آه! لكن لا يمكنني أبداً اقتباس تلك الفقرة.

رنت الجرس عند التاسعة. هرعت نحو قسم الفلسفة واختطفت كتاباً لا

على التعيين. كان كتاباً آخر لنيتشه: الإنسان والإنسان المتفوق. عرفت أن هذا قد ينال منها. قبل أن تدمغه، قلبت بضع صفحات.

" يا إلهي!" قالت. " أي كتب تقرأ!" قلت، " عجباً. ذلك لا شيء. لم أقرأ يوماً الهراء" . ابتسمت متمنية ليلة سعيدة وقلت: " إنها ليلة بديعة، بديعة على نحو سماوي". " هل هي كذلك؟" سألت.

رمقتني بنظرة غريبة، طرف القلم في شعرها. تراجعت، أتعثر عبر الباب وأتماسك. كان شعوري في الخارج أسوأ لأنها لم تكن ليلة بديعة بل باردة وضبابية، مصابيح الشارع مكفهرة في الضباب. كان هناك سيارة عند الرصيف ورجل عند المقود والمحرك يشتغل. كان ينتظر كي يعيد الآنسة هوبكنز إلى لوس أنجلس. ظننت أنه بدا مثل أبله. هل قرأ سبنجلر؟ هل يعرف أن الغرب كان يتراجع؟ ماذا كان يفعل بهذا الشأن؟ لا شيء! كان معتوهاً ونذلاً. إنه مدعاة للسخرية.

لفني الضباب، يبللني وأنا أسير قدماً وسيجارة تحترق. توقفت عند محل جيم في أناهييم. كان هناك رجل يتناول الطعام عند النضد. رأيته كثيراً عند أرصفة الميناء. كان محمل سفن يدعى هايز. جلست قريباً منه وطلبت العشاء. بينما كان يُحضر ذهبت إلى بسطة الكتب ونظرت في الكتب. كانت طبعة ثانية ثمن الواحد منها دولار. سحبت خمسة. ثم ذهبت إلى بسطة المجلات ونظرت إلى مجلة "فنانين وعارضات". وجدت اثنتين ترتدي فيهما النساء أقل ما يمكن من الثياب وعندما جلب جيم عشائي طلبت منه أن يصرهم. رأى كتاب نيتشه تحت ذراعي: الإنسان والإنسان المتفوق.

"لا"، قلت." سأحمله كما هو".

ألقيته على النضد بقوة. رمق هايز الكتاب وقرأ العنوان: الإنسان

والإنسان المتفوق. رأيته ينظر إليّ من خلال مرآة الطبق. كنت آكل قطعة اللحم. كان جيم يراقب فكي ليعرف فيما إذا كانت شريحة اللحم طرية. ظل هايز يحدق بالكتاب.

قلت: " جيم، هذا الغذاء هو حقاًمن قبل الطوفان". سأل جيم عن قصدي وتوقف هايز عن الأكل ليصغي. " شريحة اللحم"، قلت. " إنها بدائية مهجورة لقدمها، أحفورية وأثرية. باختصار إنها هرمة ومعمرة".

ابتسم جيم لأنه لم يفهم وتوقف محمل السفن عن المضغ، كان مهتماً للغاية.

" ما ذلك؟" سأل جيم.

" اللحم، يا صديقي. اللحم. هذا القوت الذي أمامي. إنه أشد قسوة من أنثى ذئب".

عندما رمقت هايز أحنى رأسه سريعاً. كان جيم منزعجاً بشأن الشريحة وانحنى على النضد وهمس بأنه سيكون مسروراً أن يعد لي واحدة أخرى.

هتفت متفاجئاً: " دعها يا رجل! إنها تحل محل أقصى تطلعاتي تبجحاً".

رأيت هايز يتفحصني من خلال المرآة. منشغلاً بي وبالكتاب. الإنسان والإنسان المتفوق. مضغت وحدقت أمامي مباشرة، بغير مبالاة. راقبني طوال الوجبة بانتباه. حدق مرة في الكتاب لوقت طويل بتركيز. الإنسان والإنسان المتفوق.

عندما انتهى هايز تقدم ليدفع فاتورته. وقف هو وجيم يتهامسان عند الصندوق. أومأ هايز. كشر جيم وتهامسا ثانية. ابتسم هايز وقال: ليلة سعيدة، وألقى بنظرة أخيرة علي من فوق أكتافه. عاد جيم.

قال: "أراد ذلك الرجل أن يعرف كل شيء عنك".

" حقاً!"

" قال إنك تحدثت مثل رجل شديد الذكاء".

" حقاً! من يكون، وماذا يفعل؟" قال جيم إنها لحمال جو هايز. " مهنة جبانة"، قلت. " موبوءة بالحمير والسذج. نعيش في عالم من الظربان وإنسان الغابة". سحبت ورقة العشرة دولارات. أعاد الباقي. عرضت عليه بقشيشاً قدره ٥٢ سنتاً لكنه لم يقبل. " لفتة جزافية،" قلت. " رمز للزمالة وحسب. أحب طريقتك في صنع الأشياء، يا جيم. إنها تستحق الاستحسان". أحاول أن أرضي الجميع".

" حسناً، أنا خالٍ من الشكوى، كما قد يقول تشيخوف." أي نوع من السجائر تدخن؟ " قلت له. أعطاني علبتين." على حسابي،" قال. وضعتهما في جيبي. لكنه لم يقبل البقشيش "خذه!" قلت." إنها مجرد لفتة". رفض. تبادلنا تحيات الوداع. حمل الأطباق المتسخة إلى المطبخ وتوجهت نحو الباب. عند الباب خرجت وتناولت لوحين من الحلوى من على الرف ودسستهما تحت قميصي. ابتلعني الضباب. أكلت الحلوى وأنا سائر إلى البيت. كنت مسروراً بالضباب لأن السيد هاجينز لم يرني. كان واقفاً في باب متجره الصغير لبيع أجهزة الراديو. كان يبحث عني. أنا مدين له بأربعة أقساط من ثمن مذياعنا. كان في وسعه أن يمد يده ويمسني لكنه لم يرني على الإطلاق.

الفصل الثاني

عشنا في شقة سكنية مجاورة لمكان يعيش فيه الكثير من الفلبينيين. كان التدفق الفلبيني موسمياً. توجهوا جنوباً حين موسم الصيد وعادوا إلى الشمال لمواسم الفاكهة والخس ضواحي ساليناس. كانت تسكن في عمارتنا- تحتنا مباشرة-عائلة فلبينية. كانت عمارة مؤلفة من طابقين من الجص الزهري اللون الذي تهدم عن الجدران بسبب الزلازل. كل ليلة تشرَّب الجص الضباب مثل ورقة نشاف. كانت الجدران في الصباحات بليلةً حمراء وليست زهرية اللون. أحببت لونها الأحمر أكثر. أطلقت الأدراج صرخات مثل تلك التي تند عن جحر للفئران. كانت شقتنا الأخيرة في الطابق الثاني. كنت أشعر بالذل حالما ألمس مقبض الباب. لطالما منحني البيت هذا الشعور. لم أحبه حتى عندما كان أبي على قيد الحياة وكنا نسكن في منزل منفصل. لطالما رغبت في الابتعاد عنه أو تغييره. كنت أتساءل عن ماهية شعوري لو كان المنزل مختلفاً، لكني لم أتمكن يوماً من معرفة ما عليّ فعله لأجعله مختلفاً.

فتحت الباب. كان البيت مظلماً، تفوح الظلمة برائحة البيت حيث أعيش. أضأت المصابيح. كانت أمي مستلقية على الأريكة وقد أيقظها الضوء. فركت عينيها ونهضت على مرفقيها. كان مرآها نصف مستيقظة يذكرني في كل مرة بأيام طفولتي عندما كنت أذهب إلى سريرها في الصباحات وأشمها وهي نائمة إلى أن كبرت ولم يعد في وسعي الذهاب إليها في الصباحات لأنها تذكرني كثيراً بكونها أمي. كانت رائحة زيتية مالحة. لم أحتمل التفكير أيضاً

في أنها تهرم. كوتني الفكرة. جلست وابتسمت لي، شعرها مشعث من النوم. كل ما فعلته ذكرني بالأيام التي عشتها في منزل منفصل.

" ظننت أنك لن تعود أبداً،" قالت. قلت: " أين مونا؟" قالت أمي إنها في الكنيسة. وقلت،" أختي مقتَصرة على خرافة الصلاة! لحمي ودمي. راهبة، محبة للرب! يا لها من وحشية!"

" لا تبدأ بهذا ثانية،" قالت." أنت لست سوى ولد يقرأ كثيراً من الكتب".

"هذا ما تظنينه،" قلت." من الواضح تماماً أن لديك عقدة وسواسية." شحب وجهها "ماذا؟"

قلت:" انسي الأمر. لا فائدة من الحديث إلى الفلاحين، البلهاء والحمقى. يتخذ الرجل الذكي احتياطات محققة فيما يتعلق باختيار مستمعيه".

دفعت شعرها إلى الخلف بأصابع طويلة مثل أصابع الآنسة هوبكنز لكنها كانت متلفة بالعقد والتغضنات عند البراجم، وضعت في إصبعها محبساً.

" هل أنت مدركة لحقيقة أن خاتم الزواج ليس فقط قضيبياً دارجاً لكن أيضاً البقايا الأثرية من شذوذ هذا العصر الهمجي البدائي الذي يسمى عصر التنوير والعقل"؟ قالت: " ماذا؟"

"لا تكترثي. لن يستوعب العقل الأنثوي هذا، حتى لو شرحت".

قلت لها أن تضحك إذا شاءت لكن يوماً ما سوف تغير موقفها، وأخذت كتبي الجديدة ومجلاتي إلى غرفة مكتبي الخاصة، التي كانت حجرة الملابس. لم يكن فيها مصباح كهربائي، لذا استعملت الشموع. كان في الجو ما يشعر بأن شخصاً أو شيئاً ما دخل المكتب أثناء غيابي. نظرت في المكان، وكنت محقاً، لأن سترة أختي الزهرية اللون الصغيرة تدلت من إحدى علاقات

الملابس.

رفعتها من المشجب وقلت لها: " ماذا تقصدين بتدليكِ هناك؟ بأي مرجعية؟ ألا تدركين أنك اقتحمت حرمة منزل الحب؟" فتحت الباب ورميت السترة على الأريكة." غير مسموح بالملابس في هذه الغرفة!" صرخت. دخلت أمي على عجل. أغلقت الباب وأقفلته. سمعت وقع خطواتها. تحرك مقبض الباب. بدأت أفض الرزمة. كانت الصور في مجلة فنانين وعارضات لعزيزات. التقطت أثيرتي. ممددة على بساط أبيض، ممسكة بزهرة حمراء على خدها. وضعت الصورة بين الشموع على الأرض وركعت على ركبتي." كلوّي،" قلت،" أنا أعبدك. أسنانك مثل قطيع نعاج رابض على جبل جلعاد، وخداك جميلان. أنا عبدك الذليل وأحبك إلى الأبد."

" آرتورو" قالت أمي." افتح".

" ماذا تريدين؟"

" ماذا تفعل؟"

" أقرأ. أطالع! هل أنا محروم من هذا أيضاً في بيتي؟"

خشخشت بأزرار السترة أمام الباب." لا أعرف ماذا أفعل بهذه،" قالت." عليك أن تسمح لي بوضعها في خزانة الملابس."

" مستحيل".

" ماذا تفعل؟"

" أقرأ".

" ماذا تقرأ؟"

"أدباً!"

لم تبتعد. رأيت إبهامي قدميها من تحت فرجة الباب. لم أتمكن من التحدث إلى الفتاة بوقوفها هناك. وضعت المجلة جانباً وانتظرت ذهابها. لم تذهب. حتى أنها لم تتحرك. مرت خمس دقائق. غمغمت الشمعة. ملأ الدخان المكان ثانية. لم تتحرك قيد أنملة. أخيراً وضعت المجلة على الأرض وغطيتها بصندوق. شعرت برغبة في الصراخ على أمي. في وسعها على الأقل أن تتحرك، تحدث جلبة، ترفع قدمها، تصفر.

التقطت كتاباً أدبياً وأقحمت إصبعي فيه، كما لو أني أعلِّم المكان. عندما فتحت الباب حملقت في وجهي. كنت أحس بأنها تعرف كل شيء عني. وضعت يديها على ردفيها واشتمت الهواء. جالت عيناها في كل مكان، في الزوايا، السقف، الأرضية.

" ماذا تفعل هنا بحق الأرض؟"

" أقرأ! أنمي عقلي، هل تمنعين ذلك أيضاً؟"

" هناك شيء غريب بصورة مريعة في هذا." قالت." هل تقرأ تلك الكتب المصورة البذيئة ثانية؟"

" لن أسمح في منزلي بالميثوديين، المحتشمين، ومسترقي النظر. أنا مشمئز من هذا الظربان المتزمت. الحقيقة المريعة هي أن أمي متعقبة للبذاءة من أسوأ الأنواع".

" إنها تثير قرفي،" قالت.

قلت: " لا تلقي باللائمة على الصور، أنت مسيحية، عضو في عصبة إيبورث[1]، متمسكة بأصول الدين. أنت محبطة بمسيحيتك الزائفة. أنت في

1- جمعية للشبان الذين يتبعون الكنيسة البوذية.

قرارة نفسك شريرة وغبية، نذلة وحمقاء".

دفعتني جانباً ودخلت حجرة الملابس. كانت تفوح في الداخل رائحة الشمع المحترق وشهوات موجزة مهدرة على الأرض. وعرفت ما احتوته الظلمة. ثم خرجت سريعاً.

"يا رب السماوات!" قالت. "أخرجني من هنا." دفعتني جانباً وصفقت الباب. سمعتها تخبط القدور والمقالي في المطبخ. ثم صفق باب المطبخ. أقفلت الباب وعدت إلى الصورة وأشعلت الشموع. بعد حين قرعت أمي الباب وقالت إن العشاء جاهز. قلت لها إنني قد أكلت. حامت عند الباب. كانت تتبرم مجدداً. شعرت بقدومه. كان هناك كرسي عند الباب. سمعتها تجره وتجلس. عرفت أنها جلست بأذرع مطوية، تنظر إلى حذائها، قدماها ممدودتان بتلك الطريقة المميزة التي كانت تجلس فيها وتنتظر. أغلقت المجلة وانتظرت. إذا كان في وسعها أن تصمد يمكنني أيضاً. خبطت بإبهام قدمها على السجادة. صرَّ الكرسي. تعاظم الخبط. وفجأة قفزت وراحت تطرق على الباب. فتحته سريعاً.

"اخرج من هنا!" صرخت.

"خرجت بأسرع ما استطعت. ابتسمت، متعبة لكن مرتاحة البال. كانت أسنانها صغيرة. كان سن في الأسفل ناتئاً عن الصف مثل جندي خارج المسار. لم يكن طول قامتها يزيد عن 5 , 3 أقدام لكنها بدت طويلة حين انتعالها حذاء ذا كعب عال. أفصحت بشرتها عن عمرها أكثر من أي شيء آخر. كانت في الخامسة والأربعين. تراخى جلدها قليلاً تحت الأذنين. كنت سعيداً لأن شعرها لم يكن أشيب. لطالما بحثت عن الشعر الأشيب لكني لم أكن أجد شعرة واحدة. دفعتها ودغدغتها وضحكت ووقعت على الكرسي. ثم ذهبت إلى الأريكة وتمددت ونمت إلى حين.

الفصل الثالث

أيقظتني أختي عندما جاءت إلى البيت. كان رأسي يؤلمني وكان هناك وجع كما لو أن عضلة تتألم في ظهري وعرفت السبب-التفكير كثيراً في النساء العاريات. كانت ساعة المذياع تشير إلى الحادية عشرة. خلعت أختي معطفها وانطلقت نحو حجرة الملابس. قلت لها أن لا تدخلها وإلا ستلقى مصرعها. ابتسمت متكبرة وحملت معطفها إلى غرفة النوم. تقلبت ورميت قدمي على الأرض. سألتها عن الوجهة التي قدمت منها لكنها لم تجب. هي دوماً تضايقني لأنها نادراً ما كانت تعيرني اهتماماً. لم أكرهها لكن أحياناً تمنيت أن أفعل. كانت فتاة جميلة، عمرها ستة عشر عاماً. كانت تفوقني في الطول قليلاً، بعينين سوداوين وشعر أسود. فازت فيما مضى بمسابقة في المدرسة الثانوية لأنها تملك أفضل أسنان. كانت مؤخرتها مثل رغيف خبز إيطالي، مدورة وصحيحة تماماً. كنت أرى أشخاصاً ينظرون إليها وأعرف بأنها نالت منهم. لكنها كانت باردة وكانت طريقتها في المشي مضللة. لم تحب أن ينظر إليها أحد. لقد ظننت أن هذا فعل أثيم، بأية حال هي قالت ذلك. قالت إنه كان كريهاً وشائناً.

كنت أراقبها عندما تترك باب غرفة النوم مفتوحاً، وأحياناً أتلصص من ثقب المفتاح أو أختبئ تحت السرير. قد تقف مواجهة المرآة بظهرها تعاين مؤخرتها، ممررة يديها عليها وتشد فستانها من حولها بإحكام. لم تكن لتلبس فستاناً إلا إذا كان ضيقاً بشدة على خصرها وردفيها وكانت دوماً تنظف

الكرسي قبل أن تجلس عليه. ثم تجلس باحتشام لكن ببرود. حاولت أن أجعلها تدخن السجائر لكن لم تفعل. أيضاً حاولت أن أقدم لها النصح عن الحياة والجنس لكنها ظنت بأني مجنون. كانت مثلها مثل أبي، نظيفة جداً ومجدة في المدرسة والبيت. لقد اقتادت أمي، كانت أكثر ذكاء من أمي، لكني لم أظن أن في وسعها يوماً أن تناهز عقلي في نباهة خالصة. لقد سيطرت على الجميع إلاي. حاولت بعد وفاة أبي أن تقتادني أيضاً. لم أكن لأفكر في ذلك، أختي، وهكذا قررت أني لست أهلاً للسيطرة بأية حال. مع ذلك أسلست لها قيادي بين الحين والآخر، لكن فقط لأستعرض شخصيتي المرنة. كانت نظيفة كالثلج. تقاتلنا كالقطط والكلاب.

يوجد فيَّ أمر لا يعجبها. خاب ظنها. أخمن أنها توقعت أن تجد نساء في حجرة الملابس. أغظتها بين الحين والآخر بضرب مؤخرتها. غضبت في الحال. فيما مضى فعلتها وجاءت بسكين الجزار وطردتني من الشقة. لم تتكلم مدة أسبوعين وقالت لأمي إنها لن تتحدث معي ثانية، ولن تجالسني على طاولة الطعام. أخيراً تجاوزت الأمر، لكني لم أنس أبداً كيف جن جنونها. كانت ستذبحني حينها لو أمسكت بي.

كان تشبه أبي في أمر لم يكن عند أمي أو عندي. أعني النظافة. مرة عندما كنت طفلاً رأيت حية جرس تقاتل ثلاثة كلاب صيد صغيرة. اختطفتها الكلاب من صخرة حيث كانت تتشمس، ومزقتها إرباً. قاتلت الحية بشراسة، ولم تفقد صوابها، عرفت أن أمرها انتهى، وحمل كل واحد من الكلاب قطعة ضخمة من جسدها. تركوا الذيل وثلاثة أجراس فقط، وذلك الجزء منها لا يزال يتحرك. حتى بعد أن تقطعت فكرت في أنها كانت أعجوبة. ذهبت نحو الصخرة التي كان عليها بعض الدم. غمست إصبعي في الدم وتذوقته. صرخت مثل طفل. لم أنسها أبداً. وحتى لو كانت لا تزال

على قيد الحياة لم أكن لأقترب منها. كان شيئاً يشبه ما يحدث مع أختي وأبي.

اعتقدت أن أختي ستكون زوجة رائعة بما أنها حسناء ومستبدة. لكنها كانت باردة وتقية جداً. كلما جاء رجل إلى منزلنا لمواعدتها، كانت ترفض. ستقف في الباب وحتى أنها لن تدعوه للدخول. أرادت أن تكون راهبة، تلك كانت المشكلة. كانت أمي من منعها عن ذلك. كانت تنتظر بضع سنوات أخرى. قالت إن الرجل الوحيد الذي أحبته كان ابن الإنسان، وعريسها الوحيد هو المسيح. بدا أنه كلام سمعته من الراهبات. لم تكن مونا لتستطيع التفكير في أمور مثل تلك دون مساعدة خارجية.

أمضت أيام مدرستها الابتدائية مع الراهبات في سان بيدرو، عندما تخرجت لم يتمكن والدي من تحمل نفقات إرسالها إلى المدرسة الثانوية الكاثوليكية، لذا ذهبت إلى مدرسة ويلمنجتون الثانوية. وحالما انتهت أيام الدراسة كانت تعود إلى سان بيدرو لزيارة الراهبات. أمضت اليوم بطوله، تساعدهن في تصحيح الأوراق، وتدرس أطفال الروضة وأشياء من هذا القبيل. في الأَمْسية تسكعت حول الكنيسة عند المرفأ من جهة ويلمنجتون، تزين المذابح بكل أنواع الزهور. كانت تفعل ذلك الليلة.

خرجت من غرفة النوم في ردائها.

قلت: " كيف حال يهوه اليوم؟ ما رأيه بالنظرية الكمية؟ "

دخلت إلى المطبخ وبدأت تتحدث مع أمي عن الكنيسة. تحاورتا عن الزهور، أيها كان أفضل للمذبح، الحمراء أم البيضاء.

قلت: "يهوه. في المرة القادمة عندما ترين يهوه قولي له إن لدي بضعة أسئلة أطرحها عليه".

واصلنا الحديث.

" أيها الرب يهوه المقدس، شاهد منافقيك ومونا صاحبة الفضيلة عند قدميك، يسيل لعابها بهزل أبله. يا يسوع، إنها مقدسة. يا يسوع المسيح الحلو الوثاب، إنها مقدسة".

قالت أمي: " آرتورو، كف عن هذا. أختك متعبة".

" أيها الروح القدس، أيها الأنا الثلاثي المتضخم المقدس، خلصنا من الكساد. انتخب روزفلت. أبقنا على قاعدة الذهب. اهزم فرنسا، لكن لأجل المسيح حافظ علينا"!

" آرتورو، كفَّ عن ذلك".

" أوه يا يهوه، في تبدلك السرمدي انظر إذا كان في وسعك أن تجمع جاهداً بعض النقود لعائلة بانديني.". قالت أمي:" عيب، آرتورو. عيب." نهضت على الأريكة وصرخت:" أنا أرفض فرضيات الله!ليسقط انحطاط المسيحية المخاتلة! الدين أفيون الشعوب! كل ما نحن عليه أو ما نأمل أن نكونه ندين به للشيطان وتفاحاته المهربة!"

لحقت بي أمي بالمكنسة. كادت تتعثر فوقها، تتوعدني بالقش في طرفها عند وجهي. دفعت المكنسة جانباً وقفزت على الأرض. ثم خلعت قميصي أمامها ووقفت عاري الجذع. أحنيت عنقي نحوها.

" أفرجي عن تعصبك،" قلت. "اضطهديني! ضعيني على المنصَب! عبري عن مسيحيتك! دعي الكنيسة المحاربة تُبدِ روحها الدموية! اشنقيني! ضعي محراكي النار في عيني. احرقيني على العمود، أيتها الكلاب المسيحية!"

دخلت مونا بكأس ماء. أخذت المكنسة من أمي وأعطتها الماء. شربت أمي وهدأت قليلاً. ثم غمغمت وسعلت في الكأس وكانت مستعدة للبكاء." أمي!" قالت مونا." لا تبكي. إنه مختل العقل." نظرت إلي بوجه

شمعي جامد الملامح. أدرت ظهري ومشيت إلى النافذة. عندما التفت كانت لا تزال تحدق.

" كلاب مسيحية،" قلت. " مزاريب ريفية! سذج أميركيون! أبناء آوى، أبناء عرس، ظربان، وحمير-الكثير منكم حمقى. أنا وحدي بين أفراد العائلة جميعاً لم أكن موسوماً بوبال القماءة".

" أنت أحمق،" قالت.

دخلتا إلى غرفة النوم.

" لا تصفيني بالأحمق،" قلت. " أيتها العصابية! أيتها المثبطة، المكبوتة، الثرثارة، الحمقاء، نصف راهبة!"

قالت أمي: " هل سمعت ذلك! يا له من مريع!"

ذهبتا إلى النوم. كانت الأريكة لي ولهما غرفة النوم. عندما أغلق بابهما أخرجت المجلات وكومتها في السرير. كنت مسروراً لقدرتي على النظر إلى الفتيات تحت أضواء الغرفة الكبيرة. كانت أفضل بكثير من حجرة الملابس المنتنة تلك. تحدثت إليهن حوالي ساعة من الزمن، ذهبت إلى الجبال مع إلين، وإلى البحار الجنوبية مع روزا، وأخيراً التقيت معهن جميعاًوهن يتحلقن حولي، قلت لهن إنني لا أفضل واحدة على أخرى وإن كل واحدة منهن ستحصل على نصيبها.

لكن بعد حين تعبت من ذلك تعباً مريعاً، لأن شعوري بأني كالأبله كان يتصاعد حتى بدأت أكره الفكرة لأنهن لسن سوى صور، مسطحة وبوجه واحد ومتشابهات للغاية باللون والابتسامة. ولجميعهن ابتسامة مثل ابتسامة العاهرات. أصبح كل شيء بغيضاً للغاية وفكرت، انظر إلى نفسك! جالس هنا وتتحدث كثيراً عن البغايا.اتضح أنك إنسان متفوق ممتاز! ماذا لو أن

نيتشه استطاع أن يراك الآن؟وشوبنهاور-ما قد يظن بك؟وسبنجلر! أوه، ربما يزمجر سبنجلر عليك!

أنت أحمق، أبله، خنزير، بهيمة، جرذ، قذر، وضيع، خنزير صغير مقرف! فجأة اختطفت الصور دفعة واحدة ومزقتها قطعاً ورميتها في حوض الحمام. ثم عدت زاحفاً إلى السرير وركلت الأغطية. كرهت نفسي كثيراً لأني جلست في السرير أفكر في أكثر الأشياء سوءاً عن نفسي. أخيراً كنت سافلاً للغاية حتى لم يبق هناك شيء لأفعله سوى النوم. مرت ساعات قبل أن أنام نوماً خفيفاً. كان الضباب خفيفاً في الشرق وكان الغرب أسود ورمادياً. لا بد أنها كانت الساعة الثالثة. سمعت من غرفة النوم شخير أمي الناعم. حينئذ كنت مستعداً للانتحار، ومع هذه الفكرة غططت في النوم.

الفصل الرابع

نهضت أمي عند السادسة ونادتني. تقلبت ولم أرغب في النهوض. أزاحت الأغطيةعني، ما جعلني عارياً على الشرشف لأني أنام دون أن أرتدي شيئاً. لا بأس بهذا، لكنه الصباح ولم أكن مستعداً لذلك، وتمكنت من رؤيته، ولم أكن أمانع من أن تراني عارياً لكن ليس على الشكل الذي يكون عليه العضو أحياناً في الصباح. وضعت يدي على المكان وحاولت إخفاءه، لكنها رأت بأية حال. بدا أنها تبحث عمداً عما يحرجني-أمي أيضاً. قالت:" عار عليك في الصباح الباكر."

" عار علي؟" قلت." كيف يكون ذلك؟"

" عار عليك".

" يا إلهي. ماذا ستفكرون أنتم المسيحيون لاحقاً! إذا كان من المخجل الآن مجرد أن تكون نائماً!"

" أنت تعلم ما أعنيه،" قالت." عار عليك، على فتى في مثل سنك. عار عليك. عار. عار".

" حسناً، عار عليكِ أيضاً، لنفس السبب. وعار على المسيحية".

عادت إلى السرير.

" عار عليه،" قالت لمونا.

" ماذا فعل الآن؟"

" عار عليه".

" ماذا فعل؟"

"لا شيء، لكن عار عليه بأية حال. عار".

نمت. بعد مدة نادتني مجدداً.

" أنا لست ذاهب إلى العمل هذا الصباح،" قلت.

"لم لا؟"

" خسرت عملي".

صمت قاتل. ثم جلست هي ومونا في السرير. عملي يعني كل شيء. لا يزال لدينا الخال فرانك، لكنهما وضعتا أجري المكتسب قبله في الحسبان. كان عليَّ أن أفكر في شيء جيد، لأنهما عرفتا بأني كاذب. يمكنني أن أخدع أمي لكن مونا لم تصدق يوماً أي شيء. وليس حتى الحقيقة إذا ما نطقت بها.

قلت: "وصل للتو ابن أخ السيد روميرو من البلد القديم وحل مكاني".

" آمل أنك لا تنتظر منا تصديق ذلك!" قالت مونا.

" لا تهتم توقعاتي بالبلهاء إلا لماماً،" قلت.

جاءت أمي إلى السرير. لم تكن القصة شديدة الإقناع لكنها كانت راغبة في الكف عن انتقادي. لو لم تكن مونا هناك لكان الأمر سهلاً. طلبت من مونا أن تهدأ وسمعت المزيد. كانت مونا تشوش عليها بالكلام. صرخت عليها لتسكت.

قالت أمي: " هل تقول الصدق؟"

"وضعت يدي على قلبي وأغلقت عيني وقلت:" أقسم أمام الرب جل جلاله وأمام محكمته السماوية بخشوع أني لست كاذباً أو مسترسلاً في الكلام. آمل إذا كنت كذلك أن يقتلني في هذه الدقيقة. هات الساعة".

جاءت بالساعة من عند المذياع. هي تؤمن بكل أنواع المعجزات. أغلقت عيني وشعرت بنبض قلبي. حبست أنفاسي. مرت اللحظات. زفرت الهواء بعد دقيقة من رئتي. ابتسمت أمي وقبلتني على جبيني. لكنها الآن لامت روميرو.

" لا يمكنه أن يفعل هذا لك،" قالت." لن أدعه. أنا ذاهبة لأقرعه".

قفزت من السرير. كنت عارياً لكني لم أهتم. قلت:" يا إلهي! أليس لديك شيء من الكبرياء، إحساس بالكرامة الإنسانية؟ لم عليك أن تريه بعد أن عاملني بهذه الطريقة البذيئة الشرقية؟ هل ترغبين في أن يسيء إلى اسم العائلة أيضاً؟"

كانت ترتدي ثيابها في غرفة النوم. ضحكت مونا ومررت أصابعها في شعرها. ذهبت وسحبت جوارب أمي وعقدتها قبل أن تتمكن من إيقافي. هزت مونا رأسها وضحكت ضحكاً متقطعاً. وضعت قبضتي تحت أنفها وحذرتها التحذير الأخير كي تكف عن التدخل. لم تعرف أمي ماذا تفعل. وضعت يدي على أكتافها ونظرت في عينيها." أنا رجل ذو كبرياء عميق،" قلت." هل يغير هذا طريقة حكمك على الأمر؟ الكبرياء! كلمتي الأولى والأخيرة انبثقت من روح تلك الطبقة أسميها كبرياء. بدونها حياتي خيبة شهوانية. باختصار أنا أبلغك التحذير الأخير. سأقتل نفسي إذا ذهبت إلى روميرو".

روعها ذلك حدَّ الشيطان، لكن مونا تقلبت وضحكت كثيراً. لم أقل

المزيد لكن عدت إلى السرير وسرعان ما غططت في النوم.

عندما استيقظت كان الظهر قد حل تقريباً وكانتا قد رحلتا إلى مكان ما. أخرجت صورة فتاة سميتها مارسيلا وذهبنا إلى مصر ومارسنا الحب في مركب يقوده عبد في نهر النيل. شربت النبيذ من صندلها والحليب من نهديها ثم كان لدينا عبيد يجدفون بنا إلى ضفة النهر وأطعمتها قلوب طيور الطنان المتبَّلة بحليب حمامة محلى. عندما انتهى شعرت بأني شرير. شعرت كأني ألكم نفسي على أنفي، أضرب نفسي بغير وعي. أردت أن أجرح نفسي، أن أشعر بعظامي تتصدع. مزقت صورة مارسيلا إلى قطع وتخلصت منها ثم ذهبت إلى صيدلية وأتيت بشفرة، وسرعان ما شطبت ذراعي أسفل الكوع، لكن ليس شطباً عميقاً فقد سال الدم بغير ألم. مصصت الشطب لكن مع ذلك لم أتألم، فأتيت ببعض الملح وفركته به وشعرت بأنه يلسع لحمي، ويؤلمني ويجعلني أخرج منه وأشعر بأني بعثت حيأمن جديد. وفركته حتى لم أعد أحتمل أبداً. ثم ضمدت ذراعي.

تركتا مكتوباً لي على الطاولة. يقول إنهماذهبتا إلى الخال فرانك وإن هناك طعاماًفي حجرة المؤن من أجل فطوري. قررت أن آكل في محل جيم، فلا يزال في حوزتي بعض النقود. عبرت ملعب المدرسة الذي كان في الجهة المقابلة للشقة من الشارع وتوجهت نحو مطعم جيم. طلبت لحماً وبيضاً. وبينما كنت آكل تحدث جيم.

قال: "أنت تقرأ كثيراً. هل جربت يوماً أن تؤلف كتاباً؟"

هذا فعلها. منذ ذلك الحين أردت أن أكون كاتباً." أنا أؤلف كتاباً الآن،" قلت.

أراد أن يعرف أي نوع من الكتب.

قلت:" نثري ليس للبيع. أكتب للأجيال القادمة".

قال:" لم أعرف ذلك. ماذا تكتب؟ قصصاً؟ أو رواية؟"

"الاثنتين. أنا ماهر في النوعين".

"أوه. لم أعرف ذلك".

تقدمت نحو الجهة الأخرى من المحل واشتريت قلماً ودفتر. أراد أن يعرف ما كنت أكتبه الآن. قلت:" لا شيء. أدون ملحوظات عشوائية وحسب لعمل مستقبلي عن تجارة خارجية. يهمني الموضوع بغرابة، نوع من هواية مؤثرة تخيرتها".

عندما غادرت كان يحدق بي بفم فاغر. أخذت الأمر ببساطة وذهبت إلى المرفأ. كان شهر حزيران هناك أفضل الأوقات على الإطلاق. كان سمك الإسقمري ينطلق من الساحل الجنوبي وكادت معامل التعليب أن تنفجر، ليل نهار، وطوال الوقت في تلك الفترة من السنة كانت تفوح رائحة نتنة في الهواء من زيت السمك والعفونة. اعتبرها بعض الناس رائحة كريهة والبعض اشمئزوا منها، لكني لم أكن أجدها رائحة كريهة، باستثناء رائحة السمك التي كانت سيئة، لكن بالنسبة إليّ كانت عظيمة. أحببت المكان هناك. لم تكن رائحة واحدة بل كثير من الروائح تتذبذب دخولاً وخروجاً، لذا كل خطوة تخطوها تجلب رائحة مختلفة. جعلتني حالماً وفكرت في كثير من الأفكار عن أماكن بعيدة، غموض ما قد يحتويه قعر البحر، وكل الكتب التي قرأتها انبعثت حية فجأة ورأيت بصورة أفضل أناساً خارجين من الكتب مثل فيليب كاري[1] ، إيوجينويتلا[2] ، والشخصيات التي اخترعها دريسر.

1- Philip Carey: ممثل أميركي.

2- Eugena Witla: الشخصية البارزة في رواية الروائي الأميركي دريسر بعنوان العبقري.

أحببت رائحة مياه القاع من ناقلات النفط القديمة، رائحة النفط الخام في مواسير متجهة إلى أماكن بعيدة، تحولت رائحة النفط على المياه لزجة وصفراء وذهبية، رائحة الألواح الخشبية العفنة ونفايات البحر المسودة بالنفط والقار، فاكهة متحللة، المراكب الشراعية اليابانية الصغيرة، مراكب الموز والحبال القديمة، زوارق القطر والحديد الخردة والرائحة الغامضة الرخمة للبحر عند المد المنخفض.

توقفت عند الجسر الأبيض الذي عبر القناة إلى يسار مسامك ساحل المحيط الهادئ على ضفة ويلمنجتون. كانت ناقلة نفط تفرغ حمولتها عند أرصفة ميناء الجازولين. في آخر الشارع كان صيادون يابانيون يصلحون شباكهم، الممتدة مسافة شوارع على طول حافة المياه. عند محملي السفن الأميركيين-الهاواييين الذين كانوا يحملون سفينة ستبحر إلى الهونولولو. عملوا بظهور عارية. بدوا مثل شيء عظيم يستحق الكتابة عنه. بسطت الدفتر الجديد أمام الحاجز، بللت القلم بلساني وبدأت أكتب نبذة عن محمل السفينة: " شرح نفسي عن محمل السفينة اليوم والبارحة، كتبها آرتورو جابرييل بانديني".

تحول إلى موضوع عسر. حاولت أربع أو خمس مرات لكنني استسلمت. بأية حال، يستغرق الموضوع سنوات من البحث، لم يكن هناك بعد أي حاجة إلى النثر. الأمر الأول الذي عليَّ فعله كان أن أجمع معلوماتي. ربما سيستغرق الأمر سنتين، ثلاث، وربما أربع سنوات، كان في الواقع عملاً يستغرق حياة بطولها، تحفة أدبية. كان عسراً جداً. تركته. اكتشفت أن الفلسفة أسهل." أطروحة فلسفية وأخلاقية عن الرجل والمرأة كتبها آرتورو جابرييل بانديني." الشر للرجل الضعيف، إذاً لماذا تكون ضعيفاً. من الأفضل أن تكون رجلاً قوياً بدلاً من أن تكون ضعيفاً، لأنه إذا كنت ضعيفاً فهذا يعني

أن تفتقر إلى القوة، كونوا أقوياء يا أخوتي، لأني أقول ما لم تكونوا أقوياء ستنال منكم قوى الشر. الشدة هي شكل من أشكال السلطة. كل نقص في القوة هو شكل من أشكال الشر. كل شر هو شكل من أشكال الضعف. كونوا أقوياء ولا تكونوا ضعفاء. تفادوا الضعف وعندها قد تكونون أقوياء. يأكل الضعف قلب المرأة. تغذي القوة قلب الرجل. هل تتمنون أن تكونوا إناثاً؟ نعم إذاً كونوا ضعفاء. هل تتمنون أن تكونوا رجالاً؟ نعم نعم. إذاً صيروا أقوياء. ليسقط الشر! ولتحيا القوة! أوه زرادشت، امنح نساءك ضعفاً تاماً! أوه زرادشت، امنح رجالك قوة كاملة! لتسقط النساء! وليتبارك الرجال!

ضجرت بعدئذٍ من الأمر برمته. ارتأيت في النهاية أني لم أكن كاتباً بل رساماً ربما. ربما تكمن عبقريتي في الفن. قلبت صفحة في الكراس ورسمت بعض الخطوط للتمرين فقط، لكني لم أتمكن من إيجاد ما يستحق الرسم، فقط سفن ومحملو سفن وأرصفة الميناء ولم يثيروا اهتمامي. رسمت قططاً على السياج، وجوه، مثلثات ومربعات. ثم خطر لي أني لست بفنان ولا كاتب بل معماري، لأن أبي كان معماراً وربما مهنة البناء كانت تتماشى أكثر مع إرثي. رسمت بعض المنازل. كانت متشابهة تقريباً؛ بيوت مربعة الشكل ومدخنة ينسكب منها الدخان. وضعت الكراس جانباً.

كان الجو حاراً على الجسر، الحرارة تحز نقرة عنقي. زحفت عبر السكة نحو بعض الصخور المسننة المتدهورة عند حافة المياه. كانت صخوراً كبيرة، سوداء كالفحم لانغماسها بالمد العالي، بعض منها بحجم منزل. كانت متناثرة تحت الجسر في فوضى مجنونة مثل حقل من الجبال الجليدية، ومع ذلك بدت راضية ورابطة الجأش.

زحفت تحت الجسر وشعرت بأن أحداً لم يسبقني إلى ذلك. قفزت أمواج المرفأ الصغيرة على الصخور مخلفة بركاً صغيرة من ماء أخضر هنا وهناك.

كانت بعض الصخور مكسوة بالطحلب، وأخرى كان عليها بقع جميلة من ذرق الطيور. فاحت رائحة البحر الثقيلة. كان البرد تحت العوارض الخشبية قارساً والظلمة حالكة ولم أتمكن من الرؤية بوضوح.

سمعت من الأعلى طرق حركة السير، أبواقاً تزمر، رجالاً يصرخون، وشاحنات كبيرة تضرب العوارض الخشبية. كانت ضوضاء رهيبة تلك التي طرقت أذني وعندما صرخت خرج صوتي بضعة أقدام وهب عائداً كما لو أنه مشدود إلى شريط مطاطي. زحفت على امتداد الأحجار إلى أن خرجت من نطاق أشعة الشمس. كان مكاناً غريباً. شعرت بالخوف إلى حين. على مسافة أبعد كان هناك حجر كبير، أكبر من بقية الصخور، عرفه مطوق بذرق النوارس الأبيض. كان ملكاً متوجاً على كل تلك الأحجار بتاج أبيض. توجهت نحوه.

بغتةً بدأ كل شيء عند قدمي يتحرك. كانت حركة الأشياء الزاحفة لزجة سريعة. التقطت أنفاسي، وتمسكت، وحاولت أن أركز تحديقي. كانت السرطانات! كانت الأحجار حية وتعج بها. كنت خائفاً خوفاً شديداً فلم أتحرك ولم تكن الضجة من الأعلى شيئاً بالمقارنة مع دوي قلبي.

انحنيت على حجر ووضعت وجهي بين يدي إلى أن زال خوفي. عندما أبعدت يدي رأيت من خلال السواد وكان رمادياً وبارداً، مثل عالم سفلي، مكان رمادي، منعزل. نظرت لأول مرة نظرة عن كثب إلى الأشياء الحية هناك. كانت السرطانات الكبيرة بحجم آجر منزلي، صامتة وقاسية وهي تتقدم صاعدة قمة الأحجار الكبيرة، تتحرك قرون استشعارها المهددة بشهوة مثل أذرع راقص الهولا ، عيونها الصغيرة وضيعة وقبيحة. كان هناك عدد أكبر بكثير من السرطانات الأصغر حجماً، بحجم راحة يدي، وسبحوا في البرك الصغيرة السوداء عند قاعدة الصخور، يزحفون فوق بعضهم،

ويسحب أحدهم الآخر إلى السواد الحاضن عندما تنازعوا للحصول على مواضع على الأحجار. كانوا يمضون وقتاً طيباً.

عند قدمي كان هناك وكر لسرطانات أصغر حجماً، يساوي حجم الواحد منها حجم دولار، كتلة كبيرة من أرجل تتلوى مختلطة معاً. أمسك أحدها بثنية بنطالي. أبعدته وأمسكت به وهو يخدش بعجز وحاول أن يعضني. ومع ذلك أمسكته وكان عاجزاً. سحبت ذراعي ورميته على حجر. فرقع، وانسحق حتى الموت، ملتصقاً للحظة على الحجر، ثم سقط ينز دماً وماء. التقطت القوقعة المسحوقة وتذوقت السائل الأصفر الخارج منها، كان مالحاً كماء البحر ولم أحبه. رميته في الماء العميق. طاف إلى أن سبحت حوله سمكة حساس كبيرة وتفحصته، وثم بدأت تقضمه بوحشية وأخيراً انزلقت السمكة وجرته بعيداً عن مرمى النظر. كانت يداي مدميتين ولزجتين وكانت تفوح منهما رائحة البحر. شعرت فجأة برغبة تنتفخ في داخلي في قتل تلك السرطانات جميعها. لم يثر الصغار اهتمامي، بل الكبار هم من أردت قتلهم. كانوا أقوياء وضارين بأسنان قاطعة. كانوا يستحقون مخاصمة العظيم بانديني، الفاتح آرتورو. نظرت من حولي لكنني لم أستطع إيجاد قضيب أو عصا. كان هناك كومة أحجار على الضفة أمام الإسمنت. طويت أكمامي وبدأت برميها على أكبر السرطانات التي رأيتها، أحدها نائم على حجر يبعد عشرين قدماً. كانت الأحجار تحيط به، تبعد عنه مسافة إنش، تطير شرارات وجذاذات، لكنه لم يفتح عينيه ليعرف ما يجري. رميت حوالي عشرين مرة قبل أن أنال منه. كان ظفراً. هشم الحجر ظهره مصدراً صوتاً شبيهاً بصوت تهشم البسكويت المخمر. ند عنه واضحاً، يثبته على الحجر. ثم وقع في الماء، ابتلعته الفقاعات الخضراء المزبدة عند الحافة. راقبته يختفي وهززت قبضتي عليه ملوحاً بوداعات غاضبة وهو يغوص نحو القاع. وداعاً، وداعاً! سوف

نلتقي ثانية بلا شك في عالم آخر، لن تنسني أيها السرطان. ستتذكرني للأبد على أني من هزمك!

كان قتلهم بالحجارة قاسياً جداً. كانت الحجارة حادة جداً جرحت أصابعي عندما رميتها. غسلت الدم وأزلت الوحل عن يدي وسلكت طريقي إلى الحافة ثانية. ثم صعدت الجسر ونزلت الشارع إلى متجر خاص ببيع البنادق والمسدسات على بعد ثلاثة شوارع. أخبرت البائع ذا الوجه الأبيض عن رغبتي في شراء مسدس ذي سبطانة. أراني واحداً آلياً ووضعت المال واشتريته دون فصال. أنفقت ما تبقى من الدولارات العشرة ثمناً للذخيرة-طلقات ب ب. كنت هلوعاً للعودة إلى ميدان المعركة فقلت للوجه الأبيض ألا يصر الذخيرة ويعطيني إياها على حالها. ظن الأمر غريباً وطالعني ملياً وأنا أغرف الرصاصات من على النضد وغادرت المتجر بأسرع ما يمكن لكن ليس جرياً. عندما أصبحت في الخارج بدأت بالجري، وحينها استشعرت بأن شخصاً يراقبني ونظرت من حولي، وكنت واثقاً بما فيه الكفاية أن الوجه الأبيض كان واقفاً في الباب يتلصص في إثري عبر هواء الأصيل الحار. أبطأت السير إلى مشية سريعة حتى وصلت إلى الناصية وحينها بدأت الركض من جديد.[1]

أطلقت النار على السرطانات طوال ذلك الأصيل، إلى أن آلمني كتفي خلف البندقية وعيناي خلف المهداف. كنت الديكتاتور بانديني، رجل أرض السرطانات الحديدي. كان هذا تطهيراً دموياً آخر لأرض الآباء. حاولت هذه السرطانات الملعونة أن تخلعني ، كان لديهم الشجاعة ليحاولوا إثارة ثورة، وكنت أنتقم. فكر في هذا! لقد أغضبوني. تلك السرطانات الملعونة شككت فعلياً بقوة بانديني المتفوق! ما الذي حل بهم كي يتجاسروا

1- رقصة من جزر هاواي.

بحماقة بالغة؟ حسناً، كنت ألقنهم درساً لن ينسوه أبداً. تلك كانت آخر ثورة قد يتجرؤون على القيام بها، وحق المسيح. صررت بأسناني عندما فكرت فيها-أمة من السرطانات الثائرة. يا للجرأة! يا إلهي، كنت غاضباً. أطلقت النار إلى أن آلمني كتفي وظهرت البثور على إصبعي المقداح. قتلت أكثر من خمسمئة وجرحت ضعف هذا العدد. سرعان ما هجموا، غاضبين بجنون وخائفين عندما تساقط الموتى والجرحى من الصفوف. كان الحصار قائماً. زحفوا نحوي. أتى آخرون من البحر، وكذلك من خلف الصخور، يتحركون بأعداد كبيرة عبر سهل من الحجارة نحو الموت الذي جلس على صخرة عالية بعيداً عن متناولهم.

جمعت بعض الجرحى في بركة وعقدت مؤتمراً عسكرياً وقررت أن أحاكمهم محاكمة عرفية. رميتهم خارج البركة واحداً تلو الآخر، وضعت كل واحد منهم فوق فوهة البندقية وقدحت الزناد. كان هناك سرطان واحد، لونه براق وممتلئ بالحياة ذكرني بامرأة: بلا شك أميرة بين الخونة، سرطانة شجاعة مصابة إصابة خطرة، واحدة من قوائمها مقطوعة، ذراع مدلاة على نحو مثير للشفقة. قطعت نياط قلبي. عقدت مؤتمراً آخر وقررت أنه جراء حالة الطوارئ القصوى، لا بد ألا يكون هناك أي محاباة جنسية. حتى الأميرة يجب أن تموت. لم يكن ساراً لكن وجب تنفيذه. ركعت بقلب حزين بين الموتى والمحتضرين وناشدت الله مصلياً، طالباً أن يسامحني على هذه الجريمة الأكثر وحشية بين الجرائم، إعدام المرأة على يد إنسان متفوق-. ومع ذلك في النهاية، الواجب هو الواجب، لا بد للنظام القديم أن يصان ويجب اجتثاث الثورة، النظام يجب أن يستمر، الخونة يجب أن يبادوا. تحدثت لبعض الوقت إلى الأميرة بسرية، مطيلاً بشكل رسمي الاعتذارات لها من حكومة بانديني، وملتزماً بطلبها الأخير-كان أن أسمح لها أن تسمع la

Paloma[1] البالوما –صفرتها لها بإحساس عظيم حتى أنها كانت تبكي عندما انتهيت. رفعت بندقيتي على وجهها الجميل وقدحت الزناد. ماتت في الحال، بشكل مجيد، كتلة مضطرمة من قوقعة ودم مصفر.

من تبجيل خالص وإعجاب أمرت بوضع حجر حيث سقطت بطلة واحدة من ثورات العالم المشهودة، هذه الفاتنة، التي قضت أيام حزيران الدامية على عهد بانديني. كان التاريخ مسطراً ذلك اليوم. رسمت إشارة الصليب على الحجر، قبلتها بجلال، حتى مع لمسة من العاطفة، وأطرقت رأسي في وقفة خاطفة عن الهجوم. كانت لحظة ساخرة. لأنني أدركت في ومضة بأني أحببت تلك المرأة. لكن أوه باندينى! بدأ الهجوم ثانية. بعد وقت قصير، قتلت امرأة أخرى. لم تصب إصابة خطرة، لقد عانت من الصدمة. وأسرت، قدمت نفسها لي جسداً وروحاً. توسلتني الصفح عنها. ضحكت ضحكة شيطانية. كانت مخلوقاً جميلاً، لونها زهر ضارب إلى الحمرة، وليس سوى قدري المكتوب ما جعلني أقبل عرضها المؤثر. اجتحتها هناك تحت الجسر في الظلمة بينما كانت تتضرع طالبة الرحمة. أخرجتها وما زلت أضحك وحطمتها إرباً، معتذراً عن وحشيتي.

توقف التقتيل أخيراً عندما آلمني رأسي من شدة الإجهاد البصري، قبل أن أغادر ألقيت بنظرة أخيرة على المكان. كانت المنحدرات المصغرة ملطخة بالدم. كان ظفراً، انتصاراً بالغ العظمة لي. ذهبت بين الموتى وتحدثت إليهم مواسياً، لأنه حتى وإن كانوا أعدائي فأنا بالرغم من كل شيء رجل نبيل واحترمتهم وأعجبت بكفاحهم الشجاع الذي واجهوا به جحافلي. " جاءكم الموت،" قلت." وداعاً، أعزائي الأعداء. كنتم شجعاناً في القتال وأكثر شجاعة في الموت، والفوهرر باندينى لن ينسى. هو يشيد علانية، حتى في

1- أغنية شعبية اسبانية.

الموت." وقلت للآخرين:" وداعاً، أيها الجبناء. أنا أبصق عليكم قرفاً. يعاف الفوهرر جبنكم. هو يكره الجبناء كما يكره الطاعون. لن يصالح. ليغسل مد البحر الجريمة الجبانة من على الأرض أيها الأوغاد".

تسلقت عائداً إلى الطريق تماماً عند انطلاق صفارات الساعة السادسة، وتوجهت إلى البيت. كان هناك بعض الأولاد يلعبون الكرة في ساحة فارغة آخر الشارع، وأعطيتهم البندقية والذخيرة مقابل مدية ادعى أحد الأولاد أنها بقيمة ثلاثة دولارات، لكنه لم يخدعني، لأني عرفت أن السكين لم تكن قيمة.

الفصل الخامس

فاحت في الشقة رائحة طهي شرائح اللحم، وسمعتهما تتحدثان في المطبخ. كان الخال فرانك هناك. نظرت نحو الداخل وتبادلنا التحية. كان جالساً مع أختي في ركن الفطور. أمي عند الموقد. كان رجلاً في الخامسة والأربعين من عمره بسالفين أشيبين وعينين واسعتين وبعض الشعيرات تخرج من منخريه. كانت أسنانه جميلة، لطيف، يعيش في البلدة وحيداً في كوخ. كان مولعاً جداً بمونا وأراد دوماً أن يفعل أموراً من أجلها لكنها نادراً ما كانت تقبل. كان دوماً يمدنا بالمال، وبعد وفاة والدي ساندنا عملياً على مدى أشهر. رغب في أن نعيش معه لكنني كنت معارضاً لأنه قد يكون متسلطاً. عندما توفي والدي دفع تكاليف الجنازة واشترى بلاطة للقبر أيضاً، وهذا كان مستغرباً لأنه لم يعتبر أبي يوماً صهراً له.

طفح المطبخ بالطعام. كان هناك قفة مملوءة بالبقالة على الأرض وكان لوح الحوض مغطى بالخضراوات. تعشينا عشاءً كبيراً. استأثروا بمعظم الحديث. شعرت بالسرطانات تكسوني، وفي طعامي. فكرت في تلك السرطانات الحية تحت الجسر، تتخبط في الظلمة بعد موتها. كان هناك ذلك السرطان العملاق. كان مقاتلاً عظيماً. تذكرت شخصيته الرائعة، بلا شك كان قائداً لشعبه. الآن أضحى ميتاً. تساءلت إذا بحث والده وأمه عن جثته في الظلمة وفكرت بحزنِ حبيبته، وفيما إذا كانت قد ماتت أيضاً. قاتل العملاق والكراهية تثقب عينيه. لقد استلزم قتله عدداً كبير من رصاصات

B B[1]. كان سرطاناً عظيماً-الأعظم بين جميع السرطانات المعاصرة، بمن فيهم الأميرة. كان على شعب السرطانات أن يقيم له تمثالاً. لكن هل كان أعظم مني؟ لا سيدي. لقد انتصرت عليه. فكر في ذلك! ذلك السرطان الجليل، بطل شعبه، وقد تغلبت عليه. الأميرة أيضاً-السرطان الأكثر فتنة على الإطلاق-ولقد قتلتها أيضاً. سيمر وقت طويل قبل أن تنساني تلك السرطانات. إذا دونوا التاريخ سأحظى بمساحة كبيرة في سجلاتهم. ربما يسمونني قاتل ساحل المحيط الهادئ الأسود. ستسمع السرطانات الصغيرة بي من أسلافها ولسوف أبث الرعب في ذكرياتهم. بالخوف سأحكم، حتى لو لم أكن حاضراً، مغيراً دورة حياتهم. ذات يوم قد أصبح أسطورة في عالمهم. وقد يكون هناك سرطانات أنثى رومانسية مسحورة بقتلي القاسي للأميرة. قد تؤلهني، وبعض منها ستقدرني سراً وستشعر نحوي بالرغبة.

واصل خالي فرانك وأمي ومونا حديثهم. بدا مثل مؤامرة. مرة مونا رمقتني، وقالت نظرتها: نحن نتجاهلك عمداً لأننا نريد مضايقتك، بل أكثر من ذلك، ستكون منشغلاً مع الخال فرانك بعد الطعام. ثم ابتسم الخال فرانك ابتسامة خليعة. عرفت حينها أنها تعني الكدر. بعد التحلية نهضت النسوة وغادرتا. أغلقت أمي الباب. بدا الأمر برمته مرتباً. بدأ الخال فرانك بالدخول في الموضوع مشعلاً غليونه، ودفع بعض الصحون بعيداً، وانحنى نحوي. أخرج الغليون من فمه وهز الساق تحت أنفي.

قال: " انظر هنا، يا ابن الزانية الصغير، لم أعرف بأنك لص أيضاً. أعرف أنك كسول، لكن وحق الله لم أعرف أنك لص صغير سارق".

قلت:" أنا لست ابن زانية، أيضاً".

1- رصاصات خاصة بالمسدسات ذات السبطانة كروية الشكل.

" تحدثت إلى روميرو،" قال." أعرف ماذا اقترفت يداك".

" أحذرك،" قلت." أحذرك بكل وضوح أن تكف عن مناداتي بابن الزانية".

" لقد سرقت عشرة دولارات من روميرو".

" جرأتك جسيمة، غير محمودة. غاب عني السبب الذي يبيح لك إهانتي بتسميتي ابن زانية".

قال: " تسرق من رب عملك! هذا أمر مسل".

" أقول لك ثانية، وبصراحة قصوى أنه بالرغم من أنك تكبرني سناً وصلة القربى بيننا، أنا أمنعك بكل تأكيد من استعمال مثل هذه النعوت المشينة مثل ابن الزانية عندما تخاطبني".

" ابن اخت متسكع ولص! إنه مقرف".

"كن حكيماً من فضلك، يا خالي العزيز، طالما أنك اخترت أن تصفني بابن الزانية ليس لدي خيار سوى أن أربط الأنسباء ببذاءتك. باختصار، إذا كنت أنا ابن زانية فهذا يعني أنك أخ للزانية. قلل من قيمة ذلك" .

" كان في وسع روميرو توقيفك. أنا آسف لأنه لم يفعل".

" روميرو وحش، دجال ضخم، مغفل. اتهاماته بالسرقة تسليني. تلكأت عن التأثر بتهمه العقيمة. لكن لا بد أن أذكرك مرة أخرى أن تلجم فصاحة بذاءاتك. أنا لست معتاداً على الإهانة، حتى من قبل الأقرباء".

قال: " اخرس، أيها الأحمق الصغير! أنا أتحدث عن شيء آخر. ماذا ستفعل الآن؟"

" هناك عدد لا يحصى من الاحتمالات".

هزئ." عدد لا يحصى من الاحتمالات! هذا أمر جيد! عن أي شيطان تتحدث؟ عدد لا يحصى من الاحتمالات!"

أخذت بعض الأنفاس من سيجارتي وقلت:" أفترض بأني سأباشر سيرتي الأدبية الآن بعد أن تخلصت من سلالة روميرو البروليتارية".

" ماذا؟"

" خططي الأدبية. نثري. سأتابع جهودي الأدبية. أنا كاتب كما تعلم".

" كاتب! منذ متى أصبحت كاتباً؟ هذه جديدة، استمر، لم أسمع بهذا من قبل".

قلت له: " كانت موهبة الكتابة دوماً هاجعة في داخلي. الآن هي في مرحلة الانمساخ. عصر التحول قد مر. أنا على عتبة البيان".

قال:" هراء".

أخرجت الكراس الجديد من جيبي وقلبت الصفحات بإبهامي. قلبتها بسرعة كبيرة فلم يتمكن من قراءة شيء لكنه رأى بعض الكتابة فيه." هذه مدونات،" قلت." مدونات رومانسية. أنا أكتب بحثاً سقراطياً عن مرفأ لوس أنجلس أيام الفتح الإسباني".

" لنرها،" قال.

"لن نفعل شيئاً. ليس قبل نشرها".

" بعد نشرها! ماذا تقول! وضعت الدفتر في جيبي. فاح برائحة سرطانات." لماذا لا تتشجع وتكون رجلاً؟" قال." قد يجعل والدك سعيداً هناك في الأعلى".

" في الأعلى هناك؟" قلت.

" في الآخرة". كنت أنتظر ذلك.

" لا يوجد آخرة،" قلت. "الفرضيات السماوية دعاية بحتة صاغها الأغنياء لخداع الفقراء. أنا أطعن بالروح الخالدة. إنها الوهم المستمر للجنس البشري المخدوع، أنا أرفض رفضاً صريحاً فرضيات الرب. الدين أفيون الشعوب. يجب أن تحول الكنائس إلى مستشفيات ودوائر رسمية. كل ما نحن عليه أو أملنا به يوماً نحن مدينون به للشيطان وتفاحاته المهربة. هناك 78000 تناقض في الإنجيل. هل هو كلمة الرب؟ لا! أنا أرفض الرب! أنا أندد بلعنات عنيفة عديمة الرحمة! أنا أقبل العالم بلا إله. أنا مؤيد لوحدة الوجود!"

" أنت مجنون،" قال." أنت ممسوس".

" أنت لا تفهمني،" ابتسمت." لكن لا بأس. أتوقع سوء الفهم، كلا، أنا أتطلع قدماً لأسوأ مضايقة. لا بأس تماماً".

أفرغ غليونه وهز إصبعه تحت أنفي:" ما عليك أن تفعله هو التوقف عن قراءة كل تلك الكتب اللعينة، توقف عن السرقة، كن رجلاً واذهب إلى العمل".

سحقت سيجارتي." كتب!" قلت." وماذا تعرف عن الكتب! أنت! الجاهل، Boobus Aericanus[1] حمار، جبان فظ بارد بعقل لا يفوق ما لدى ابن عرس منتن".

حافظ على هدوئه وملأ غليونه. لم أقل أي شيء لأنه كان دوره. عاينني لفترة وهو يفكر في شيء.

1- أميركي محدود العقل.

"حصلت لك على عمل،" قال.

" ماالعمل؟"

" لا أعرف بعد. سأرى".

" هل يتناسب مع مواهبي. لا تنسَ أنني كاتب. لقد انمسخت".

" لا أهتم لما حصل لك. أنت ستعمل. ربما مصنع التعليب".

" لا أعرف شيئاً عن مصانع التعليب" .

" جيد،" قال." كلما قلت معرفتك كلما كان أفضل. كل ما يحتاجه ظهر قوي وعقل ضعيف. لديك الاثنان".

" العمل لا يثير اهتمامي،" قلت له." أفضل أن أكتب النثر".

" نثر-أي نثر؟"

" أنت بابِت[1] بورجوازي. سوف لن تعرف أبداً النثر الجيد طوال حياتك".

" وجب عليَّ أن أضربك".

" جرب".

" أيها النذل الصغير".

" أنت أمريكي ساذج".

نهض وغادر الطاولة وفي عينيه بريق. ثم ذهب إلى الغرفة المجاورة وتحدث مع أمي ومونا، قائلاً لهما أننا تفاهمنا ومنذ الآن فصاعداً سأقلب

1- اسم بطل رواية تحمل نفس الاسم للكاتب الأميركي سينكلير لويس وهي هجاء للمجتمع والسلوك الأميركي وتنتقد حياة الطبقة المتوسطة الأميركية الفارغة.

صفحة جديدة. أعطاهما بعض المال وقال لأمي ألا تقلق بشأن أي شيء. ذهبت إلى الباب وأومأت بليلة سعيدة عندما غادر. نظرت أمي ومونا في عيني. ظنتا بأني سأخرج من المطبخ والدموع تجري على وجهي. وضعت أمي يديها على كتفي. كانت حلوة ومسكنة، تظن أن الخال فرانك أزعجني.

" لقد جرح مشاعرك،" قالت." أليس كذلك يا فتاي المسكين".

أزحت ذراعيها عني.

" من؟" قلت." ذلك المعتل العقل؟ اللعنة، لا!"

" أنت تبدو كما لو أنك كنت تبكي".

دخلت غرفة النوم واستطلعت عيني في المرآة. كانتا جافتين كعهدهما. تبعتني أمي وبدأت تمسحهما بمنديلها. فكرت، يا للعجب.

" هل لي أن أسأل ماذا تفعلين؟" قلت.

" أيها الفتى المسكين! حسن جداً. أنت محرج. أنا أفهم. أمك تفهم كل شيء".

" لكني لا أبكي!" خاب ظنها والتفتت مبتعدة.

الفصل السادس

إنه الصباح، موعد النهوض، لذا انهض آرتورو، وابحث عن عمل. اخرج وابحث عما لن تجده أبداً. أنت لص وقاتل سرطانات وعاشق للنساء في حجرة الملابس. لن تجد عملاً أبداً!

يصحبني شعوز مشابه كل صباح عندما أنهض. الآن عليَّ أن أجد عملاً، اللعنة وإلى الجحيم. تناولت الفطور، تأبطت كتاباً، ووضعت أقلاماً في جيبي، وانطلقت. نزلت الدرج، هبطت الشارع، تارة يكون الطقس حاراً وتارة بارداً، تارة ضبابياً وتارة صافياً. لم يهم يوماً، بكتاب تحت ذراعي، باحثاً عن عمل. أي عمل آرتورو؟ عجباً! عمل من أجلك؟ فكر فيها أنت عليه يا فتاي! قاتل سرطانات. لص. أنت تنظر إلى نساء عاريات في حجرة الملابس. وتتوقع الحصول على عمل! كم هو مضحك! لكن ها هو يمضي، الأبله مع كتاب كبير. إلى أي شيطان تمضي آرتورو؟ لماذا تصعد هذا الشارع وليس ذاك؟ لماذا تذهب شرقاً وليس غرباً؟ أجبني، أيها اللص! من سيمنحك عملاً أيها الخنزير-من؟ لكن هناك حديقة عامة في البلدة، آرتورو. تسمى حديقة بانينج. هناك الكثير من أشجار الأوكاليبتوس الجميلة والمسطحات الخضراء. يا له من مكان مناسب للقراءة! اذهب إليه آرتورو. اقرأ نيتشه. اقرأ شوبنهاور. صاحب الجبار. عمل؟ حماقة! اجلس تحت شجرة أوكاليبتوس واقرأ كتاباً بحثاً عن عمل. ومع ذلك بحثت عدة مرات عن عمل. كان هناك متجر الخمسة عشر سنتاً. وقفت وقتاً طويلاً أمام الواجهة أنظر إلى كومة

الفستق المحلى. ثم دخلت.

" المدير، من فضلك".

قالت الفتاة: " إنه في الأسفل".

أعرفه. كان اسمه تريسي. نزلت الدرج القاسي، متسائلاً عن سبب كونه بهذه القسوة، وعند أسفل الدرج رأيت السيد تريسي. كان يسوي ربطة عنقه الصفراء أمام المرآة. رجل لطيف، السيد تريسي ذاك. مثار استحسان. ربطة عنق جميلة، حذاء أبيض، قميص أزرق. رجل ممتاز، حظوة هو العمل عند رجل مثله. كان فيه شيء ما، كان لديه el vital الحيوية. آه، بيرجسون! كان بيرجسون كاتب عظيم آخر. " مرحباً، سيد تريسي".

" نعم، ماذا تريد؟"

" كنت سأسألك-"

" لدينا استمارات فارغة من أجل ذلك. لكنها لن تفيد. لسنا في حاجة إلى عمال".

صعدت الدرج القاسي. يا له من درج غريب! شديد القسوة، شديد الإحكام! ربما اختراع جديد في صناعة الأدراج. آه، أيها الجنس البشري! ماذا ستفكر بعد ذلك! تقدم. أؤمن في واقعية التقدم. تريسي ذاك. ذلك الحقير، القذر، ابن العاهرة السيئ! هو وربطة عنقه الصفراء الحمقاء واقف أمام مرآة مثل قرد ملعون: ذلك الوغد بابت البرجوازي. ربطة عنق صفراء! تخيل. أوه، لم يخدعني. عرفت شيئاً أو اثنين عن ذلك الرجل. ذات ليلة كنت هناك، في المرفأ، ورأيته. لم أنبس بكلمة، لكنني أظن بأني رأيته هناك في سيارته، أبجر كخنزير، وفتاة بجانبه. رأيت أسنانه الكبيرة في ضوء القمر.

جلس هناك تحت بطنه، أبله بثلاثين دولاراً أسبوعياً، بابت السمين النذل

بأحشاء متدلية وفتاة إلى جانبه، مومس، عاهرة، بغي بجانبه، أنثى حقيرة. أمسك بيد الفتاة بأصابعه السمينة. بدا متحمساً بطريقته الخنزيرية، ذلك النذل السمين، ذلك المنتن، مثير للاشمئزاز أبله بثلاثين دولاراً في الأسبوع لجرذ، وأسنانه الكبيرة تلوح في ضوء القمر،انسحقت محفظته الكبيرة أمام عجلة القيادة، عيناه القذرتان سمينتان ومنتنتان بأفكار بدينة عن علاقة غرامية سمينة. لم يكن ليخدعني، لن يكون في وسعه خداعي. يمكنه خداع تلك الفتاة، لكن ليس آرتورو بانديني، لن يوافق آرتورو بانديني على العمل عنده في ظل أي ظرف، يوماً ما ستتم تصفية الحساب. ربما يتضرع، وربطة عنقه الصفراء تتجرجر في الغبار، ربما يتضرع لآرتورو باندينى، راجياً أن يقبل آرتورو العظيم عملاً، وآرتورو باندينى سيرفسه في بطنه بفخر ويراقبه يتلوى في الغبار. سيدفع الثمن، سيدفع الثمن!

خرجت إلى معمل فورد. ولم لا؟ فورد يحتاج إلى الرجال. باندينى في شركة فورد للسيارات. أسبوع في قسم، ثلاثة أسابيع في آخر، شهر في آخر، ستة أشهر في آخر. سنتان، وسأكون مديراً في قيادة القسم الغربي.

تعرج الرصيف في الرمل الأبيض، طريق جديد مثقل بغاز أحادي أكسيد الكربون. كانت في الرمل أعشاب بنية وجنادب. تلألأت قطع من الأصداف بين الأعشاب. كانت أرض من صنع الإنسان، مسطحة ومشوشة، أكواخ غير مطلية، أكوام من ألواح خشبية، أكوام من علب الصفيح، حفارة نفط وحاملات مقانق، حاملات فاكهة ورجال مسنون على جانبي الطريق يبيعون الفشار. في الأعلى تطلق أسلاك الهاتف الثقيلة صوت همهمة كلما حل الهدوء في ضجيج حركة السير. فاحت من حوض القناة الموحلة رائحة الدفر الكثيفة من النفط وغثاء وحمولة غريبة.

مشيت على طول الطريق مع الآخرين. فرشوا الطرقات بإبهاماتهم.

كانوا شحاذين بأصابع مهتزة وابتسامات مثيرة للشفقة، يشحذون الفتات على عجلات. لا عجب. لكن ليس أنا-ليس آرتورو بانديني، بساقيه الجليلتين. لا يليق به هذا الاستجداء. دعهم يبخلوا بالعطف علي! دعهم يذهبوا تسعين ميلاً في الساعة وأملأ أنفي بعوادمهم. يوماً ما سيكون كل شيء مختلفاً. ستدفعون ثمن هذا، جميعكم، كل سائق على طريقه. لن أركب في حافلاتكم حتى لو خرجتم وتوسلتموني، وقدمتم لي سيارة لأحتفظ بها، مجاناً ودون أي التزام مقابل. سأموت على الطريق أولاً. لكن زمني سوف يأتي، وحينها سترون اسمي في السماء. حينها سوف ترون، جميعكم! أنا لا ألوح مثل الآخرين، بإبهام معوج، لذا لا تتوقفوا. أبداً! لكنكم ستدفعون الثمن بالرغم من ذلك.

لن يقدموا لي توصيلة. لقد قتل ذلك الرجل هناك السرطانات، لماذا نوصله؟ هو يحب سيدات الصحف في خزانة الملابس. فكر في ذلك! لذا لا تمنحه توصيلة، ذلك الفرانكشتاين، ذلك العلجوم على الطريق، ذلك العنكبوت الأسود، الأفعى، الكلب، الجرذ، الأحمق، الوحش، الأبله. لن يعطوني توصيلة، حسناً-وماذا يعني! وانظر إذا كنت أهتم! إلى الجحيم بكم جميعاً! إن هذا يناسبني على نحو ممتاز. أحب أن أمشي على هاتين الساقين اللتين منحني إياهما الله، وحق الله سوف أمشي. مثل نيتشه. مثل كانط. عمانوئيل كانط. ماذا تعرفون عن عمانوئيل كانط؟ أيها الحمقى في سيارتكم الشفروليه وسيارات السباق!

عندما وصلت إلى المنشأة وقفت بين الآخرين. تجولوا في كتلة سميكة أمام منصة خضراء. الوجوه المتوترة، الباردة. ثم خرج رجل. لا عمل اليوم، أيها الرجال. ومع ذلك كان هناك عمل أو اثنان، إذا كنتم تستطيعون الطلاء، إذا كنتم تعرفون شيئاً عن النقل، إذا كانت لديكم الخبرة، إذا سبق أن عملتم

في مصنع ديترويت.

لكن لم يكن من عمل لآرتورو بانديني. فهمت ذلك من نظرة، ولم أكن لأدعهم يرفضونني. كنت مستمتعاً. هذه فرجة، أمتعني مشهد الرجال أمام المنصة هذا. أنا هنا لسبب خاص، سيدي: مهمة سرية، إذا جاز لي القول، فقط للتأكد من ظروف تخص تقريري. أرسلني رئيس الولايات المتحدة الأميركية. فرانكلين ديلانو روزفلت، أرسلني. كنا فرانك وأنا-هكذا! دعني أعرف واقع الحال على ساحل المحيط الهادئ، آرتورو، أرسل لي وقائع مباشرة وأرقام، دعني أعرف بطريقتك الخاصة ما تفكر فيه الجماهير هناك.

وهكذا كنت متفرجاً. الحياة منصة. ها هنا مسرحية، فرانكلين الولد الكبير، الصديق الكبير، الضربة الكبيرة، هنا مسرحية قاسية في قلوب الرجال. سوف أعلم البيت الأبيض في الحال. برقية مشفرة لفرانكلين. فرانك: اضطراب على شاطئ المحيط الهادئ. أنصحك بإرسال عشرين ألف رجل مسلح، السكان في رعب. حالة خطرة. شركة فورد في دمار. سنتولى الأمر شخصياً. كلمتي نافذة هنا. زميلك القديم، آرتورو.

كان هناك رجل مسن يستند إلى الجدار. كان أنفه يسيل واضحاً على طرف ذقنه، لكنه كان سعيداً ولم يعرف بذلك. لقد أمتعني. متعة كبيرة، هذا العجوز. عليَّ أن أكتب ملحوظة عن هذا لفرانكلين، هو يحب الحكايات الطريفة. عزيزي فرانك: ستموت لو رأيت هذا العجوز! كم سيحب فرانكلين هذا، يقهقه وهو يكرر للأعضاء في مجلسه. قولوا أيها الفتية، هل سمعتم آخر الأخبار من الصديق آرتورو على ساحل المحيط الهادئ؟ لقد تجولت جيئة وذهاباً، طالباً من الجنس البشري، فيلسوف، خلف العجوز ذي الأنف المسرف. فيلسوف غربي يتأمل المشهد الإنساني.

ابتسم العجوز وابتسمت. نظرت إليه ونظر إلي.. من الواضح أنه لم

يعرفني. لا شك في أنه اختلط عليه أمري مع بقية المجموعة. هذا ممتع جداً، تسلية عظيمة أن تسافر باسم مستعار. فيلسوفان يبتسم أحدهما للآخر بكآبة على قدر الإنسان. كان مستمتعاً حقاً، أنفه المسن يسيل، عيناه الزرقاوان تطرفان بضحك هادئ. ارتدى رداءً خاصاً بالعمل[1] أزرق اللون غطاه تماماً. كان يحيط بخصره حزام لم يكن منه فائدة على أي حال، ملحق عديم الفائدة، فقط حزام لا يسند شيئاً، وليس حتى بطنه، لأنه كان نحيلاً. ربما نزوة منه، شيء يضحكه عندما ارتدى ثيابه في الصباح. شع وجهه بابتسامة عريضة، داعياً إياي لأن أتقدم وأدلي برأي إذا أحببت، كنا روحين متآخيتين، هو وأنا، ولا شك في أنه رأى ما وراء قناعي وتعرف على شخص عميق ومهم، شخص وقف بعيداً عن الجمع.

"ليس الكثير اليوم،" قلت." الوضع كما أراه، يزداد خطورة يومياً".

هز رأسه بابتهاج، يسيل أنفه المسن بسعادة، أفلاطون مصاب بالبرد. رجل طاعن في السن، ربما في الثمانين، بأسنان اصطناعية، وبشرة مثل حذاء قديم، حزام بلا معنى وابتسامة رابطة الجأش. جال جمع الرجال القاتم من حولنا.

" خراف!" قلت." للأسف، إنهم خراف! ضحايا الاحتشام المفرط والنظام الأميركي، عبيد أنذال للبارون السارق[2]. عبيد، أقول لك! لن أعمل في هذا المصنع إذا كان يقدم لي على طبق من ذهب! اعمل في هذا النظام وافقد روحك. لا شكراً. وماذا ينفع الإنسان إذا ربح العالم وخسر نفسه؟"

أومأ، ابتسم، وافق، أومأ مرة أخرى. تحمست. موضوعي المفضل.

1- Overall

2- وهو مصطلح ظهر في القرن التاسع عشر يحط من قدر رجال الأعمال الأميركيين ممن يقومون بممارسات استغلالية لزيادة ثرواتهم.

شروط العمل في عصر الآلة، موضوع لعمل مستقبلي.

" خراف، أقول لك! الكثير من الخراف الجبانة!" لمعت عيناه. أخرج غليوناً وأشعله. أصدر الغليون رائحة نتنة. عندما أخرجه من فمه انتظمت في إثره المادة اللزجة من أنفه. مسحها بإبهامه ومسح إبهامه بساقه. لم يزعج نفسه بمسح أنفه. لا وقت لذلك عندما يتحدث بانديني.

" إنه يمتعني،" قلت." المشهد مضحك جداً. خراف تُجز أرواحها. مشهد فكاهي فاجر. عليَّ أن أضحك." وضحكت إلى أن انتهى الضحك. وهو ضحك أيضاً، لاطماً فخذيه وصارخاً بنبرة عالية حتى امتلأت عيناه بالدمع. هنا كانَ رجل على غرار قلبي، رجل ظريف ظرفاً كونياً، لا شك أنه رجل واسع الاطلاع بالرغم من ردائه وحزامه عديم النفع. أخرج من جيبه كراسة وقلماً وكتب على الكراسة. الآن عرفت: كان كاتباً أيضاً، بالتأكيد! السر انفضح. انتهى من الكتابة وناولني الملحوظة.

كتب فيها: أرجوك اكتب هنا. أنا أصم تماماً.

لا، لم يكن هناك عمل لآرتورو بانديني. غادرت وأنا أشعر بتحسن، سعيد بذلك. عدت وأنا أتمنى لو أني أملك طائرة، أو مليون دولار، أتمنى لو أن الأصداف كانت ألماساً. سأذهب إلى الحديقة. أنا لست خروفاً.اقرأ نيتشه. كن إنساناً متفوقاً. هكذا تكلم زرادشت. أوه يا لهذا النيتشه! لا تكن خروفاً، بانديني. احفظ حرمة عقلك. اذهب إلى الحديقة واقرأ للمعلم تحت أشجار الأوكاليبتوس.

الفصل السابع

أفقت ذات صباح وفي رأسي فكرة. فكرة كبيرة بحجم منزل. أعظم أفكاري على الإطلاق، تحفة. سأجد عملاً كموظف ليلي في فندق-تلك كانت الفكرة. هذا قد يمنحني الفرصة للقراءة والعمل في نفس الوقت. قفزت من السرير، ابتلعت طعام الفطور ونزلت الدرج ست درجات في كل مرة. وقفت على الرصيف للحظة وتأملت عميقاً في فكرتي. لفحت الشمس الطريق، تلهب عيني وتوقظني. غريب. بعد أن تيقظت تماماً ولم تعد تبدو الفكرة جيدة جداً، واحدة من تلك الأفكار التي تراود المرء بين النوم واليقظة. حلم، حلم وحسب، تفاهة. لن أتمكن من الحصول على عمل كموظف ليلي في هذه البلدة الساحلية لسبب بسيط هو عدم وجود فندق يستخدم موظفين ليليين فيها. استدلال حسابي-واضح بما فيه الكفاية. عدت صاعداً الدرج إلى الشقة وجلست.

" لماذا تجري بهذا الشكل؟" سألتني أمي.

" كي أتمرن. أمرن ساقي".

كانت النهارات ضبابية. وحسب الليالي أنها ليالٍ. لم يغير توالي الأيام من أمرها شيئاً، تشرق الشمس الذهبية ثم تغرب. كنت وحيداً دوماً. كان تَذكر هذه الرتابة شاقاً. لم تكن الأيام لتتقدم. انتصبت مثل أحجار رمادية. مر الوقت ببطء. زحف شهران.

كانت الحديقة دوماً. قرأت مئة كتاب. كان هناك نيتشه وشوبنهاور

وكانط وسبنجلر وستراتشي وآخرون. أوه سبنجلر! يا له من كتاب! يا له من وزن! يعادل دليل هاتف لوس أنجلس. قرأته يوماً تلو آخر، ولم أفهمه أبداً، كذلك لم أهتم قط، لكنني قرأته لأني أحببت الكلمات تمرّ متوالية تزحف عبر الصفحات مصدرة قرقرات غامضة كئيبة. وشوبنهاور! يا له من كاتب! قرأته لأيام وأيام، متذكراً قليلاً هنا وقليلاً هناك. ويا لها من أمور حول النساء! اتفقت معها. مشاعري بالضبط حول المسألة. آه يا رجل، يا له من كاتب!

عندما كنت أقرأ في الحديقة. استلقيت على المرج. كان هناك نمل صغير أسود بين أوراق العشب، نظر نحوي، وهو يدب على الصفحات، يتساءل بعض منه عما أفعله، والآخرون يواصلون طريقهم بغير اكتراث. زحفوا على ساقي، مربكين في غابة الشعر البني، رفعت سروالي وقتلتهم بإبهامي. لقد بذلوا أقصى ما في وسعهم ليهربوا، يغوصون دخولاً وخروجاً من العليق بهياج، أحياناً يتوقفون كما لو ليخدعوني بجمودهم، لكن لا، لن يهربوا من وعيد إبهامي بكل ما أوتوا من حيل. يا لها من نمال حمقاء! نمل برجوازي! في محاولتهم أن يستغفلوا شخصاً تغذى عقله على لحم سبنجلر وشوبنهاور والعظماء! كان قدرهم المشؤوم-انحطاط حضارة النمل. وهكذا قرأت وقتلت النمل.

كان كتاباً بعنوان "يهود دون مال". يا له من كتاب! يا لها من أم في ذلك الكتاب! حولت نظري عن المرأة على الصفحات وهناك أمامي على المرج كانت امرأة تنتعل حذاءً قديماً مجنوناً تحمل سلة في ذراعيها. كانت حدباء حلوة الابتسام. ابتسمت بعذوبة على أي شيء، لم تتمكن من كبحها، الأشجار، أنا، العشب، أي شيء. جذبتها السلة نحو الأسفل، تجرها نحو الأرض. كانت امرأة ضئيلة الحجم إلى أبعد حد، بوجه مجروح، كما لو أنه تلقى صفعات لا

نهاية لها. ارتدت قبعة قديمة مضحكة، قبعة سخيفة، مغضبة، قبعة تبكيني، قبعة على حافتها توت عليق أحمر باهت اللون. وهناك كانت، تبتسم على كل شيء، تجاهد عبر البساط مع سلة ثقيلة لا يعرف إلا الرب ما في داخلها، ترتدي قبعة مزينة بتوت العليق الأحمر. نهضت. كان أمراً مبهماً للغاية. كنت واقفاً هناك كالسحر، قدماي على الأرض، وعيناي مبللتان.

قلت: " دعيني أساعدك".

ابتسمت ثانية وأعطتني السلة. بدأنا نمشي. تقدمتني. كان الجو خانقاً خلف الأشجار. وابتسمت. كانت ابتسامتها حلوة جداً حتى أنها كادت تطيح برأسي. تحدثت وقالت لي أشياء لم أتذكرها أبداً فلم تكن على شيء من الأهمية. استوقفتني في حلم، حالماً تبعتها تحت شمس مبهرة. تقدمنا على مدى شوارع. أملت ألا ينتهي هذا أبداً. تحدثت دوماً بصوت منخفض من موسيقى بشرية. يا لها من كلمات تلك التي نطقت بها! لا أتذكر شيئاً. حسبي أني كنت سعيداً. لكن في قرارة قلبي كنت أحتضر. كان لا بد من أن يكون كذلك. عبرنا بكثير من الشجيرات، تساءلت لماذا لم تجلس على واحدة وتمسك رأسي بينها أنجرف بعيداً. كانت الفرصة التي لن تتكرر. تلك المرأة المسنة بظهرها المقوس! أيتها العجوز، أشعر بأن ألمك مبهج للغاية. اطلبي مني معروفاً، أيتها العجوز! أي شيء. الموت سهل. اطلبيه. البكاء سهل، ارفعي تنورتك ودعيني أبكي ودعي أدمعي تغسل قدميك لأجعلك تعرفين بأني أعرف أي حياة عشتِ، لأن ظهري محني أيضاً، لكن قلبي مخلص، دموعي لذيذة، حبي لك، لأمنحك الفرح الذي فشل الرب في منحك إياه. الموت سهل للغاية ولك أن تأخذي حياتي إذا ما تمنيتها، أيتها المرأة العجوز، لقد آلمتني كثيراً، حقاً، سوف أفعل أي شيء من أجلك، أموت من أجلك، دم سنواتي الثماني عشرة يتدفق في ميازيب ويلمنجتون وينزل إلى البحر من

أجلك، ربما تجدين فرحاً يشبه فرحي الآن وتقفين منتصبة دون رعب ذلك الانحناء.

تركت العجوز عند بابها.

تلألأت الأشجار. ضحكت الغيوم. استغرقتني السماء الزرقاء. أين أنا؟ هل هذه ويلمنجتون، كاليفورنيا؟ هل سبق أن كنت هنا؟ حرك لحن قدمي. ارتفع الهواء حاملاً آرتورو، يتنفسه ويجعله شيئاً ولا شيء. ضحك قلبي كثيراً. وداعاً لنيتشه ولشوبنهاور ولجميعكم، أيها الحمقى، أنا أعظم بكثير منكم جميعاً! تجري عبر أوردتي موسيقى الدم. هل ستدوم؟ لا يمكنها أن تدوم. لا بد أن أُسرع. لكن إلى أين؟ وركضت نحو البيت. الآن أنا في البيت. تركت الكتاب في الحديقة. ليذهب إلى الجحيم. لست في حاجة إلى مزيد من الكتب. قبلت أمي. تشبثت بها بشغف. نزلت على ركبتي عند قدميها وقبلتهما وتشبثت بكاحليها إلى حد آلمها بالضرورة وذهلت من كوني أنا.

" سامحيني،" قلت. " سامحيني، سامحيني ".

" أنت؟" قالت. " بالتأكيد. لكن لم؟"

آخ! يا لها من امرأة حمقاء! كيف لي أن أعرف السبب؟ آخ! يا لها من أم. رحلت الغرابة. نهضت على قدمي. شعرت بأني أحمق. توردت في حمام دم بارد. ما كان هذا؟ لم أعرف. وجدت الكرسي في نهاية الغرفة وجلست. كانت يداي في الطريق، يدان حمقاوان! ملعونتان! لقد فعلت شيئاً بهما، أبعدتهما جانباً إلى ثمة مكان. أنفاسي. هسهست رعباً وخوفاً من شيء ما. لم يعد قلبي ممزقاً في صدري، بل متضائلاً، يزحف عميقاً في ظلمة حناياي. عميقاً. راقبتني أمي مذعورة، تخشى الكلام، تظن بأني غاضب.

" ما هذا؟ آرتورو! ما الأمر؟"

" ليس من شأنك".

" هل أستدعي الطبيب؟"

" أبداً".

" أنت تتصرف بغرابة شديدة. هل أنت موجوع؟"

" لا تتحدثي إلي. أنا أفكر".

" لكن ما هذا؟"

" لن تعرفي. أنت امرأة".

الفصل الثامن

توالت الأيام. مر أسبوع. كانت الآنسة هوبكنز في المكتبة كل أصيل، تطوف على ساقين بيضاوين في طيات فساتينها الفضفاضة في جو من الكتب والأفكار المنعشة. راقبت. كنت مثل صقر. لم تفتني حركاتها وسكناتها.

ثم جاء يوم عظيم. يا له من يوم!

كنت أراقبها عبر ظلال الرفوف المعتمة. أمسكت كتاباً، واقفة خلف مكتبها كجندي، أكتافها للخلف، تقرأ الكتاب، وجهها بغاية الجدية والنعومة، تتبع عيناها الرماديتان خطوط السطور المتتابعة. كانت عيناي متحمستين وجائعتين لدرجة روَّعتها. رفعت بصرها بغتة وكان وجهها شاحباً مصدوماً من شيء مخيف بجانبها. رأيتها تبلل شفتيها، ثم ابتعدت. بعد فترة نظرت ثانية. كان كالسحر. ارتعشت ثانية، تلفتت حولها بانزعاج، وضعت أصابعها الطويلة على حنجرتها، تنهدت، وبدأت تقرأ. بضع لحظات ونظرت مرة أخرى. لا تزال ممسكة بذلك الكتاب. لكن ما كان ذلك الكتاب؟ لم أعرف، لكن لا بد أن أمتلكه لكي تتبع عيني الطريق الذي تبعته عيناها من قبلي.

حل المساء في الخارج، تطرز الشمس الأرض بالذهب. عبرت المكتبة بساقين بيضاوين صامتتين كالأشباح نحو النوافذ ورفعت الستائر. لوَّح ذلك الكتاب في يدها اليمنى، يحف بفستانها وهي تمشي، في يديها، يدي الآنسة هوبكنز البيضاوين الخالدتين، ضاغطاً على النعومة البيضاء الدافئة

التي لأصابعها المتشبثة.

يا له من كتاب! لا بد من أن أحصل على ذلك الكتاب! يا رب، أريده، لأمسكه، لأقبله، لأسحقه على صدري، ذلك الكتاب طازج من أصابعها، بصمة أصابعها الدافئة نفسها ربما لا تزال عليه. من يعلم؟ ربما تعرقت أصابعها وهي تقرأه. رائع! ثم لا بد من أن تكون بصمتها عليه. لا بد من ذلك. سأنتظر إلى الأبد. وهكذا انتظرت حتى الساعة السابعة، لأرى كيف أمسكت بالكتاب، الوضعية الدقيقة لأصابعها الرائعة التي كانت نحيلة جداً وبيضاء، تماماً على الغلاف الخلفي، لا تبعد أكثر من مسافة إنش عن الأسفل، ربما يدخل عطرها تلك الصفحات ويعطرها من أجلي. إلى أن انتهت أخيراً منه. حملته إلى الرفوف وزلقته في شق موسوم بالسير الذاتية. تمشيت بالقرب، أنشد كتاباً أقرأه، شيء ينشط عقلي، شيء في رتل السيرة الذاتية اليوم، حياة بعض الشخصيات العظيمة، لتلهمني، لترقى بحياتي.

ها هو! أجمل الكتب التي رأيتها على الإطلاق، أكبر من الكتب الأخرى على نفس الرف، كتاب بين الكتب، ملكة السير الذاتية، أميرة الأدب-ذلك الكتاب بغلافه الأزرق. كاثرين أراغون. إذاً هذا هو! ملكة تقرأ ملكة أخرى-طبيعي جداً. وقد تبعَت عيناها الرماديتان مسار تلك الأسطر-ثم سيكون لي. لا بد من أن أحصل عليه-لكن ليس اليوم. سآتي غداً، غداً. حينها ستكون في الخدمة أمينة المكتبة الأخرى، تلك السمينة والقبيحة. ثم سيكون لي، كله لي. وهكذا، حتى اليوم التالي، أخفيت الكتاب خلف كتب أخرى بحيث لا يتمكن أحد من أخذه في غيابي.

ذهبت في وقت مبكر من اليوم التالي عند الساعة التاسعة إلى الشارع الثاني. كاثرين أراغون: امرأة رائعة، ملكة إنجلترا، شريكة فراش هنري الثامن-هذا جل ما كنت أعرفه. لا شك في أن الآنسة هوبكنز قرأت عن

العلاقة الحميمة بين كاثرين وهنري في هذا الكتاب. هل أبهجت تلك الفصول التي تحكي عن الحب الآنسة هوبكنز؟ هل سرت القشعريرة في ظهرها؟ هل تنفست بصعوبة، انتفخ صدرها وسرى في أصابعها وخز مبهم؟ نعم، ومن يعلم؟ ربما صرخت فرحاً وشعرت بإثارة غامضة في مكان ما بداخلها، نداء الأنوثة. نعم حقاً، لا شك في ذلك على الإطلاق. ورائع أيضاً. شيء على جمال عظيم، فكرة لإمعان النظر فيها. وهكذا حصلت على الكتاب، وكان هناك بين يدي.

البارحة أمسكته بأصابعها دافئاً وقريباً، واليوم صار لي. بديع. عمل مصيري. معجزة التعاقب. عندما نتزوج سأحدث الآنسة هوبكنز بالأمر. قد نكون مستلقيين عاريين تماماً في سرير وقد أقبلها على شفتيها وأضحك برفق وبظفر وأقول لها إن البداية الحقيقية لحبي كانت يوم رأيتها تقرأ كتاباً بعينه. وقد أضحك ثانية، تومض أسناني البيضاء، عيناي القاتمتان الرومانسيتان تتوهجان وأنا أخبرها بالتفصيل الممل؛القصة الحقيقية لحبي الأبدي والمثير. ثم قد تقترب مني، نهداها البيضاوان الجميلان تماماً علي، وقد تتدفق دموع على وجهها وأنا أحملها على موجات متتالية من النشوة. يا له من يوم!أدنيت الكتاب من عيني، باحثاً عن أثر لأصابع بيضاء لا تعلو أسفل الكتاب أكثر من إنش. كانت هناك بصمات أصابع في كل مكان. لا يهم إذا كانت لكثر آخرين. هي مع ذلك تخص الآنسة هوبكنز وحدها. قبلتها وأنا سائر نحو الحديقة، وقبلتها كثيراً حتى امحت أخيراً جميعها، ولم تبق على الكتاب سوى بقعة زرقاء رطبة، بينما تذوقت بفمي الطعم الحلو للصبغة الزرقاء. وجدت في الحديقة بقعتي المفضلة وبدأت أقرأ. كان عرش الآنسة هوبكنز قرب الجسر، وصنعت منه مقاماً من غصينات وأوراق العشب.آه، ليتها تعلم بأمره! لكنها في تلك اللحظة كانت في بيتها في لوس أنجلس، بعيدة عن

مشهد عباداتها، ولا تفكر فيه على الإطلاق. زحفت على يدي ورجلي إلى المكان عند حافة بركة السوسن حيث هامت البراغيث والجداجد، وأمسكت جدجداً. جدجداً أسود، سميناً ومعافى، في جسده طاقة كهربائية. وهناك تمدد ذلك الجدجد على يدي، وكنت أنا الجدجد ذاك، أنا آرتورو بانديني، أسود وغير جدير بالأميرة الجميلة البيضاء، وتمددت على بطني وراقبته يدب فوق الأماكن التي مستها أصابعها البيضاء المقدسة، استمتع أيضاً وهو يمر على الطعم الحلو للصباغ الأزرق. ثم حاول أن يهرب. بقفزة كان في طريقه. كنت مجبراً على كسر رجليه. لم يكن هناك من بديل قطعاً.

قلت له: " بانديني، أنا آسف. لكن الواجب يجبرني. الملكة تتمناه-الملكة الغالية."

الآن زحف متألماً، متعجباً مما حدث. أوه أيتها الآنسة هوبكنز البيضاء الجميلة، شاهدي! أوه يا ملكة جميع السماوات والأرض. شاهدي! أنا أدب عند قدميك، جدجداً أسود فحسب، سافل، لا أستحق لقب إنسان. هنا أستلقي بأرجل مكسورة، جدجد أسود تافه، مستعد للموت من أجلك، نعم، أنا الآن على وشك الموت. آه! حوليني إلى رماد! أعطيني شكلاً جديداً! اجعليني رجلاً واقطفي حياتي لمجد الحب الدائم وحسن ساقيك البيضاوين!وقتلت الجدجد الأسود، سحقته حتى الموت بعد وداعات لائقة بين صفحات كتاب كاثرين أراغون، جسده الأسود التافه البائس المسكين يطقطق ويفرقع بنشوة وحب هناك عند ذلك المقام الصغير المقدس للآنسة هوبكنز.

وشاهد! أعجوبة: من الموت تأتي الحياة الأبدية. انبعاث الحياة. لم يعد جدجداً بعد الآن، لكن قوة الحب وجدت طريقها، وكنت أنا ثانية ولم أعد جدجداً، كنت آرتورو بانديني، كانت الآنسة هوبكنز عند شجرة دردار هناك،

ونهضت على ركبتي وأحطت الشجرة بذراعي، أقبلها للحب الأبدي، أمزق اللحاء بأسناني وأبصقه على العشب. استدرت وانحنيت للشجيرات عند حافة البركة. صفقت بتألق، متأرجحة معاً، تصدر حفيفاً معبرة عن بهجتها ورضاها عن المشهد، وتطلب أن أحمل الآنسة هوبكنز بعيداً على أكتافي أيضاً. وهذا ما رفضت أن أفعله، وبغمزات بارعة وحركات مثيرة أخبرتهم عن السبب، لأن الملكة البيضاء الجميلة لا تريد أن تُحمل، من فضلكم، هي تريد بدلاً من ذلك أن تستلقي، وعند ذلك ضحكوا جميعاً وظنوا أني أعظم عاشق وبطل زار بلادهم الجميلة أبداً.

" هل تفهمون يا زفاق. نحن نفضل أن نكون بمفردنا، الملكة وأنا. هناك الكثير من الأمور غير المنجزة بيننا-إذا فهمتم ما أعنيه".

ضحك. وتصفيق عنيف من الشجيرات.

الفصل التاسع

جاء خالي ذات ليلة. أعطى لأمي بعض النقود. لا يمكنه أن يطيل البقاء. قال إن لديه أنباء تسرني. أردت أن أعرف قصده. عمل، قال. أخيراً وجد لي عملا. قلت له إنها ليست بالضرورة أخباراً سارة، لأني لا أعرف أي نوع من الأعمال أتاني به. وعلى هذا أمرني بالسكوت، ثم حدثني عن العمل.

قال:" خذ هذه وقل له إنني أرسلتك".

ناولني مكتوباً كتبه للتو.

" تحدثت إليه اليوم،" قال." كل شيء على ما يرام. افعل ما قيل لك، ولا تفتح فمك الأحمق، وهو سيحتفظ بك باستمرار".

" يجب عليه ذلك،" قلت." أي مصاب بجنون الاضطهاد يمكنه أن يعمل في مصنع التعليب".

" سنرى في هذا الأمر،" قال خالي. ركبت الحافلة المتجهة إلى المرفأ صباح اليوم التالي. كان يبعد عن منزلنا سبعة شوارع فقط، لكن طالما أني كنت ذاهباً لأعمل فكرت في أنه من الأفضل ألا أرهق نفسي بالمشي طويلاً. نتأت شركة سويو للسمك من القناة مثل حوت ميت أسود. انبثق بخار من الأنابيب والنوافذ.

جلست فتاة في المكتب الرئيس. كان مكتباً غريباً. جلست هذه الفتاة إلى المكتب الفارغ من الأوراق أو الأقلام. كانت قبيحة لها أنف معقوف ترتدي

نظارات وتنورة قصيرة. جلست إلى المكتب لا تفعل شيئاً قطعاً، لا يوجد جهاز هاتف، وليس أمامها حتى قلم.

" مرحباً،" قلت.

" هذا ليس ضرورياً،" قالت." ماذا تريد".

قلت لها إنني أريد رؤية رجل يدعى شورتي نايلور. لدي مكتوب من أجله. أرادت أن تعرف مضمونه. أعطيتها وقرأته. " بداعي الشفقة،" قالت. ثم طلبت مني الانتظار دقيقة. نهضت وخرجت. التفتت عند الباب وقالت:" لا تلمس شيئاً من فضلك." قلت لها إنني لن أفعل. لكن عندما نظرت لم أر شيئاً ألمسه. كان هناك في الزاوية على الأرض عدد كبير من علب السردين. هذا كل ما استطعت رؤيته في الغرفة، فيما عدا المكتب والكرسي. مجنونة، فكرت، معتوهة.

وفيم كنت أنتظر شعرت بشيء. فجأة بدا النتن في الهواء يبتلع معدتي. دفع معدتي حتى حلقي. استندت للوراء، شعرت بالامتصاص. وبدأت أشعر بالخوف. كان مثل مصعد يهبط بسرعة كبيرة.

ثم عادت الفتاة. كانت بمفردها. لكن لا-لم تكن بمفردها. كان في إثرها رجل ضئيل لم أره حتى تنحت جانباً. كان هذا شورتي نايلور. أكثر قصراً مني بكثير. نحيلاً جداً. عظما ترقوته بارزان. لم يكن في فمه أسنان تستحق الذكر، فقط واحد أو اثنان كانا أسوأ من عدمهما. كانت عيناه مثل محارات قديمة على صفحة جريدة. تكتلت عصارة التبغ عند طرفي فمه فأصبحت مثل شوكولا جامدة. كانت له هيئة جرذ ينتظر. بدا أنه لم يتعرض يوماً للشمس، كان وجهه شديد الشحوب. لم ينظر في وجهي بل إلى بطني. تساءلت عما رآه هناك. أخفضت بصري. لم يكن هناك شيء، بطن فحسب، ليس أكبر من

غيره ولا يستحق التعليق. أخذ المكتوب من يدي. كانت أظافره مقروضة حتى أرومتها. قرأ المكتوب بشدة، منزعج للغاية، دهكه، ودسه في جيبه.

" الأجر خمسة وعشرون سنتاً في الساعة،" قال.

"هذا غير معقول وشرير".

"بأية حال، هو كذلك".

كانت الفتاة جالسة على المكتب تراقبنا. تبتسم لشورتي. كان كما لو أن هناك ثمة مزحة. لم أتمكن من رؤية شيء مضحك. رفعت أكتافي. كان شورتي جاهزاً للعودة من الباب الذي دخل منه.

" الأجر قليل الأهمية،" قلت." المعلومات في القضية تجعل المسألة مختلفة. أنا كاتب. أشرح المشهد الأمريكي. ليس غرضي هنا جمع المال بل جمع المواد لكتابي القادم عن مسامك كاليفورنيا. موردي بالتأكيد أكبر مما سأحصل عليه هنا. لكن ذلك كما أتصور ليس على قدر كبير من الأهمية في هذه اللحظة على الإطلاق."

" لا،" قال." الأجر خمسة وعشرون سنتاً في الساعة".

" لا يهم. خمسة سنتات أو خمسة وعشرون. في ظل الظروف، لا يهم في النهاية. على الإطلاق. أنا كاتب كما أقول. أفسر المشهد الأميركي. أنا هنا لأجمع مواد لعملي الجديد".

" أوه بحق المسيح!" قالت الفتاة مديرة ظهرها." حباً بالله أخرجه من هنا".

" لا أحب الأميركيين في طاقم عملي،" قال شورتي." لا يعملون بجد مثل الفتية الآخرين".

" آه،" قلت." هنا أنت مخطئ، سيدي. جنسيتي عالمية. لا أقسم بالولاء لأي علم".

" يا يسوع،" قالت الفتاة.

لكنها كانت قبيحة. لن يقدر شيء مما تقوله على مضايقتي. كانت قبيحة جداً.

" لا يمكن للأميركيين تحمل المكان،" قال شورتي." ما أن يفوق العمل قدرتهم على التحمل حتى يغادروا".

" مثير للاهتمام، يا سيد نايلور."طويت أذرعي واستقريت على كعبي." مثير للاهتمام جداً ما تقوله هناك. جانب سوسيولوجي آسر عن حالة مصانع التعليب. سيحتل ذلك جزءاً كبيراً من كتابي بشكل مفصل وهوامش. سأقتبس كلامك فيه. نعم، حقاً".

قالت الفتاة شيئاً غير صالح للتدوين. كشط شورتي مقداراً ضئيلاً من فضالة جيب من كيس تبغ وقضم قطعة كبيرة. قطعة كبيرة تملأ فمه. كان يصغي إليَّ بصعوبة، عرفت من الطريقة المرتابة التي مضغ بها التبغ. جلست الفتاة إلى المكتب يداها مطويتان أمامها. التفت كلانا ونظر نحو الآخر. وضعت أصابعها إلى أنفها وضغطتها. لكن التحديق لم يزعجني. كانت قبيحة للغاية.

" هل تريد العمل؟" قال شورتي.

" نعم، بمقتضى الظروف. نعم".

" تذكر: العمل صعب، ولا تنتظر مني أي عطف. لولا خالك لم أكن لأوظفك، لكن هذا جل ما أقدمه. أنا لا أحبكم أيها الأميركيون. أنتم كسالى. عندما تتعبون تتركون العمل. تتسكعون كثيراً".

"أنا أتفق معك بالتمام، يا سيد نايلور. أتفق معك كلياً. الكسل، إذا سمح لي أن أكون منحازاً، هو التشخيص الرائع للمشهد الأميركي. هل توافقني؟"

" ليس عليك أن تدعوني بالسيد. سمني شورتي. هذا هو اسمي".

" بالتأكيد، سيدي! لكن بالطبع، بالتأكيد!وقد أقول إن شورتي هو لقب أكثر حيوية-أمركة نموذجية. نصادفها نحن الكتاب باستمرار".

فشل هذا في إمتاعه أو التأثير عليه. تلوت شفته. إلى المكتب كانت الفتاة تدمدم." لا تسمني سيد، أيضاً،" قال شورتي." لا أحب شيئاً من هذا الهراء المتعجرف".

"أخرجه من هنا،" قالت الفتاة.

لكن هيهات أن تزعجني تعليقات امرأة قبيحة جداً. لقد أضحكتني. يا له من وجه قبيح وجهها! كان مسلياً جداً بما يعجز الوصف عنه. ضحكت وربت على ظهر شورتي. كنت قصيراً، لكني كنت فارع الطول بالنسبة إلى هذا الرجل الضئيل. شعرت بالعظمة-مثل عملاق.

" مسلٍ جداً، شورتي. أحب حس النكتة الفطري عندك. مسل جداً. مسل جداً حقاً." وضحكت ثانية." مضحك جداً. يا له من مضحك".

" لا أرى شيئاً مضحكاً،" قال.

" لكنه كذلك! إذا كنت تتبعني".

" إلى الجحيم به. اتبعني أنت".

" أوه، أنا أتبعك، حسن جداً. أتبعك".

" لا،" قال." أعني أنت اتبعني الآن. سأضعك في فريق التغليف".

التفتت الفتاة ونحن نعبر الباب الخلفي لتراقبنا. "وابق بعيداً عن هنا!" قالت. لكني لم أبال بها على الإطلاق. كانت قبيحة جداً.

كنا داخل مشاغل التعليب. كانت المباني الحديدية المضلعة مثل زنزانة مظلمة حارة. تقطر الماء من العوارض. تدلت أكوام من أبخرة بيضاء وبنية منتفخة في الهواء: كانت الأرض الخضراء زلقة من زيت السمك. مشينا في الغرفة الطويلة حيث وقفت النساء المكسيكيات واليابانيات أمام طاولات يخرجن أحشاء سمك الإسقمري بسكاكين خاصة بهذا الغرض. كانت النساء ملتفات في بذل ثقيلة من المشمع أقدامهن مغلفة في جزم مطاطية تعلو الكاحل بين أحشاء السمك.

كانت الرائحة الكريهة لا تطاق. اضطربت فجأة كالغثيان من الماء الساخن والخردل. بعد أن سرت عشر خطوات أخرى في الغرفة شعرت بأن فطوري قادم، وانحنيت لأخرجه. هرع في داخلي خارجاً على شكل كتلة. ضحك شورتي. ضرب ظهري بعنف مقهقهاً. ثم بدأ الآخرون. كان الرئيس يضحك على شيء وهكذا فعل الآخرون. كرهت الأمر. رفعت النساء أبصارهن عن عملهن لترين وضحكن. يا للتسلية! في وقت العمل أيضاً! انظر الرئيس يضحك! شيء ما يجب أن يحدث. ثم سنضحك أيضاً. توقف العمل في غرف التقطيع. كان الجميع يضحكون. الجميع ما عدا آرتورو بانديني.

لم يكن آرتورو بانديني يضحك. كان يتقيأ أحشاءه على الأرض. كرهتهم جميعاً، وتعهدت بالانتقام، ترنحت مبتعداً، أردت أن أختفي في مكان ما. أمسك شورتي بذراعي وقادني نحو باب آخر. استندت على الجدار والتقطت أنفاسي. لكن النتن هاجم ثانية. دوَّمت الجدران، ضحكت النساء، وشورتي ضحك، وكان الكاتب العظيم آرتورو بانديني يجيش من جديد. يا له من

جيشان!ستذهب النساء إلى البيت الليلة ويتحدثن عنه في منازلهن. ذلك الرجل الجديد! يجب أن تراه! وكرهتهم وتوقفت عن الجيشان للحظة لأفكر وأسر لأن هذا كان أعظم شعور بالكراهية ساورني في حياتي.

" هل تشعر بتحسن؟" قال شورتي.

" بالتأكيد،" قلت." لم يكن شيئاً مهماً. معدة فنية مفرطة الحساسية. لا شيء فحسب. شيء أكلته، إذا شئت".

" هذا صحيح!"

عدنا إلى الغرفة. كانت النساء لا تزال تضحك في الوقت المخصص للعمل. عند الباب التفت شورتي نايلور وجعل وجهه متجهماً. لاشيء أكثر. تجهم وحسب. توقفت جميع النساء عن الضحك.انتهى العرض. وعدن إلى العمل.

الآن كنا في الغرفة حيث توضع اللصاقات على العلب. كان الطاقم مؤلفاً من فتية مكسيكيين وفليبينيين. غذوا الآلات من خطوط ناقلة مسطحة. عشرون واحداً أو أكثر، من عمري وأكبر سناً، جميعهم يتوقفون ليروا من أكون ويدركون أن رجلاً جديداً كان على وشك البدء بالعمل.

" قف وراقب،" قال شورتي." شارك عندما تفهم طريقة العمل."

" يبدو الأمر في غاية البساطة،" قلت." أنا جاهز الآن."

" لا. انتظر بضع دقائق".

وغادر.

وقفت أراقب. كان هذا بسيطاً جداً. لكن لم يكن لمعدتي علاقة به. سرعان ما تقيأت ثانية. والضحك مجدداً. لكن هؤلاء الأولاد لم يكونوا مثل

النساء. لقد ظنوا حقاً أنه رؤية آرتورو بانديني يعاني هذه المرة منه أمراً مسلياً.

لم يكن لذلك الصباح الأول بداية ولا نهاية. وقفت بين التقيؤ والآخر عند مقلب العلب متشنجاً. وعرفتهم بنفسي. آرتورو بانديني، الكاتب. ألم تسمعوا بي؟ ستسمعون! لا تقلقوا. ستسمعون!سيكون كتابي عن مسامك كاليفورنيا عملاً نموذجياً عن الموضوع. تحدثت بسرعة، بين تقيؤ وآخر.

" لن أطيل البقاء هنا. أجمع معلومات من أجل كتاب عن مسامك كاليفورنيا. أنا بانديني، الكاتب. ليس هذا العمل أساسياً. ربما أتبرع بأجري: لجيش الخلاص".

وتقيأت ثانية. لم يعد في معدتي الآن سوى ذلك الذي لم يخرج أبداً. انحنيت واختنقت، كاتب شهير وأذرعي حول خصري، أتلوى وأختنق. لكن لا شيء سيخرج. توقف أحدهم عن الضحك ليصرخ بأن عليَّ شرب الماء. أيها الكاتب! اشرب الماء! فوجدت حنفية وشربت الماء. خرج في تيار وأنا أركض نحو الباب. وضحكوا. أوه ذلك الكاتب! يا له من كاتب! انظر إليه يكتب!

" لقد تغلبت عليه،" ضحكوا.

" اذهب إلى البيت،" قالوا." اذهب واكتب كتاباً. أيها الكاتب. أنت جيد جداً إذ لا يليق بك العمل في مصانع التعليب. اذهب واكتب كتاباً عن الغثيان".

ضحك صاخب.

خرجت وتمددت على كومة من شباك الصيد الحامية في الشمس بين مبنيين على جانب الطريق الرئيس الذي يطوق القناة. سمعتهم صوت ضحكهم يعلو على دندنة الآلات. لم أهتم على الإطلاق. شعرت برغبة

في النوم. لكن شباك الصيد كانت سيئة، غنية برائحة سمك الإسقمري والملح. سرعان ما اكتشفني الذباب. ما جعل الأمر يزداد سوءاً. سريعاً سمع بأمري جميع الذباب في مرفأ لوس أنجلس. زحفت بعيداً عن الشباك إلى بقعة رملية. كانت رائعة. مددت ذراعي وتركت أصابعي تبحث عن بقع باردة في الرمل. لم يكن هناك ما يضاهي جودتها أبداً. حتى أن ذرات الرمل الصغيرة نفختها أنفاسي كانت حلوة في أنفي وفمي. توقفت عثة رمل على تلة لتستقصي الفوضى. في العادة كنت سأقتلها دون تردد. نظرت في عيني، توقفت، وتقدمت. بدأت تتسلق ذقني.

" تقدمي،" قلت." لا أمانع. يمكنك أن تدخلي في فمي إذا شئت".

عبرت بذقني وشعرت بها تدغدغ شفتي. كان عليَّ أن أنظر إليها بعينين محولَّتين كي أراها.

" تعالي،" قلت." لن أؤذيك. هذا يوم عطلة".

تسلقت نحو منخري. ثم نمت.

أيقظتني صفارة. كانت الساعة الثانية عشرة ظهراً. خرج العمال من المباني،المكسيكيون والفلبينيون واليابانيون. كان اليابانيون منشغلين جداً بالنظر في كل مكان عدا ما هو أمامهم. وحثوا السير. لكن المكسيكيين والفلبينيين رأوني ممدداً، وضحكوا ثانية، لأن ذلك الكاتب الكبير كان هناك مسطحاً تماماً مثل ثمل.

خرج جميع من في معمل التعليب هذه المرة لأن شخصية عظيمة كانت بينهم، ليس سوى ذلك الخالد آرتورو بانديني، الكاتب، وهناك يتمدد، لا شك في أنه يؤلف شيئاً للعصور، هذا الكاتب العظيم الذي اختص بالسمك، وعمل مقابل خمسة وعشرين سنتاً بالساعة لأنه كان ديمقراطياً للغاية، ذلك

الكاتب العظيم. كان عظيماً جداً بالفعل، لأنه - حسناً، هناك تمدد مسطحاً على بطنه في الشمس، يتقيأ أحشاءه، عليل للغاية لا يمكنه تحمل الرائحة وكان سيؤلف كتاباً عن هذا. كتاب عن مسامك كاليفورنيا! أوه، يا له من كاتب! كتاب عن غثيان كاليفورنيا! أوه، يا له من كاتب!

ضحك.

مرت ثلاثون دقيقة. صفرت الصفارة مجدداً. عادوا يتدفقون من مناضد الغداء. تدحرجت ورأيتهم يمرون، مبهمي الشكل، حلم صفراوي. كانت الشمس المشرقة ممرضة. دفنت وجهي في ذراعي. كانوا لا يزالون يستمتعون به، لكن ليسَ كثيراً مثلما سبق، لأن الكاتب العظيم كان قد بدأ يشعرهم بالملل. رفعت رأسي ورأيتهم بعيون دبقة عندما مربي التيار. كانوا يمضغون التفاح، يلعقون الآيس كريم، يأكلون حلوى مغطاة بالشوكولا من أكياس مصدرة للضجيج. عاد الغثيان. تبرمت معدتي، رفست، تمردت.

هيه أيها الكاتب! أيها الكاتب! أيها الكاتب!

سمعتهم يتجمعون من حولي، الضحك والقهقهة. هيه أيها الكاتب! كانت الأصوات أصداء متكسرة. التف غبار أقدامهم غيوماً كسلى. ثم صرخ فم عند أذني بصوت أعلى، هيه أيها الكاتب!تلقفتني أذرع، رفعتني وأدارتني. سرعان ما عرفت ما كانوا ينوون فعله. هذه كانت فكرتهم عن حدث مضحك بالفعل. كانوا سيقحمون سمكة تحت خصري. عرفت دون أن أرى السمكة. استلقيت على ظهري. لطخت شمس منتصف النهار وجهي. شعرت بأصابع عند قميصي وصوت فتق ملابس. بالتأكيد! كما ظننت تماماً! كانوا سيقحمون تلك السمكة تحت خصري. لكني لم أرَ السمكة أبداً. أبقيت عيني مغلقتين. ثم ضغط شيء بارد ورطب على صدري ودفع تحت حزامي: تلك السمكة! عرفت قبل وقت طويل من أن يفعلوا ذلك. عرفت أنهم

سيفعلون. لكن لم أشعر بالاهتمام. سمكة أكثر أو أقل لا تهم الآن.

الفصل العاشر

مر الوقت. ربما نصف ساعة. أدخلت يدي في قميصي وشعرت بالسمكة على جلدي. مررت أصابعي على السطح، وشعرت بزعانفها وذيلها. شعرت الآن بتحسن. أخرجت السمكة وأمسكت بها ونظرت إليها. سمكة إسقمري بطول قدم. حبست أنفاسي كي لا أشم رائحتها. ثم وضعتها في فمي وقضمت رأسها. كنت آسفاً لأنها ميتة سلفاً. رميتها جانباً ونهضت. كان هناك بعض الذباب الكبير يولم على وجهي وكانت البقعة الرطبة على قميصي حيث تمددت السمكة. حطت ذبابة وقحة على ذراعي ورفضت بعناد أن تتحرك، حتى عندما حذرتها بهز ذراعي. جننت غضباً منها. صفعتها وقتلتها على ذراعي. لكني كنت لا أزال حانقاً جداً منها حتى أني وضعتها في فمي ومضغتها مضغاً وبصقتها. ثم تناولت السمكة مجدداً، وضعتها على بقعة مستوية في الرمل وقفزت عليها إلى أن انفتحت. كان شحوب وجهي أمراً تمكنت من الإحساس به، مثل جبس. كلما تحركت اختفت مئة ذبابة. كان الذباب أحمق أبله. وقفت ساكناً أقتله، لكن حتى موتاهم لم يلقنوا الأحياء منهم درساً. مازالوا مصرين على إزعاجي. لبعض الوقت وقفت بصبر وهدوء وبالكاد أتنفس، أراقب الذباب يتحرك في وضعية تمكنني من قتله. لم أعد أشعر برغبة في التقيؤ. نسيت أمر ذلك الجزء. كان الضحك هو ما كرهته، الذباب، والسمكة الميتة. تمنيت ثانية لو كانت السمكة حية. كانت لتتعلم درساً لن تنساه سريعاً. لم أعرف ما قد يحدث فيما بعد. قد أقابل بالمثل. بانديني لا ينسى أبداً. سيجد طريقاً. ستدفعون الثمن-جميعكم.

كانت دورة المياه في الجهة المقابلة من الطريق تماماً. توجهت نحوها. تبعتني ذبابتان وقحتان. توقفت جامداً في طريقي، أتبخر، ساكناً مثل تمثال، أنتظر أن تحط الذبابتان. أخيراً أمسكت بواحدة. هربت الأخرى. نزعت أجنحة الذبابة ورميتها على الأرض. دبت في القذارة، تندفع مثل سمكة، تظن أن في وسعها أن تفلت مني بتلك الهيئة. كان محالاً. تركتها إلى حين تفعل هذا من صميم قلبها. ثم قفزت عليها بقدمي وسحقتها على الأرض. بنيت متراساً فوق البقعة وبصقت عليها.

تأرجحت في دورة المياه جيئةً وذهاباً مثل كرسي هزاز، واقفاً أتساءل عما سأفعله لاحقاً، محاولاً أن أتمالك نفسي. كان هناك الكثير من العمال في المصنع لمشاجرتهم. كنت قد صفيت حسابي للتو مع الذباب والسمكة الميتة، لكن ليس مع العمال. لا يمكنك أن تقتل العمال كما تقتل الذباب. لا بد من أن يكون شيئاً آخر، شجار بطريقة ما دون قبضات. غسلت وجهي بالماء البارد وفكرت في الأمر.

دخل فيلبيني داكن البشرة. كان أحد الأولاد في طاقم التغليف. وقف إلى الحوض الممتد على طول الجدار، يقاتل الأزرار بنفاد صبر متجهماً. ثم فك الأزرار وتبول، يبتسم طوال الوقت ويرتعش قليلاً متخففاً. شعر الآن بتحسن كبير. انحنيت على المغسلة عند الجدار المقابل وفتحت المياه على شعري وعنقي. التفت الفلبيني وهمَّ ثانية بالأزرار. أشعل سيجارة ووقف عند الجدار يراقبني. لقد فعل ذلك عن قصد، يراقبني بتلك الطريقة كي أعرف أنه يراقبني ولاشيء آخر. لكني لم أكن خائفاً منه. لم أكن خائفاً على الإطلاق. لم يكن هناك أحد في كاليفورنيا يخاف من فلبيني. ابتسم ليعلمني بأنه لا يفكر فيَّ كثيراً أيضاً، أو بمعدتي الضعيفة. استقمت وتركت الماء يتقطر من وجهي. نزلت على حذائي المغبر نقاط لامعة منه. تراجع اهتمام الفلبيني

بي أكثر فأكثر. الآن لم يعد يبتسم بل يتهكم.

" كيف تشعر؟" قال.

"وما شأنك؟"

كان نحيلاً وقامته أطول من المتوسط. لم أكن أعادله في البنية، لكن كنت ربما في مثل وزنه. نظرت إليه شزراً من رأسه حتى أخمص قدميه. حتى أني أبرزت ذقني وقلبت شفتي السفلى لأدل على أوج الازدراء. نظر شزراً بدوره، لكن بطريقة مختلفة، ليس بإبراز ذقنه. لم يكن خائفاً مني أبداً. إذا لم يوقفه شيء، ستكون شجاعته عظيمة جداً قريباً لدرجة أنه قد يشتمني.

كانت بشرته بنية بلون البندق. لاحظت ذلك لأن أسنانه كانت ناصعة البياض. أسنان براقة، مثل صف من اللؤلؤ. عندما رأيت لونه الداكن فجأة عرفت ما أقول له. يمكنني أن أقول لجميعهم. قد يؤذيهم في كل مرة. عرفت لأن أمراً مثل ذلك قد تسبب لي بالأذى. كان الأولاد في المدرسة الابتدائية يهينونني بمناداتي ووب وداجو. لقد آذاني قولهم هذا كلما كرروه. كان شعوراً بائساً. وكان يجعلني أشعر ببؤس شديد تافه جداً. وعرفت بأنه سيجرح الفلبيني أيضاً. كان من السهل فعل ذلك لأنني فجأة كنت أضحك عليه بهدوء، واستحوذ عليَّ شعور بارد واثق مرتاحاً إزاء كل شيء. لا يمكنني أن أفشل. اقتربت منه وقربت وجهي من وجهه، مبتسماً كما ابتسم. لم يتمكن من معرفة ما هو قادم. تغيرت ملامحه في الحال. كان يتوقع أي شيء.

" أعطني سيجارة،" قلت. " أيها الزنجي".

هذا صعقه. آه، لكنه شعر بذلك المولود. فوراً حدث تغيير، تبدل بالمشاعر، الانتقال من الدفاع إلى الهجوم. قست الابتسامة وتجمد وجهه: أراد أن يبقى مبتسماً لكنه لم يستطع. الآن كرهني. ضاقت عيناه. كان شعوراً

رائعاً. لم يتمكن من الإفلات من ارتباكه. كان مكشوفاً على العالم كله. كان الحال كذلك معي. مرة دعتني فتاة في صيدلية داجو. كنت في العاشرة من عمري لكن فجأة كرهت تلك الفتاة كما كرهني الفلبيني. كنت قد عرضت على الفتاة أن أشتري لها الآيس كريم فلم تقبل قائلة بأن أمها أخبرتها ألا تأخذ شيئاً مني لأني داجو، قررت أن أفعل هذا مع الفلبيني ثانية.

" أنت لست زنجياً على الإطلاق،" قلت" أنت فلبيني ملعون وهذا أسوأ".

لكن الآن لم يكن وجهه لا بنياً ولا أسود. بل أحمر.

" فلبيني أصفر. أجنبي شرقي لعين! ألا يزعجك أن تكون بين البيض؟"

لم يرغب في التحدث عن الموضوع. هز رأسه بسرعة مستنكراً.

" يا مسيح،" قلت." انظر إلى وجهك! أنت أصفر كالكناري".

وضحكت. انحنيت وزعقت. وجهت إصبعي إلى وجهه وزعقت إلى أن لم يعد في وسعي التظاهر بأن الضحك كان صادقاً. كان وجهه قاسياً كالجليد بألم ومهانة، ثوى فمه في عجز، مثل فم مغلق بلاصق، متردد ويتألم.

" يا ولد!" قلت." أتيت لتخدعني. كنت أعتقد طوال الوقت أنك زنجي. وقد تبين أنك أصفر البشرة".

ثم هدأ. ارتخى وجهه المربك. ابتسم ابتسامة ضعيفة من ماء وهلام. تحركت الألوان على وجهه. نظر تحت إلى مقدمة قميصه ونفض أثر رماد السيجارة. ثم رفع عينيه." هل تشعر بتحسن الآن؟" سأل.

قلت،" وماذا يهمك؟ أنت فلبيني. أنتم الفلبينيون لا تشعرون بالغثيان لأنكم معتادون على هذه القذارة. أنا كاتب، يا رجل! أنا كاتب أمريكي،

يا رجل! لست كاتباً فلبينياً. لم أولد في جزر الفلبين. ولدت هنا في أمريكا القديمة الجيدة تحت النجوم والخطوط".

هز أكتافه، لم يفهم شيئاً مما قلته." أنا لست كاتباً،" ابتسم." لا لا لا. لقد ولدت في هونولولو".

" هذا هو تماماً!" قلت. " هذا هو الفرق. أنا أؤلف كتباً، يا رجل! ماذا تتوقعون أيها الشرقيون؟ أنا أكتب كتباً باللغة الأم، اللغة الإنجليزية. أنا لست شرقياً نحيلاً".

قال للمرة الثالثة،" هل تشعر بتحسن الآن؟"

" ماذا تتوقع!" قلت." أنا أؤلف كتباً، أيها الأحمق! مجلدات! لم أولد في هونولولو. ولدت هنا في كاليفورنيا الجنوبية الجيدة القديمة".

رمى سيجارته في الغرفة نحو الحوض. ضربت الجدار بشرارات متطايرة وثم استقرت على الأرض وليس في الحوض.

" أنا ذاهب الآن،" قال." ستعود قريباً، لا؟"

" أعطني سيجارة".

" لن تحصل على شيء".

تقدم نحو الباب.

" لم يعد لدي المزيد. السيجارة الأخيرة".

لكن كان هناك علبة سجائر بارزة من جيب قميصه.

" أيها الفلبيني الأصفر الكاذب،" قلت." ما تلك؟"

كشر مبتسماً وأخرج واحدة من العلبة، مقدماً لي واحدة. كانت من

أرخص الأنواع، السيجارة بعشرة سنتات. دفعتها بعيداً.

"سجائر فلبينية. لا شكراً. ليست من أجلي".

هذا كان مناسباً له.

" أراك لاحقاً،" قال.

" هذا إذا رأيتك أولاً".

ذهب. سمعت وقع أقدامه على الدرب المفروش بالحصى. كنت وحيداً. كان عقب سيجارته مرمياً على الأرض. انتزعت الجزء المبلل ودخنته حتى وصل إلى أناملي. عندما لم يعد في وسعي إمساكه رميته على الأرض وسحقته بكعبي. هذا من أجلك! وأزحته إلى بقعة بنية. كان له مذاق مختلف عن السجائر العادية، بطريقة ما كان له طعم فلبيني وليس طعم تبغ.

كان الجو منعشاً في الغرفة وكثير من الماء يجري دوماً في الحوض. ذهبت إلى النافذة واسترخيت، موسداً وجهي يدي، أراقب شمس الأصيل تقطع قضيباً فضياً عبر الغبار. كان هناك شبكة أسلاك عبر النافذة، فيها فجوات مساحة كل واحدة إنش. فكرت في جحر كلكتا الأسود[1]. الجنود الإنجليز ماتوا في غرفة لا تفوق هذه مساحة. لكن هذه كانت غرفة مختلفة كلياً. فيها تهوية أكبر. كل هذا التفكير كان فقط لحظياً. لم يكن له علاقة بأي شيء. ذكرت نيكل الغرف الصغيرة بجحر كلكتا الأسود وذلك جعلني أفكر بماكولي Macaulay [2]. كان النتن محتملًا الآن، لم يكن بغيضاً، لكن اعتدت عليه. كنت جائعاً بدون شهية، لكني لم أفكر بالطعام. لا يزال علي مواجهة

1- وهي زنزانة صغيرة احتجز فيها أسرى الحرب البريطانيين عام ١٧٥٦ من قبل قوات حاكم البنغال سراج الدولة.

2- توماس بابينجتون ماكولي: (١٨٠٠ - ١٨٥٩) مؤرخ بريطاني وكان له دور فعال في إدخال اللغة الإنجليزية كوسيلة للتدريس في التعليم العالي في الهند.

الأولاد ثانية في طاقم التغليف. نظرت باحثاً عن عقب سيجارة أخرى، لكني لم أتمكن من إيجاد شيء. ثم خرجت.

سارت ثلاث فتيات مكسيكيات على الدرب نحو دورة المياه. لقد خرجن للتو من غرفة التقطيع. درت حول زاوية المبنى، الذي كان محطماً، كما لو أن شاحنة سحقته. رأتني الفتيات ورأيتهن. كن في وسط الدرب تماماً. قربن رؤوسهن معاً. كن يقلن ها هو هناك ذلك الكاتب مجدداً، أو شيء من هذا القبيل.اقتربت أكثر. أومأت الفتاة التي تنتعل الجزمة نحوي. عندما اقتربت ابتسمن جميعهن. وابتسمت. كنا على بعد عشر أقدام. شعرت بالفتاة ذات الجزمة. بسبب صدرها الناهد، لقد أثارني كثيراً، على حين غرة، لكن لم يكن شيئاً، مجرد ومضة، شيء للتفكير فيه لاحقاً. توقفت وسط الدرب. فردت ساقي وسددته. خائفات، أبطأن الخطو، كان الكاتب مقدماً على شيء ما.

تحدثت الفتاة ذات القلنسوة بحماسة إلى الفتاة ذات الجزمة.

" لنعد،" قالت فتاة الجزمة.

شعرت بها ثانية، وقررت أن أفكر فيها ملياً في وقت آخر. ثم تحدثت الفتاة الثالثة، التي تدخن سيجارة، بإسبانية سريعة حادة. الآن أملن جميعاً رؤوسهن بتكبر وانطلقن نحوي. خاطبت الفتاة ذات الجزمة. كانت الأجمل. الأخريان لم يكونا يستحقان التحدث عنهما لأنهما رديئات المظهر بالمقارنةمع الفتاة ذات الجزمة.

" حسناً حسناًحسناً،" قلت." تحياتي إلى الفتيات الفلبينيات الجميلات الثلاث!"

لم يكنّ فلبينيات على الإطلاق، هيهات أن يكن كذلك، وعرفت وعرفن أني عرفت. هبت أنوفهن في الهواء بترفع. كان عليّ أن أبتعد عن طريقهن

أو أني سأخبط بالممر. كان للفتاة في الجزمة ذراعان أبيضان تقوسا بليونة كزجاجة حليب. لكن بالقرب منها رأيت تلك التي كانت قبيحة، ببثور صغيرة قرمزية ولطخة من مسحوق على حنجرتها. كان مخيباً. التفتت وافتعلت حركة بوجهها، مددت لسانها الزهري وغضنت أنفها. تلك كانت مفاجأة، وكنت مسروراً، لأني كنت خبيراً في افتعال وجوه مريعة. أطبقت أجفاني، وأظهرت أسناني، شوهت شكل خدي. كان الوجه الذي صنعته أكثر فظاعة من وجوهها. تراجعت، قابلتني، ولسانها الزهري ممدود، تصنع كل أنواع الوجوه، لكن جميعها تنويعات على مد اللسان. كان كل وجه من وجوهي أفضل من وجوهها. تقدمت الفتاتان الأخريان. كانت جزمة الفتاة واسعة جداً على قدميها، توحلت في الغبار وهي تتراجع. أحببت كيف نطت حافة فستانها عن ساقيها، انفجر الغبار مثل زهرة رمادية كبيرة من حولها.

" هذا ولا بد تصرف فتاة فلبينية ". قلت.

هذا أغضبها.

" نحن لسن فلبينيات" صرخت." أنت الفلبيني!الفلبيني!الفلبيني".

التفتت الفتاتان الأخريان. وبخن باللازمة. تراجعن، ذراع بذراع، وصرخن بالنغم الرتيب.

" فيلبيني! فلبيني! فلبيني!"

لقد عملن مزيداً من وجوه القردة وقلبن بالإبهام أنوفهن نحوي. كانت المسافة بيننا فسيحة. رفعت ذراعي لهن لتهدأن برهة. استأثرن بمعظم الكلام والصراخ. لم أكن قد نبست بكلمة إلا بالكاد. لكنهن مضين بالنغم الرتيب. لوحت بذراعي ووضعت إصبعي على شفتي ليهدأن. أخيراً استسلمن للتوقف والإصغاء. أخيراً كانت الأرض لي. كن بعيدات جداً، وصدرت

عن المباني ضجة كبيرة فتوجب عليَّ تجويف يدي والصراخ.

" أستميحكن عذراً!" صرخت." أعذرنني لأني أخطأت! أنا آسف للغاية!ظننت أنكن فلبينيات. لكنكن لستن كذلك. أنتن أكثر سوءاً! أنتن مكسيكيات! أنتن مدهنات! مومسات! مومسات! مومسات!"

كنت على مسافة مئة قدم، لكني شعرت بفتورهن المفاجئ. لقد استحوذ على كل واحدة منهن، يضايقهن، يؤذيهن بصمت، كل واحدة خجلة من أن تعترف بالألم للأخرى، ومع ذلك كل واحدة تتخلص من الألم السري بالحفاظ على هدوئها الشديد. هذا حدث لي أيضاً. عندما ضربت ولداً في شجار. لم أشعر بتحسن حتى بدأت بالابتعاد. تقدم وركض إلى البيت، يصرخ بأني داجو. كان هناك فتية آخرون واقفون في المكان. جعلني صراخ الفتى المنسحب أشعر كما شعرت الفتيات المكسيكيات. الآن ضحكت على الفتيات المكسيكيات. رفعت فمي إلى السماء وضحكت، ولم تستدر واحدة منهن لتنظر لكن ضحكت بصوت مرتفع وعرفت أنهن سمعنني ودخلت.

نياهاها!" قلت." ثرثارات ثرثارات ثرثارات!"

لكني شعرت بأني مجنون لفعل هذا. وهن كذلك.

نظرن مصعوقات الواحدة للأخرى وثم نحوي. لم يعرفن بأني كنت أحاول أن أسخر منهن. لا، كانت الطريقة التي هززن فيها رؤوسهن تنم عن اقتناع بأني مختل.

لكن الآن بالنسبة إلى الشبان في غرفة التغليف. كان هذا على وشك أن يكون أكثر قسوة. دخلت بخطوات سريعة هادفة، أصفر طوال الوقت، وأخذت أنفاساً عميقة لأريهم أنه لم يكن للنتن من أثر علي. حتى أني فركت صدري وقلت، آه!كان الأولاد محتشدين حول مقلب العلب، يوجهون

سيل العلب التي تتدهور نحو الحزام الدهني الذي يحملها إلى الآلات. كانوا محتشدين كتفاً إلى كتف حول مقلب على شكل صندوق تقيس مساحته عشر أقدام مربعة. كانت الغرفة صاخبة كما كانت منتنة، مليئة بروائح السمك الميت من كل الأنواع. كان هناك هذه الضجة حتى إنهم لم يلحظوا دخولي. دفعت كتفي بين مكسيكيين ضخمين كانا يتحدثان وهما يعملان. أثرت ضجة كبيرة، متلوياً أشق طريقي بصعوبة بينهما. ثم نظرا للأسفل ولاحظاني بينهما. هذا أزعجهما. لم يتمكنا من فهم ما كنت أحاول فعله إلى أن فرقتهما بمرفقي وتحرر ذراعي أخيراً.

صرخت، "ابتعدا جانباً، أيها المزيتان!"

"باه!" قال المكسيكي الأضخم. "دعه وشأنه، جو. ابن العاهرة الصغير هذا مجنون."

انغمست في العمل، أسوي العلب في مواضعها على الأحزمة الناقلة. كانوا يدعونني وشأني بالتأكيد، بكثير من الحرية. لم يتحدث أحد. شعرت بالوحدة حقاً. شعرت كأني جثة، لهذا السبب فقط كنت هناك لأنه لا يمكنهم فعل شيء إزاء هذا.

تلاشى الأصيل.

توقفت فقط مرتين عن العمل. شربت مرة الماء وفي المرة الأخرى كتبت شيئاً في كراستي الصغيرة. توقفوا جميعاً عن العمل وشاهدوني عندما خرجت عن المنصة لأكتب ملاحظة في كراستي. هذا كان لأثبت لهم بما لا يدعو للشك أنني في النهاية لم أكن مخادعاً، وأني كنت كاتباً حقيقياً بينهم، أمر حقيقي، وليس مزيفاً. نظرت متفحصاً كل وجه وحككت أذني بقلم. ثم لثانية حدقت في الفراغ. أخيراً فرقعت أصابعي لأظهر أن الفكرة واتتني

بنجاح باهر. وضعت الكراس على ركبتي وكتبت.

كتبت: أيها الأصدقاء، الرومان، والمواطنون!انقسم الغاليون إلى ثلاثة أقسام. أنتم تذهبون إلى امرأة؟ لا تنسوا سوطي. الزمن والمد لا ينتظران أحداً. تحت شجرة كستناء مترامية تقف القرية سميثي. ثم توقفت لأوقعها بزهو. آرتورو ج. بانديني. لم أستطع أن أستنبط شيئاً آخر. راقبوني بعيون جاحظة. قررت أن عليَّ أن أفكر في شيء آخر. لكن هذا كان كل شيء. توقف عقلي عن العمل كلياً. لم أستطع أن أفكر في موضوع آخر، ولا حتى كلمة، حتى اسمي. أعدت الكراس إلى جيبي واتخذت مكاني عند مقلب العلب. لم يفه أحد بكلمة: الآن أثيرت شكوكهم بالتأكيد. ألم أتوقف عن العمل لأكتب قليلاً؟ ربما قد حكموا عليَّ بسرعة كبيرة. أملت أن يسألني أحدهم عما كتبت. سأقول له سريعاً أنه لم يكن شيئاً هاماً، ملاحظة حول ظروف عمل الأجانب في تقريري المعتاد للجنة الطرق والوسائل فحسب، لا شيء في وسعك أن تفهمه، أيها الرفيق الكبير، إنها عميقة جداً لأشرحها الآن، ربما في وقت لاحق، ربما على الغداء ذات يوم.

بدأوا الآن بالتحدث ثانية. ثم ضحكوا معاً. لكن كان كله إسبانياً بالنسبة إليَّ، ولم أفهم شيئاً.

قفز الولد الذي يدعى جوجو، خرج من الصف كما فعلت وسحب كراساً من جيبه أيضاً. هرع إلى حيث كنت واقفاً بكراسي. فكرت لثانية في أنه لا بد من أن يكون كاتباً حقيقة وقد شاهد شيئاً قيماً. اتخذ نفس الوضعية التي اتخذتها. حك أذنه بنفس الطريقة التي حككت فيها أذني. نظر في المكان كما فعلت. ثم كتب. زمجرة الضحك.

" أنا كاتب أيضاً!" قال." انظروا!"

أمسك الكراس ليراه الجميع. كان قد رسم بقرة. كان وجه البقرة مبقعاً كما لو بالنمش. هذا كان سخيفاً بلا شك، لأن وجهي مليء بالنمش. تحت البقرة كتب" كاتب." حمل الكراس حول مقلب العلب.

" مضحك جداً،" قلت." ملهاة مدهن."

كرهته إلى حد أصابني بالغثيان. كرهت كل واحد منهم والملابس التي ارتدوها وكل شيء فيهم. عملنا حتى الساعة السادسة. لم يظهر شورتي نايلور طوال ذلك الأصيل. عندما انطلقت الصافرة رمى الأولاد كل شيء وهرعوا من المنصة. بقيت بضع دقائق، ألتقط العلب التي سقطت على الأرض. أملت لو أن شورتي يعود في تلك اللحظة. عملت لعشر دقائق، لكن ما من أحد جاء ليراني، لذا غادرت مشمئزاً، ملقياً العلب جميعها على الأرض.

الفصل الحادي عشر

عند الساعة السادسة والربع كنت في طريق العودة إلى البيت. كانت الشمس تتزلق خلف عنابر الرصيف الكبير والظلال الطويلة على الأرض. يا له من يوم! يا له من يوم كالجحيم! واصلت السير أحدث نفسي عنه، أناقشها. لطالما فعلت ذلك، أتحدث بصوت مرتفع مع نفسي في همس رصين. كان الأمر مسلياً عادة، لأني دوماً كنت أملك الأجوبة الصحيحة. لكن ليس تلك الليلة. كرهت الدمدمة التي ظلت في فمي. كانت مثل نحلة زنانة في شرك.استمر الجزء مني الذي يقدم الأجوبة على أسئلتي في القول أوه أيها الأبله! أيها الكاذب المجنون! أيها الأحمق! أيها المغفل! لم لا تقول الحقيقة مرة كل حين؟إنه خطؤك، لذا كف عن محاولة لوم شخص آخر.

عبرت ملعب المدرسة. كانت نخلة قرب السياج الحديدي تنمو من تلقاء ذاتها. كانت الأرض مقلوبة حديثاً حول الجذوع، شجرة صغيرة لم أرها من قبل في ذلك المكان. توقفت لأنظر إليها. عند قدم الشجرة كانت توجد لوحة برونزية. مكتوب عليها: زرعها أطفال"Banning High"في ذكرى عيد الأم. أمسكت غصناً من أغصان الشجرة بأصابعي وصافحته." مرحباً،" قلت. " لم تكن هناك، لكن خطأ من قد يكون في رأيك؟"

كانت شجرة صغيرة، لا تفوقني طولاً، ولا يزيد عمرها عن سنة. أجابت بطرطشة حلوة من أوراق سميكة." النساء،" قلت." هل تظنين أن لهن علاقة بالأمر؟"

لم تنبس الشجرة بكلمة.

" نعم. إنه ذنب النساء. لقد استعبدنني. هن الوحيدات المسؤولات عما حدث اليوم".

تمايلت الشجرة بخفة.

" يجب أن تباد النساء. قطعاً. يجب أن أخرجهنّ من عقلي إلى الأبد. هن وهن وحدهن من جعلنني ما أنا عليه اليوم.الليلة تموت النساء. هذه ساعة القرار. حان الوقت. قدري واضح أمامي. إنه الموت، الموت، الموت للنساء الليلة، لقد أفصحت".

صافحت الشجرة ثانية وعبرت الشارع. كان نتن السمك مسافراً معي، ظل غير مرئي لكن فواحاً بالرائحة. تبعني على درج الشقة. انتشرت الرائحة في كل مكان لحظة دخولي الشقة، تنجرف مباشرة نحو كل زاوية من زوايا الشقة. سافرت مثل سهم إلى منخري مونا. خرجت من غرفة النوم ومبرد أظافر في يدها ونظرة متقصية في عينيها.

" ما هذا؟"قالت متأففة.

" أنا. رائحة عامل شريف. ماذا فيها؟"

وضعت منديلاً على أنفها.

قلت: " ربما رقيقة جداً على منخري راهبة مقدسة".

كانت أمي في المطبخ. سمعت أصواتنا. تأرجح الباب مفتوحاً وظهرت، تتحرك في الغرفة. هاجمتها الرائحة. ضربتها في وجهها مثل فطيرة ليمون في كوميديا من فصلين. توقفت متجمدة في سيرها. استنشاقة واحدة وتلوى ووجهها. ثم تراجعت.

" اشتمّيه!" قالت مونا.

" اعتقدت أني شممت شيئاً!" قالت أمي.

" إنه أنا. رائحة عامل شريف. إنها رائحة رجل. ليست لعاجز وغاو. إنه السمك."

" إنها مثيرة للغثيان،" قالت مونا.

" هراء،" قلت." من أنت كي تنتقدي رائحة؟ أنت راهبة. أنثى. مجرد امرأة. أنت لست حتى امرأة لأنك راهبة. أنت نصف امرأة فحسب".

" آرتورو،" قالتْ أمي." دعنا لا نتحدث بهذه الطريقة".

" على الراهبة أن تحب رائحة السمك".

" بطبيعة الحال. هذا ما كنت أقوله لك منذ نصف ساعة".

ارتفعت يدا أمي إلى السقف، أصابعها ترتجف. كانت إيماءة دوماً تسبق الدموع. تصدع صوتها وخرج عن السيطرة وانفجرت الدموع: " شكراً لله! أوه شكراً لله!"

" كان له شأن كثير بهذا. أنا حصلت على هذا العمل بنفسي. أنا ملحد. أنا أنكر فرضيات الله." سخرت مونا.

" كيف تتكلم! لا يمكنك الحصول على عمل لتكسب قوت يومك. الخال فرانك حصل لك عليه".

" هذه كذبة، كذبة فاحشة. لقد مزقت مكتوب الخال فرانك".

" أصدق ذلك".

" لا أهتم بم تخالين. كل من يؤمن بالحبل بلا دنس والقيامة هو معتوه

تماماً، جميع معتقداته مشكوك فيها". صمت.

" أنا الآن عامل،" قلت." أنتمي إلى طبقة البروليتاريا. أنا عامل كاتب".

ابتسمت مونا.

" ستكون رائحتك أفضل إذا كنت كاتباً فقط".

" أحب هذه الرائحة،" قلت لها." أحب كل دلالاتها وعواقبها، كل تنويع وتضمين يسحرني. أنا أنتمي إلى الشعب". زمَّت فمها.

" ماما، اسمعيه! يستعمل كلمات دون أن يعلم معناها".

لم أطق تحمل ملاحظة مثل تلك. لقد أحرقتني حتى الصميم. يمكنها أن تسخر من معتقداتي وتضايقني لفلسفتي ولن أتذمر. لكن ما من شخص يمكن أن يسخر من إنجليزيتي. هرعت عبر الغرفة.

" لا تهينيني! يمكنني تحمل الكثير من تفاهتك وهرائك، لكن باسم يهوه الذي تعبدينه، لا تهينيني!"

هززت قبضتي في وجهها ونطحتها بصدري." يمكنني تحمل الكثير من بلاهتك، لكن باسم إلهك يهوه الهائل، أيتها المنافقة، راهبة الإله-راهبة وثنية متعبدة لأشخاص جديرين بالازدراء في الأرض، لا تهينيني أنا أرفض. أرفض بكل تأكيد!"

أمالت ذقنها ودفعتني بعيداً بأطراف أصابعها.

" أرجوك اذهب.استحم. رائحتك سيئة".

تمايلت عندها، وأطراف أصابعي بقعت وجهها. صرَّت على أسنانها وخبطت على الأرض بكلتا قدميها.

" أيها الأحمق! أيها الأحمق!"

كانت أمي متأخرة دوماً. حالت بيننا.

" هنا، هنا! من أجل ماذا كل هذا؟"

رفعت بنطالي وتهكمت على مونا.

"حان موعد تناولي لوجبة العشاء. هذا كل مافي الأمر. طالما أني أدعم امرأتين طفيليتين أظن أني أستحق أن آكل شيئاً بين الحين والآخر".

خلعتُ عني قميصي النتن ورميته على كرسي في الزاوية. أخذته مونا، حملته إلى النافذة، فتحت النافذة، ورمته خارجاً. ثم تمايلت وتحدتني أن أفعل شيئاً. لم أنبس بكلمة، حدقت بها ببرود فحسب لأجعلها تعرف شدة احتقاري. وقفت أمي مصعوقة، غير قادرة على فهم ما يجري، لن تفكر أمي بعد مليون سنة أن ترمي قميصاً ببساطة لأنه كان منتناً. دون كلام هرعت للأسفل وحول المنزل. القميص متدل من شجرة تين تحت نافذتنا.ارتديته وعدت إلى الشقة. وقفت في البقعة نفسها التي كنت واقفاً فيها. طويت ذراعي وتركت الاحتقار يندفع من وجهي.

"الآن،" قلت." جربي ذلك ثانية. أتحداك!"

" أيها الأحمق!" قالت مونا." الخال فرانك محق. أنت مخبول".

" هو. هو! ذلك الأمريكي المغفل؟"

كانت أمي مرعوبة. كلما قلت شيئاً لم تفهمه ظنت أن له علاقة بالجنس أو النساء العاريات.

" آرتورو! فكر في ذلك! إنه خالك!"

" سواء كان خالي أم لم يكن. أنا أرفض قطعاً أن أسحب التهمة. إنه

أمريكي مغفل الآن وإلى الأبد".

" لكن خالك! لحمك ودمك!"

"موقفي لم يتغير. التهمة قائمة".

كان العشاء مبسوطاً في ركن الفطور. لم أغتسل. كنت جائعاً للغاية. دخلت وجلست. جاءت أمي تحمل منشفة نظيفة. قالت إن عليّ الاغتسال. أخذت المنشفة منها ووضعتها بجانبي. دخلت مونا على مضض. جلست وحاولت أن تحتمل قربي الشديد. فردت فوطتها وجلبت أمي وعاء الحساء. لكن الرائحة كانت تفوق قدرة مونا على الاحتمال. قززها مرأى الحساء. أمسكت بمعدتها، رمت فوطتها وغادرت الطاولة.

"لا يمكنني. لا يمكنني حقاً!"

"ضعفاء. إناث. يستقذرن الطعام!"

ثم غادرت أمي. أكلت وحيداً. عندما انتهيت أشعلت سيجارة واستندت إلى الوراء لأفكر في النساء قليلاً. كنت أفكر في إيجاد أفضل وسيلة ممكنة لتدميرهن. لم يكن هناك شك في ذلك: كان يجب التخلص منهن. يمكنني أن أحرقهن، أو أقطعهن إرباً، أو أغرقهن. أخيراً قررت أن الإغراق هو الأفضل. يمكنني أن أفعل ذلك براحة وأنا أستحم. ثم أقذف البقايا في المجرور. ستعمن في البحر، حيث يستقر موتى السرطانات. ستتحدث أرواح النساء الميتة مع أرواح السرطانات الميتة، وسيتحدثون عني فقط. ستزداد شهرتي. ستتوصل السرطانات والنساء إلى نتيجة محتومة: أني كنت هَلَعاً، قاتل ساحل المحيط الهادئ الأسود، ومع ذلك الجميع يحترم الرعب، السرطانات والنساء على حد سواء: بطل قاس، لكنه بطل على أي حال.

الفصل الثاني عشر

بعد العشاء فتحت الماء كي أستحم. كنت شبعاً وفي مزاج جيد من أجل تنفيذ حكم الإعدام. سيزيده الماء الدافئ تشويقاً أيضاً. بينما كان الحوض يمتلئ دخلت مكتبي، أقفلت الباب خلفي. أشعلت شمعة، رفعت الصندوق الذي يخفي نسائي. هناك كن محتشدات معاً، جميعهن، الأثيرات عندي، ثلاثون امرأة مختارة من صفحات المجلات الفنية، نساء زائفات، لكنهن جيدات بما فيه الكفاية مع ذلك، النساء اللاتي انتمين إليَّ أكثر من أية امرأة حقيقية يمكن أن تخصني يوماً. لففتهن ووضعتهن تحت قميصي. كان عليَّ أن أفعل هذا. كانت مونا وأمي في غرفة الجلوس وكان عليَّ أن أمربهما لأدخل إلى الحمام.

إذاً تلك كانت النهاية! جاء القدر بهذا! فكرته نفسها! نظرت في الخزانة وحاولت أن أكون عاطفياً. لكنه لم يكن محزناً جداً: كنت متحمساً للغاية لأن أكون ماضياً في حكم الإعدام. لكن فقط في سبيل الرسميات وقفت ساكناً وحنيت رأسي مودعاً. ثم نفخت على الشمعة وخرجت إلى غرفة الجلوس. تركت الباب مفتوحاً خلفي. كانت المرة الأولى التي أترك فيها الباب مفتوحاً. جلست مونا في غرفة الجلوس تخيط. عبرت البساط، نتوء خفيف تحت خصري. رفعت مونا بصرها ورأت الباب المفتوح. كانت متفاجئة للغاية.

" لقد نسيت أن تقفل باب مكتبك،" تهكمت.

" أعرف ماذا فعلت. من فضلك. وسأقفل ذلك الباب عندما أشعر أني

راغب في ذلك".

" لكن ماذا عن نيتشه، أو أياً يكن ما تدعوه؟"

" لا يهم نيتشه، أيتها العاهرة الرقيبة".

كان الحوض جاهزاً. خلعت ملابسي وجلست فيه. كانت الصور مقلوبة على حصيرة الحمام، في متناول يدي.

مددت يدي والتقطت الصورة الأولى.

لسبب ما عرفت أنها ستكون هيلين. غريزة خفيفة أخبرتني بذلك. وكانت هيلين. هيلين، عزيزتي هيلين! هيلين بشعرها البني الفاتح! لم أرها منذ وقت طويل، ثلاثة أسابيع تقريباً. أمر غريب بشأن هيلين، غرابة النساء تلك: كانت أظافرها الطويلة السبب الوحيد الذي دعاني كي أهتم لأمرها. كان لونها زهرياً فاقعاً، أظافر تخطف الأنفاس، حادة جداً ومبهجة بشكل رائع. لكن بالنسبة إلى بقيتها لم أهتم أبداً، ومع ذلك كانت جميلة إجمالاً. جلست عارية في الصورة، تمسك بوشاح ناعم حول أكتافها، كل قطعة منظر بديع، ومع ذلك لم تثر اهتمامي، إلا تلك الأظافر الجميلة." وداعاً هيلين،" قلت." وداعاً، يا حبيبة قلبي. سوف لن أنساك أبداً. حتى المهات سأتذكر دوماً المرات الكثيرة التي ذهبنا فيها إلى حقول الذرة العميقة في كتاب أندرسن وذهبت للنوم وأصابعك في فمي. كم كانت لذيذة! كم نمت بهناء! لكن الآن نحن نفترق، عزيزتي هيلين، حبيبتي هيلين. وداعاً، وداعاً".

مزقت الصورة قطعاً ورميتها على الماء.

ثم مددت يدي ثانية. كانت هازيل. لقد سميتها كذلك بسبب عينيها في صورة بألوان طبيعية. ومع ذلك لم أهتم بهازيل كذلك. كان ردفاها ما اهتممت لأمره -كالوسائد وناصعي البياض. يا لها من أوقات تلك التي

عشناها أنا وهازيل! كم كانت جميلة حقاً! قبل أن أدمرها رجعت للوراء في الماء وفكرت في المرات العديدة التي التقينا فيها في غرفة غامضة يخترقها ضوء الشمس المبهر، غرفة شديدة البياض، أرضها مفروشة بسجادة خضراء، غرفة وجدت فقط بسببها. في الزاوية، متكئاً إلى الجدار، وليس لسبب جيد، لكن دوماً هناك، علبة أسطوانية طويلة بقمة فضية تومض بالألماس في ضوء الشمس. ومن خلف ستارة لم أرها تماماً أبداً بسبب الضبابية، ومع ذلك لم أنكر أبداً، سوف تمشي هازيل بطريقة سوداوية إلى وسط الغرفة، وسأكون هناك أعجب بالجمال العالمي لردفيها، على ركبتي أمامها، أصابعي تذوبان لتلمسها، ومع ذلك لم أتكلم مع العزيزة هازيل لكن إلى ردفيها، مخاطباً إياهما كما لو أنهما أرواح حية، قائلاً لهما كم هما رائعان! وكم كانت الحياة عديمة الفائدة دونهما! بينما أتحدث إليهما بيدي وأقربهما مني. ومزقت تلك الصورة إلى قطع أيضاً، وراقبت القصاصات تتشبع بالماء. عزيزتي هازيل...

ثم كانت تانيا. كنت ألتقي تانيا ليلاً في كهف بنيناه نحن الأولاد ذات صيف منذ وقت طويل على امتداد منحدرات بالوسفيردز بالقرب من سان بيدرو. كان قرب البحر، ويمكنك أن تشم نشوة أشجار الدردار التي تنمو هناك. كانت المجلات القديمة والصحف متناثرة في الكهف دوماً. كان هناك في زاوية مقلي سرقته من مطبخ أمي، وفي زاوية أخرى شمعة تحترق وتصدر هسيساً. كان حقاً كهفاً صغيراً دنساً بعد أن بقيت هناك فترة قصيرة، وبارداً جداً، لأن الماء تقطر من الجوانب. وهناك التقيت بتانيا. لكن لم أحب تانيا، بل الطريقة التي ارتدت فيها شالاً أسود في الصورة. ولم يكن الشال أيضاً. كان أحدهما يكمل الآخر، ولا يمكن إلا لتانيا أن ترتديه بتلك الطريقة. وجدت نفسي دوماً كلما التقيتها أدب عبر فتحات الكهف إلى مركز الكهف وأجذب الشال بعيداً حتى يتراخى شعر تانيا الطويل من حولها، ثم سأمسك

بالشال إلى وجهي وأدفن شفاهي فيه، معجباً بلمعانه الأسود، وشاكراً تانيا مراراً وتكراراً لأنها ارتدته ثانية من أجلي. وتانيا ستجيب دوماً: " لكن هذا لا شيء، أيها الأحمق. أنا أفعله بسرور. أنت شديد الحماقة." وقد أقول: " أحبك، تانيا".

كانت هناك ماري. أوه ماري! أوه يا ماري! أنت بضحكك الجميل وعطرك الحاذق! أحببت أسنانها وفمها ورائحة لحمها. كنا نلتقي في غرفة معتمة على جدرانها كتب تغطيها خيوط العنكبوت. كان هناك كرسي جلدي قرب الموقد، ولا بد من أنه كان منزلاً عظيماً جداً، قلعة أو قصر في فرنسا، لأنه عبر الغرفة، انتصب مكتب إميل زولا كما رأيته في كتاب كبيراً وصلباً. سأكون جالساً هناك أقرأ الصفحات الأخيرة من رواية "نانا"، تلك الفقرة عن موت نانا، وماري ستنهض كالضباب من تلك الصفحات وتقف أمامي عارية، تضحك وتضحك بفم جميل ورائحة مسكرة إلى أن يتوجب عليَّ أن أضع الكتاب، ومشت أمامي ومدت يديها على الكتاب أيضاً، وهزت رأسها بابتسامة عميقة، فشعرت بدفئها يسري مثل الكهرباء عبر أصابعي.

" من أنت؟"

" أنا نانا".

" نانا حقاً؟"

" حقاً".

" الفتاة التي ماتت هنا؟"

" أنا لست ميتة. أنا أنتمي إليك".

ولسوف آخذها بين ذراعي.

كانت روبي هناك. امرأة ضالة، مختلفة كثيراً عن الأخريات، وأكبر منهن بكثير أيضاً. لطالما صادفتها وهي تركض في سهل حار جاف خلف مأتم في وادي الموت، كاليفورنيا. ذلك لأني كنت هناك مرة في الربيع ولم أنس يوماً جمال ذلك السهل الفسيح، وهناك حدث أن التقيت روبي الضالة كثيراً فيما بعد، امرأة بعمر الخامسة والثلاثين، تركض عارية عبر الرمال، وأنا أطاردها وأخيراً أمسك بها قرب بركة ماء أزرق أصدر دوماً بخاراً أحمر لحظة جرجرتها إلى الرمل وأغرقت فمي في حنجرتها، التي كانت دافئة للغاية وليست جميلة كثيراً، لأن روبي كانت تكبر وأوردتها برزت قليلاً، لكن كنت مجنوناً بحنجرتها، وأحببت لمس أوردتها التي تعلو وتهبط وهي تلهث حيث أمسكت بها وجلبتها إلى الأرض.

وجين! كم أحببت شعر جين! كان ذهبياً كالقش، ودوماً رأيتها تجفف الضفائر الطويلة تحت شجرة موز نمت على ربوة بين تلال بالوس فيرديز. سأكون أراقبها وهي تمشط الجدائل العميقة. نائمة عند قدميها حية ملتفة مثل الحية تحت أقدام مريم العذراء. اقتربت دوماً من جين على أطراف أصابعي، كي لا أزعج الحية، التي تنهدت ممتنة عندما غاصت أقدامي فيها مانحة إياي تلك المتعة الجميلة في كل مكان، مضيئة عيون جين المتفاجئة، ومن ثم انزلقت يداي بلطف وبحذر في الدفء الغريب للشعر الذهبي، وجين قد تضحك وتقول لي إنها تعرف أنه سيحدث بهذه الطريقة، ومثل وشاح نازل سوف ترتمي بين ذراعي.

لكن ماذا عن نينا؟ لم أحببت تلك الفتاة؟ ولماذا كانت عاجزة؟ وماذا الذي كان في قلبي كي أحبها بجنون واضح لأنها كانت مشوهة بيأس بالغ؟ ومع ذلك كان كل شيء كذلك، وكانت مسكينتي نينا كسيحة. ليس في الصورة، أوه لم تكن كسيحة هناك، فقط عندما التقيتها، إحدى القدمين

أصغر من الأخرى، إحدى قدميها مثل قدم لعبة، والأخرى طبيعية. التقينا في الكنيسة الكاثوليكية في صباي، كنيسة القديس توما في ويلمنجتون، حيث أنا، في أردية الكاهن، واقف وبيدي صولجان عند المذبح العالي.

كانتالخاطئات في كل موطئ جاثيات على ركبهن، يبكين بعد أن وبختهنّ على ذنوبهنّ، ولم تكن تملك إحداهن الشجاعة لترفع بصرها نحوي لأن عيني برقتا بقدسية غاضبة، بمثل هذا الكره للإثم. ثم جاءت من مؤخرة الكنيسة هذه الفتاة العرجاء، تبتسم عارفة أنها كانت ستوقعني عن عرشي المقدس وتجبرني على ارتكاب المعصية معها قبل الأخريات، بحيث يمكنهن أن يسخرن مني ويضحكن علي، المقدس، المنافق أمام العالم أجمع. جاءت تعرج، تتعرى مع كل خطوة مؤلمة، شفتاها الندیتان تبتسمان بنصر قريب، وأنا صرخت عليها بصوت ملك ساقط، لتبتعد، لأنها كانت شريرة خدعتني وجعلتني بائساً. لكنها تقدمت لا تقاوم، الجمهور مبتلى بالرعب، ووضعت ذراعيها حول ركبتي وضمتني إليها، مخفية تلك القدم الصغيرة العرجاء، فلم أعد أحتمل من الوقت، وبصرخة سقطت عليها وبفرح اعترفت بضعفي بينما ارتفعت من حولي دمدمة غوغاء تلاشت تدريجياً في ذهول كئيب.

وهكذا كان. هكذا كان أن التقطت الواحدة تلو الأخرى، وتذكرتهن، قبلتهن قبلة الوداع، ومزقتهن مزقاً. عارضت بعضهن أن يمزقن، مناديات بأصوات مثيرة للشفقة من الأعماق المبهمة لتلك الأماكن الفسيحة حيث أحببنا في نصف أحلام غريبة، ضاعت أصداء تضرعاتهن في الظلمة الظليلة التي كان آرتورو بانديني جالساً فيها مرتاحاً في حوض استحمام بارد واستمتع برحيل أشياء سبق أن كانت حقيقة، ومع ذلك لم تكن أبداً.

لكن كرهت إتلاف واحدة على وجه الخصوص. هي وحدها أثارت ترددي. كانت تلك التي سميتها الفتاة الصغيرة. لقد بدت دوماً تلك المرأة

حادثة قتل مؤكدة في سان دييجو، لقد ذبحت زوجها بسكين واعترفت للشرطة بالجريمة ضاحكة. كنت ألتقيها في الظروف الصعبة القذرة من بدايات لوس أنجلس قبل أيام هبة الذهب. كانت ساخرة جداً مقارنة بصغر سنها، وقاسية للغاية. الصورة التي قطعتها من مجلة التحري لم تدع للخيال شيئاً. ومع ذلك لم تكن فتاة صغيرة على الإطلاق. حسبي أني سميتها كذلك. كانت امرأة كرهت رؤيتي، وأي لمسة مني، ومع ذلك وجدتني لا أقاوَم، تشتمني، ومع ذلك تحبني بشكل رائع. وقد أراها في كوخ معتم موحل ونوافذ مظلمة، حرارة البلدة تقود جميع أبناء البلدة للنوم ولذلك لم يكن أحد يتحرك في الشوارع من ذلك اليوم المبكر في لوس أنجلس، وستكون مستلقية على سرير نقال، وتلهث وتلعنني عندما تسمعصوت قدمي على الشارع المهجور وأخيراً عند بابها، السكين في يدها ستمتعني وتجعلني أبتسم، ولسوف تصرخ صرخات شنيعة. لقد كنت شريراً هكذا. ثم ابتسامتي ستدعها بائسة، اليد التي أمسكت السكين أخيراً تتقدم ببطء، تسقط السكين على الأرض، وتنكمش رعباً وكرهاً، ومع ذلك محمومة حباً. إذاً كانت الفتاة الصغيرة، ومن بينهن جميعاً كانت أثيرتي بلا جدال. ندمت على إتلافها. فكرت ملياً لوقت طويل، لأني عندما أتلفتها عرفت بأنها ستستريح وتنتهي مني، فحينها لن يعود في وسعي إرهاقها كشيطان، وامتلاكها بضحك محتقر. لكن قدر الفتاة الصغيرة كان محتماً. لم أحابِ. مزقت الفتاة الصغيرة إلى مزق كالأخريات.

عندما تم إتلاف الأخيرة إلى أجزاء غطت سطح المياه، ولم تكن المياه مرئية تحتها. حركتها بحزن. كان لون الماء ضارباً إلى السواد من حبر باهت. كان العرض قد انتهى. كنت مسروراً لأني أقدمت على هذه الخطوة الجريئة وتخلصت منهن دفعة واحدة. هنأت نفسي لامتلاكي هذه القوة والعزم، تلك

القدرة على رؤية عمل حتى نهايته. كان عليَّ أن أتغلب على التأثر العاطفي بوحشية. كنت بطلاً، ولم يكن صنيعي مدعاة للسخرية. نهضت ونظرت إليهن قبل أن أشد السدادة. قطع صغيرة من حب راحل. تحت في المصرف اذهبن بعيداً إلى البحربغراميات آرتورو بانديني! انطلقن في رحلتكن نحو المجرور إلى أرض السرطانات الموتى. نطق بانديني. اسحب السلسة!

وقد تم. وقفت يتقطر الماء مني وألقيت التحية.

" وداعاً،" قلت. " وداعاً أيتها النسوة. اليوم سخروا مني في مصنع التعليب، وكان خطأكن، لأنكن سممتن عقلي وجعلتموني عاجزاً في وجه هجوم الحياة. الآن أنتن موتى. وداعاً ووداعاً إلى الأبد. ذلك الذي يسخر من آرتورو بانديني، سواء كان رجلاً أو امرأة، ينتهي نهاية مبكرة. لقد أوضحت. آمين".

الفصل الثالث عشر

كرهت مصنع التعليب نائماً أم مستيقظاً سيان، وكانت دوماً تفوح مني رائحة سلة من سمك الإسقمري. لم تغادرني أبداً تلك الرائحة الكريهة لحصان ميت على قارعة الطريق. تبعتني في الشوارع. دخلت معي إلى المباني. كانت هناك عندما زحفت إلى السرير ليلاً مثل غطاء يلفنيتماماً. وفي أحلامي كان هناك سمك سمك سمك، إسقمري ينزلق في حوض أسود، وأنا مربوط إلى غصن من زلفي الحوض. كان في طعامي وثيابي، وحتى في مذاق فرشاة أسناني. حدث الأمر نفسه لمونا وأمي. أخيراً ساء الأمر كثيراً عندما جاء يوم الجمعة وتناولنا اللحم على العشاء. لم تستطع أمي أن تتحمل فكرة السمك، حتى لو كان ذنباً أن يكون العشاء دون سمك.

منذ صغر سني نفرت من الصابون أيضاً. لم أصدق بأني قد أعتاد على ذلك الشيء المدهن اللزج برائحته الزلقة الأنثوية. لكن الآن استعملته ضد رائحة السمك الكريهة. استحممت أكثر من أي وقت مضى. ذات يوم سبت استحممتُ مرتين-مرة بعد العمل ومرة قبل أن أذهب إلى النوم. جلست كل ليلة في الحوض أقرأ الكتب حتى يبرد الماء ويبدو مثل ماء طبق قديم. شحذت الصابون في جلدي حتى لمع مثل تفاحة. لكن لم يكن هناك فائدة على الإطلاق، كانِ مضيعة للوقت. كانت الطريقة الوحيدة للتخلص من الرائحة أن أترك المصنع. غادرت دوماً الحوض وأنا أعبق بمزيج من رائحتين كريهتين-الصابون والإسقمري الميت.

عرف الجميع من أكون وماذا أعمل كلما رأوني قادماً. كوني كاتباً لم يكن وافياً. تم التعرف إلي في الحافلة في الحال، وفي السينما أيضاً. هو واحد من أولاد ذلك المصنع. يا إلهي، ألا يمكنك أن تشمه؟ كان لدي تلك الرائحة المعروفة جيداً.

ذهبت ذات ليلة إلى السينما لأشاهد فيلماً. جلست بمفردي، وحيداً تماماً في الركن، رائحتي وأنا. لكن كانت المسافة عقبة سخيفة في وجه ذلك الأمر. غادرتني وخرجت ودارت وعادت مثل ميت مثبت إلى شريط مطاطي. بعد حين بدأت الرؤوس تتلفت. من الواضح أن عامل من عمال المصنع في مكان ما في الجوار. كان هناك تجهم واستنشاق. ثم تمتمات، وحفيف أقدام. نهض الناس في كل مكان وابتعدوا. ابتعد عنه، إنه عامل في المصنع. وهكذا لم أعد أذهب لمشاهدة الأفلام. لكني لم أبال. كانت للرعاع بأية حال.

بقيت في البيت ليلاً وقرأت الكتب.

لم أجرؤ على الذهاب إلى المكتبة.

قلت لمونا: " اجلبي لي كتباً لنيتشه. اجلبي لي سبنجلر الجليل. اجلبي ليكتباً لأوغست كومتي وعمانوئيل كانط. اجلبي لي الكتب التي لا يمكن للرعاع قراءتها."

جاءت مونا بها إلى البيت. قرأتها كلها، كان معظمها عصياً على الفهم، بعضها جاف جداً حتى توجب عليَّ أن أتظاهر بأنها كانت ساحرة، وأخرى رهيبة جداً كان عليَّ أن أقرأها جهاراً مثل ممثل لكي أفهمها. لكن عادة كنت متعباً للغاية فلم أتمكن من القراءة. كانت فترة قصيرة في حوض الاستحمام كافية حتى ترفرف الطباعة قرب عيني مثل خيط في الريح. غططت في النوم. في صباح اليوم التالي وجدت نفسي عارياً وفي السرير، المنبه يرن، متسائلاً

كيف لم توقظني أمي. وبينما أرتدي ملابسي فكرت في الكتب التي قرأتها في الليلة السابقة. تذكرت فقط جملة من هنا وجملة من هناك، والواقع أنني نسيت كل شيء.

حتى أني قرأت ديواناً شعرياً. أمرضني ذلك الكتاب، وقلت إنني لن أقرأ ديواناً آخر ثانية. كرهت تلك الشاعرة. تمنيت لو أنها أمضت بضعة أسابيع في مصنع التعليب، فقد يتغير موقفها.

فكرت في المال أكثر من كل شيء. لم أملك يوماً كثيراً من النقود. كان أكبر مبلغ ملكته خمسين دولاراً. كنت ألف الورق بيدي وأتظاهر بأنها لفيفة من ألف دولار. وقفت أمام المرآة وسلختها لبائع الثياب، بائعي السيارات، والعاهرات. أعطيت عاهرة بقشيشاً بقيمة ألف دولار. لقد عرضت أن تمضي معي الأشهر الستة التالية دون مقابل. كنت متأثراً جداً لأني أخرجت ألف دولار أخرى وأعطيتها لها بداع عاطفي. حينئذ وعدت أن تهجر حياتها السيئة. قلت:لا لا عزيزتي، وأعطيتها بقية اللفة: سبعين ألف دولار.

كان مصرف كاليفورنيا يبعد شارعاً واحداً عن شقتنا. كنت أقف إلى نافذتنا ليلاً وأراه يبرز: بغطرسة كبيرة عند الناصية. أخيراً فكرت في طريقة لسلبه دون أن يلقى القبض علي. كانت تقع بالقرب من المصرف مؤسسة لتنظيف الملابس. كانت الفكرة أن أحفر نفقاً من مؤسسة التنظيف إلى خزينة المصرف. يمكن أن تنتظر في الخلف سيارة عند البوابة. كان يبعد فقط مسافة مئة ميل عن مكسيكو.

عندما لم أحلم بالسمك حلمت بالمال. كنت أستيقظ وقبضتي مغلقة بإحكام، ظاناً أنها تمسك بالمال، قطعة ذهبية، وأكره أن أفتح يدي لأني عرفت أن عقلي كان يراوغ، ولم يكن هناك حقاً مال على الإطلاق في يدي. لقد قطعت عهداً أنه لو ملكت يوماً مبلغاً كافياً من المال سأشتري شركة سويو

للسمك، وأحتفل طوال الليل مثل احتفال الرابع من تموز، وأحرقها عن آخرها في الصباح.

كان العمل شاقاً. في الأصائل هبطت الشمس بقوة وارتفع الضباب. رفعت الأشعة نفسها من الخليج الأزرق داخل الصحن المكون من تلال بالوس فيرديز وكانت مثل أتون. في المصنع كان الحال أسوأ. لم يكن هناك هواء نقي، وليس حتى ما يكفي لملء منخر واحد. كانت جميع النوافذ مسمرة بمسامير صدئة، والزجاج تغطيه شباك العنكبوت ومدهناً بمرور الزمن. سخنت الشمس الأسطح الحديدية المتموجة مثل شعلة، مجبرة الحرارة على النزول. انجرف بخار حار من الحاويات والأفران. جاء بخار آخر من دنان السماد الكبيرة.التقت الأبخرة قدماً، يمكنك أن تراها تلتقي وكنا تماماً في وسطها، نتعرق في صخب مقلب العلب.

كان خالي محقاً بشأن العمل، محق تماماً. كان عملاً لا يحتاج للتفكير. يمكنك أن تترك دماغك في البيت في ذلك العمل. كل ما عملناه طوال اليوم كان الوقوف هناك وتحريك أذرعنا وسيقاننا. نبدل مرة كل حين ثقل أوزاننا من قدم إلى أخرى. إذا أردت حقاً أن تتحرك، عليك أن تغادر المنصة للذهاب إلى النافورة أو إلى دورة المياه. وضعنا خطة: نتبادل الأدوار فيأخذ كل واحد منا عشر دقائق في دورة المياه بالتناوب. لم نكن في حاجة إلى رئيس مع تلك الآلات. عندما بدأ إلصاق الرقع في الصباح، قذف شورتي نايلور المفتاح وغادر الغرفة. عرف أمر تلك الآلات.

لم نرغب في رؤيتهم يتفوقون علينا. عندما فعلوا تسبب لنا هذا بالأذى على نحو غامض. لم يكن ألماً يشبه شخصاً يخزك في المقعد بدبوس، لكن كان حزناً يزداد سوءاً على المدى الطويل. إذا هربنا كان هناك دوماً شخص على الخط لن يهرب. صرخ. في المقدمة كان علينا أن نعمل بجد أكبر لنملأ المكان

في الحزام الناقل ليشعر بتحسن. لم يحب أحد تلك الآلة. سواء كنت فلبينياً أو إيطالياً أو مكسيكياً. لقد أزعجتنا جميعاً. احتاجت للعناية أيضاً. كانت مثل طفل. متى تعطلت سينتشر الذعر في المصنع برمته. كل شيء كان منفذاً في الحال. عندما كانت الآلات تصمت كان مثل مكان آخر. لم يعد مصنعاً بل مستشفى. انتظرنا نتحدث همساً حتى يتم إصلاح الآلات.

عملت بجد لأن ذلك كان واجباً، ولم أتذمر كثيراً لعدم وجود وقت للتذمر. وقفت معظم الوقت أغذي الآلة وأفكر في المال والنساء. مر الوقت بسهولة أكبر مع مثل تلك الأفكار. كان أول عمل أعمله حيث كلما فكرت أقل بعملك كلما كان أسهل. اعتدت أن أكون شهوانياً للغاية مع أفكاري حول النساء. كان ذلك لأن المنصة في حالة اهتزاز دائم. حلم واحد بهن انزلق في الآخر، ومرت الساعات وأنا واقف قريباً من الآلة وحاولت أن أركز على عملي فالأولاد الآخرين لن يعلموا بما كنت أفكر.

نظرت خلال سديم البخار مروراً بالغرفة نحو الباب المفتوح. كان الخليج الأزرق يمتد تكتسحه مئات النوارس الكسولة القذرة. على الجانب الآخر من الخليج كان الرصيف الكاتلاني. كل بضع دقائق في الصباح كانت تغادر الرصيف سفن وطائرات إلى جزيرة كاتالينا، التي تبعد ثمانين ميلاً. رأيت عبر الباب المغشى طوافات من الطائرات الحمراء وهي ترتفع عن المياه. غادرت السفن فقط في الصباح، لكن طوال اليوم حلقت الطائرات إلى الجزيرة الصغيرة التي تبعد ثمانين ميلاً. ومضت الطوافات الحمراء المتقطرة في ضوء الشمس، مخيفة النوارس. لكن من حيث كنت واقفاً لم أر سوى الطوافات. فقط الطوافات. وليس أجنحة الطائرة وهيكلها.

هذا ضايقني منذ اليوم الأول. أردت أن أرى الطائرة كلها. عدة مرات رأيت طائرات في طريقي إلى العمل. كنت أقف على الجسر وأراقب الطيارين

يصلحونها، وعرفت كل طيارة في الأسطول. لكن رؤيتي للطوافات فقط من خلال الباب، عملت في عقلي مثل حشرة. كنت أفكر في أكثر الأشياء جنوناً. كنت أتخيل أموراً تحدث لأجزاء غير مرئية من الطائرة-أن المندسين كانوا يركبون الأجنحة. أردت أن أهرع إلى الباب لأتأكد. كان يخالجني دوماً شعور داخلي. كنت أتمنى المآسي. أردت أن أرى طيارات تصطدم ويغرق المسافرون في الخليج. بعض الصباحات قد آتي إلى العمل وفي عقلي أمل وحيد-أن شخصاً ما قد يبرز في الخليج. كنت مقتنعاً بهذا. الطيارة التالية، قد أقول، الطيارة التالية لن تصل أبداً إلى كاتالينا: ستتحطم عند الإقلاع، سيصرخ الناس، وتغرق النساء والأطفال في الخليج، سيرمي شورتي نايلور المفتاح وسنخرج جميعاً لنرى انتشال المنقذين للجثث من الماء. من الضروري أن يحدث. إنه محتوم. وكنت أفكر في أني كنت خارقاً.

وهكذا، طوال اليوم أقلعت الطائرات بعيداً. لكني لم أر سوى الطوافات من مكان وقوفي. تألمت عظامي عند المغادرة. التالية ستتحطم بالتأكيد. أصدرت حنجرتي ضجيجاً، أقضم شفتي وأنتظر محموماً الطيارة التالية. تواً سمعت هدير المحركات، تتلاشى فوق صخب المصنع، ووقتُها. الموت أخيراً! الآن سيموتون! عندما حان الوقت، توقفت عن العمل وحدقت، تواقاً للمنظر. لم تختلف الطائرات في الإقلاع قيد أنملة. لم يتغير أبداً المنظر من خلال الباب. هذه المرة، كما دوماً، كانت الطوافات كل ما رأيته. تنهدت. آه حسناً، من يعلم؟ ربما ستتحطم خلف المنارة عند نهاية كاسر الأمواج. سأعرف خلال وقت قصير. ستدوي صفارات خفر الساحل. لكن الصفارات لم تصفر. نجت طائرة أخرى.

سمعت بعد خمس عشرة دقيقة هدير طائرة أخرى. كان من المفترض أن نبقى هناك. لكن لتذهب الأوامر إلى الشيطان. قفزت من مقلب العلب

وهرعت إلى الباب. أقلعت الطائرة الكبيرة الحمراء. رأيتها كلها، كل إنش منها، وعيناي أولمت وليمة صغيرة على المأساة. هناك في كل مكان، موت متربص. قد يضرب في أي لحظة. تحركت الطائرة عبر الخليج، وانطلقت في الهواء، وتحركت نحو منارة سان بيدرو. أصغر وأصغر. كانت قد أفلتت أيضاً. هززت قبضتي نحوها.

" ولكن ستنالينها أيضاً!" صرخت.

راقبني الأولاد عند مقلب العلب بذهول. شعرت بأني أحمق. التفت وعدت. اتهمتني عيونهم، كما لو أني هرعت إلى الباب وحاولت أن أقتل طائراً جميلاً.

فجأة تغيرت نظرتي لهم. لقد بدوا في غاية الحماقة. لقد عملوا بجد كبير. ولديهم زوجات يطعمونهنّ، وسرب من الأولاد بوجوه متسخة، وانشغالات بفاتورة الكهرباء والبقالة، وقفوا بعيدين جداً، منفصلين جداً، عارين في أردية العمل القذرة، بوجوه مكسيكية حمقاء مكسوة بالبثور، متخمة بالحماقة، يراقبونني عائداً، يظنون أني مجنون، يجعلونني أرتجف. كانوا كتلاً لزجة وبطيئة، متكتلين ومتخمين كما حال الغراء، دبقين وملتصقين وعاجزين وبائسين، بعيون حزينة دامعة لحيوانات مسنة في حقل. ظنوا أني مجنون لأني لم أبد مثل حيوان مسن مجلود في حقل. دعهم يفكروا في أننيمجنون!

بالتأكيد أنا مجنون! أيها الخرقى، البلهاء، والحمقى! لا أهتم لأفكاركم. كنت مشمئزاً لأنه توجب عليَّ أن أكون قريباً منهم. أردت أن أضربهم، واحداً واحداً، حتى يصيروا كتلة من الجرحى والنازفين. أردت أن أصرخ عليهم لأبعد عني عيونهم المساطة المستغرقة في الكآبة اللعينة، لأنهم تحولوا إلى بلاطة سوداء على قلبي، مكان مفتوح، قبر، حفرة، قرح، زحفوا منه في

موكب معذب ميتهم يقود ميتاً آخر يستعرضون العذاب المرير لحيواتهم في قلبي.

قعقعت الآلة وأحدثت ضجة مدوية. أخذت مكاني بجانب أوسيبيو وعملت، على نفس الوتيرة، أغذي الآلة بالعلب، مستسلماً لحقيقة أني لم أكن خارقاً، وأن المأساة لاتضرب إلا ليلاً مثل جبان. راقبني الأولاد أبداً من جديد، ثم بدأوا أيضاً، متنازلين عني لمسموس. لم يقل شيئاً. مرت الدقائق. مضت ساعة من الوقت.

دفعني أوسيبيو بمرفقه.

" لماذا تهرع بهذا الشكل؟"

" الطيار. صديق قديم لي. كولونيل باكينجهام. كنت ألوح له".

هز أوسيبيو رأسه.

" أحمق، آرتورو. أنت أحمق تماماً" .

الفصل الرابع عشر

رأيت من مكاني على الناقل أيضاً نادي كاليفورنيا لليخوت. كانت التموجات الأولى الخضراء لتلال فيرديز بالوسفي الخلفية. كان مشهداً من إيطاليا عرفته من الكتب. رفرفت بيارق لامعة من صواري اليخوت. وفي البعيد كانت الموجات المزبدة من أمواج كبيرة تحطمت على كاسر الأمواج الخشن. على أرصفة اليخوت استلقى الرجال والنساء في بدل بيضاء مهملة. كان هؤلاء أناساً رائعين. كانوا من مستعمرة السينما ودوائر لوس أنجلس المالية. كانوا يملكون ثروات طائلة، كانت تلك المراكب ألعابهم. إذاً شعروا برغبة في مغادرة عملهم في المدينة وجاؤوا إلى المرفأ للعب بها، وجلبوا نساءهم.

ويا لهن من نساء! لقد انقطعت أنفاسي حتى لرؤيتهن ينثنين بالقرب في سيارات كبيرة، رابطات الجأش وعلى قدر كبير من الجمال، برخاء شديد في البيت مع كل تلك الثروة، سجائرهن مائلة بطريقة أنيقة للغاية، أسنانهن لماعة للغاية ووامضة، كانت الملابس التي ارتدوها لا تقاوم، تكسوهن على نحو شديد الكمال، تحجب كل عيوب الجسد، وتجعلهن مثاليات للغاية في فتنة. ظهراً عندما هدرت السيارات الكبيرة في الطريق عابرة بمصانع التعليب وكنا في الخارج لساعة الغداء كنت أنظر إليهن مثل لص يسترق النظر إلى المجوهرات. ومع ذلك بدون بعيدات للغاية حتى كرهتهن، وكرههن جعلهن أقرب. ذات يوم سيكن لي. سأملكهن والسيارات التي

تقلهن. عندما تأتي الثورة سيكن لي، ممتلكات المفوض في الحزب الشيوعي باندنيي، هناك في الحي السوفييتيفي سان بيدرو.

لكني أتذكر امرأة على اليخت. كانت تبعد مسافة مئتي ياردة. لم أتمكن من رؤية وجهها من تلك المسافة. فقط كانت حركاتها واضحة عندما مشت على الرصيف مثل ملكة قراصنة في لباس بحر أبيض رائع. ذرعت رصيف اليخت الذي امتد مثل قطة كسولة في الماء الأزرق جيئة وذهاباً. كانت مجرد ذكرى، انطباع تم الحصول عليه بالوقوف عند مقلب العلب والنظر من الباب. فقط ذكرى، لكني وقعت في حبها، المرأة الأولى الحقيقية التي أحببتها. توقفت بين الحين والآخر عند السياج ونظرت إلى المياه. ثم تابعت السير، فخذاها المترفان يتحركان صعوداً وهبوطاً. مرة التفتت وحدقت نحو المصنع الممتد. ظلت تحدق بضع دقائق. لم تتمكن من رؤيتي، لكنها نظرت مباشرة نحوي. في تلك اللحظة وقعت في حبها. لا بد من أن يكون حباً، ومع ذلك قد يكون لباسها البحري الأبيض. نظرت إليه من كل الزوايا، مسلماً أخيراً بأنه الحب.

بعد أن تطلعت نحوي، التفتت وتابعت السير. أنا أحب، قلت. إذاً هذا هو الحب! فكرت فيها طوال اليوم. في اليوم التالي كان اليخت قد رحل. تساءلت عنها، ومع ذلك لم يبد الأمر مهماً أبداً، كنت واثقاً من أنني أحبها. بعد حين كففت عن التفكير فيها، أصبحت ذكرى، مجرد فكرة لتمضية الساعات عند مقلب العلب. ومع ذلك أحببتها، لم ترني أبداً، ولم أر وجهها قط، لكنه كان حباً بالرغم منكل شيء. لم أستطع حمل نفسي على التصديق بأني أحببتها أيضاً، لكني ارتأيت بأني كنت مخطئاً فيما مضى، وبأني أحببتها.

دخلت مرة فتاة شقراء جميلة غرفة التغليف. جاءت مع رجل ذي شارب أنيق ويرتدي طماق الكاحل. لاحقاً اكتشفت أن اسمه هوجو. كان يملك

المصنع، وأيضاً واحدة من الجزر الطرفية وأخرى في مونتيري. لم يعرف أحد الفتاة. تشبثت بذراعه، مشمئزة من الرائحة. عرفت أنها لم تحب المكان. لم يكن عمرها يتجاوز العشرين عاماً. ارتدت معطفاً أخضر. كانت انحناءة ظهرها مثالية، مثل ضلع برميل، وارتدت حذاءً أبيض ذا كعب عال. كان هوجو يتفحص المكان ببرود، يثمنه. همست له. ابتسم وربت على ذراعها. خرجا معاً. عند الباب التفتت الفتاة لتنظر إلينا. أخفضت رأسي، غير راغب في أن تراني فتاة جميلة جداً بين هؤلاء المكسيكيين والفلبينيين.

كان أوسيبيو قربي عند مقلب العلب.

وكزني وقال: "هل تعجبك، آرتورو؟"

"لا تكن أحمق،" قلت. "إنها مومس، نقية وبسيطة، مومس رأسمالية. سينتهي يومها عندما تأتي الثورة."

لكني لم أنس يوماً تلك الفتاة الصغيرة بمعطفها الأخضر وحذائها الأبيض ذي الكعب العالي. كنت واثقاً من أنني سألتقيها ثانية ذات يوم. ربما بعد أن أصبح غنياً ومشهوراً. حتى حينها لم أكن لأعرف اسمها، لكني قد أؤجر مخبرين لكي يتبعوا هوجو إلى أن يجدوا الشقة حيث يخفيها، سجينة افتراضية في ثروته الحمقاء. سيأتي المتحرون إليّ بعنوان المكان. سأذهب إلى هناك وأقدم بطاقتي.

"أنت لا تتذكرينني،" قد أبتسم.

"لم لا، أخشى أني لا أتذكرك".

آه. حينها سأحدثها عن تلك الزيارة التي قامت بها إلى شركة سويو للسمك منذ سنوات. كيف أني أنا، رجل أبيض فقير بين تلك المجموعة من المكسيكيين الجهلة والفلبينيين، كنت مستغرقاً للغاية بجمالها فلم أجرؤ على

إظهار وجهي. ثم قد أضحك.

" لكن بالتأكيد تعلمين من أنا الآن".

قد أقودها إلى رف كتبها، حيث كانت كتبي مرئية بين بضعة كتب لا غنى عنها، مثل الإنجيل والقاموس، وقد أسحب كتابي عملاق القدر، الكتاب الذي نلت من أجله جائزة نوبل.

" هل تودين أن أوقعه لك؟"

حينها، ستعرف لاهثة.

" عجباً أنت بانديني، آرتورو بانديني الشهير!"

أتلعثم. وقد أضحك ثانية

" بشحمه ولحمه! "

يا له من يوم! يا له من انتصار!

الفصل الخامس عشر

مر شهر، وأربعة مرتبات. خمسة عشر دولاراً أسبوعياً.

لم أعتد أبداً على شورتي نايلور. ولهذا شورتي نايلور لم يعتد عليَّ قط. لم أتمكن من التحدث معه، لكن هو أيضاً لم يتمكن من التحدث إلي. هو لم يكن رجلاً يقول مرحباً، كيف حالك؟ يومئ فحسب. ولم يكن رجلاً يناقش حالة المصنع أو السياسة العالمية. كان بارداً جداً. وأبقاني بعيداً. جعلني أشعر كما لو أني كنت موظفاً. عرفت سلفاً بأني موظف. لم أر أية حاجة إلى تكرار ذلك.

كانت نهاية موسم الإسقمري قريبة. جاء ذات أصيل عندما انتهينا من وسم دفعة تزن مئتي طن. ظهر شورتي نايلور يحمل قلماً وأوراقاً للمراجعة. كان الإسقمري معلباً ومغلفاً وجاهزاً للإرسال. رست سفينة شحن عند الأرصفة، تنتظر حملها إلى ألمانيا-للبيع بالجملة في برلين.

طلب منا شورتي أن ننقل الشحنة على الأرصفة. مسحت العرق عن وجهي عندما توقفت الآلة، وبلطف يسير وتواضع مشيت نحو شورتي وطبطبت على ظهره.

" كيف حال المصنع يا نايلور؟" قلت. " أية منافسة تلك التي سنحصل عليها من هؤلاء النرويجيين؟"

هز اليد من كتفه.

" احصل لنفسك على عربة يد واذهب إلى العمل".

" سيد صارم،" قلت." أنت سيد صارم، يا نايلور".

مشيت عدة خطوات ونادى باسمي. عدت.

" هل تعرف كيف تعمل عربة النقل اليدوية؟"

لم يكن لدي فكرة عنها. لم أعرفها حتى بالاسم. بالتأكيد لم أكن أعرف كيف تعمل العربة اليدوية. كنت كاتباً. بالتأكيد لم أكن أعرف. ضحكت وجذبت سروالي.

" مضحك جداً! هل أعرف كيف تعمل العربة اليدوية! وتسألني عن ذلك! عجباً. هل أعرف كيف تعمل العربة اليدوية!"

" إذا كنت لا تعرف-قل ذلك. ليس عليك أن تخدعني".

هززت رأسي وأطرقت.

" هل أعرف كيف تعمل العربة اليدوية! وتسألني عن ذلك!"

" حسناً، هل تعرف؟"

" سؤالك يبدو واضح السخف. هل أعرف كيف أعمل بعربة النقل اليدوية! بالتأكيد أعرف كيف تعمل. بطبيعة الحال!"

تغضنت شفته مثل ذيل جرذ.

" أين تعلمت العمل عليها؟"

تحدثت إلى الغرفة عموماً:" الآن هو يريد أن يعرف أين تعلمت العمل على العربة اليدوية! تخيلوا ذلك! يريد أن يعلم أين تعلمت العمل عليها!"

" لا بأس، نحن نضيع الوقت. أين؟ أنا أسألك أين؟"

استجبت مطلقاً صوتاً كصوت بندقية.

" الأرصفة. أرصفة الجازولين. تفريغ السفن".

حبت عيناه فوقي من رأسي حتى أخمص قدمي، وتجعدت شفته بتجعدات مرهقة، رجل متقزز للغاية بالازدراء.

" أنت عامل تفريغ سفن!"

ضحك.

كرهته. الأبله. الأحمق، الكلب، الجرذ، الظربان. الجرذ بوجه ظربان. ماذا يعرف عن الأمر. كذبة، نعم. لكن ماذا يعرف عن الأمر؟ هو-هذا الجرذ-لا يملك ذرة ثقافة، ربما لم يقرأ كتاباً واحداً في حياته. يا إلهي! ما الذي يعرفه عن أي شيء؟ وأمر آخر. هو لم يكن كبيراً جداً أيضاً، بأسنانه المفقودة وفمه الملوث بالتبغ وعينيه التي لجرذ مسلوق.

" حسناً،" قلت." كنت أنظر إليك، سايلور أو تايلور، أو نايلور، أو أياً يكن ما ينادونك به هنا في حفرة النتن، أنا لا أهتم، غير أن نظرتي منحرفة تماماً، أنت لست كبيراً ملعوناً جداً، سايلور، أو بايلور، أو تايلور، أو نايلور، أو أي جحيم هو اسمك".

تسربت كلمة حمقاء، حمقاء جداً كي يكررها، من جانب وجهه. خربش على الأوراق، صانعاً نوعاً من تظاهر ليس واضحاً لي، لكن ببساطة شكل من أشكال النفاق، خدعة من أعماق روحه الزائفة، يخربش مثل جرذ، جرذ جاهل، وكرهته كثيراً حتى كان في وسعي أن أعض إصبعه وأبصقه في وجهه. انظر إليه! ذلك الجرذ، يصنع خدوشاً جرذية صغيرة على قطعة ورق مثل قطعة من الجبنة ببراثنه الجرذية الصغيرة، الجرذ القارض، الخنزير، جرذ الزقاق، جرذ الرصيف. لكن لَمَ لم يقل شيئاً؟ ها. لأنه أخيراً وجد له نداً فيَّ، لأنه كان عاجزاً أمام من يتفوق عليه.

أومأت نحو ركام الإسقمري الموضوع في الصناديق الكرتونية.

" أرى هذا الشيء موضب لألمانيا".

" أتمزح؟" قال خربشاً.

لكن لم أجفل إزاء هذا الجهد الكادح ليكون ساخراً. لم تصب النكتة مرماها عندي. بدلاً من ذلك، تناهيت إلى صمت جاد.

" قل نايلور، أو بايلور، أو أياً يكن-ما رأيك بألمانيا الحديثة؟ هل تتفق مع رؤية هتلر للعالم؟"

لا جواب. ولا كلمة، خربشة فحسب. ولمَ لا؟ لأن فلسفة الحياة كانت كثيرة عليه! كثيرة على أي جرذ. إنها محيرة، أدهشته. كانت المرة الأولى والأخيرة التي قد يسمع فيها الكلمة منطوقة في حياته. وضعت القلم في جيب وحدقت من فوق كتفي. كان عليه أن ينهض على أطراف أصابعه ليفعلها، كان هزيلاً صغيراً قزماً غير معقول.

" مانويل!" نادى. " أوه مانويل! تعال إلى هنا دقيقة." تقدم مانويل خائفاً، يعرج، لأن شورتي لم يعتد أن يخاطب أحداً بالاسم إلا إذا كان سيصرفه من العمل. كان مانويل في الثلاثين من عمره، بوجه جائع وخد هزيل تبرز عظامه كالبيض. عمل مقابلي عند مقلب العلب. كنت أنظر إليه كثيراً بسبب أسنانه الكبيرة. كانت بيضاء كالحليب، لكنها كبيرة جداً مقارنة مع وجهه، شفته العليا ليست طويلة بما فيه الكفاية لتغطيها. جعلني أفكر في الأسنان ولا شيء آخر.

" مانويل، أرِ هذا الرجل كيف تعمل العربة اليدوية." قاطعت." ليس ضرورياً إلا بالكاد، مانويل. لكن في ظل الظروف، هو يعطيك الأوامر هنا وكما يقولون الأمر هو الأمر".

لكن كان مانويل إلى جانب شورتي. " هيا، " قال. " سأريك".

قادني، ترشح الكلمات الحمقاء من فم شورتي ثانية، من السهل سماعها.

" هذا يسرني، " قال. " إنه مضحك، كما تعلم. أشعر برغبة في الضحك. ذلك الجبان".

" تعال أريك. أوامر الرئيس".

" الرئيس مغفل. إنه معتوه".

" لا لا! أوامر الرئيس. هيا".

" ممتع جداً بطريقة مروعة-مباشرة عن كرافت ايبينج [1]".

" لا يمكن تجاوز أوامر الرئيس".

ذهبنا إلى الغرفة حيث توجد العربات، وجر كل واحد منا عربة يدوية. دفع مانويل عربته نحو الفسحة. تبعته. كان هذا بغاية السهولة. إذاً كانت تسمى عربات يدوية. عندما كنت صغيراً كنا ندعوها عربات دفع. أي شخص له يدان يمكنه أن يعمل على العربة اليدوية. كان ظاهر رأس مانويل مثل فرو قطة سوداء محلوق بسكين الجزار المثلمة. كان الشعر النامي يشبه منحدراً صخرياً: لم يكن شعره حليقاً بيد خبيرة. كان مقعد ردائه مرقعاً بقطع كبيرة من الخيش الأبيض. كانت مخاطةً على نحو سيئ، كما لو أنه استعمل دبوس شعر وقطعة من خيط. كان نعلاه على الأرض الرطبة، النعال مرممة بنسيج رطب، مثبتين معاً بمسامير كبيرة. أغضبني لأنه بدا مدقع الفقر. عرفت الكثير من الفقراء لكن لم يكن على مانويل أن يكون فقيراً إلى هذا الحد.

1- Richard Freiherr von Krafft- Ebing: (١٨٤٠ - ١٩٠٢) طبيب نفسي وكاتب نمساوي ألماني.

" قل،" قلت. " كم تتقاضى، بحق الله؟"

نفس ما أتقاضاه. خمسة وعشرون سنتاً في الساعة.

نظر في عيني مباشرة، رجل هزيل طويل القامة ينظر إلى أسفل، على وشك الانهيار، بعينين شريفتين قاتمتين عميقتين، لكن مريبتين للغاية. كانت لهما تلك النظرة الكئيبة الباكية التي في جميع العيون الكادحة.

قال: " هل تحب العمل في المصنع؟"

" إنه يسليني. له أهميته".

" أحبه. أحبه كثيراً جداً".

" لمَ لا تشتري حذاء جديداً؟"

" لا أملك ثمنه".

" هل أنت متزوج؟"

أومأ سريعاً وبشدة، مبتهجاً لكونه متزوجاً.

" هل لديك أولاد؟"

وكان فرحاً لذلك أيضاً. لديه ثلاثة أولاد، لأنه رفع ثلاثة أصابع ملتوية وكشر مبتسماً.

" كيف تستطيع العيش بخمسة وعشرين سنتاً في الساعة؟"

لم يكن يعرف. يا رب، لا يعرف، لكنه تدبر أمره. وضع يده على جبهته ونظر نظرة بائسة. عاشوا، لم يكن كثيراً، لكن الأيام تتوالى وكانوا بانتظارها.

" لمَ لا تطلب المزيد من المال؟"

هز رأسه بعنف.

" قد أطرد".

" هل تعرف ما أنت؟" قلت.

لا. لا يعرف.

" أنت أحمق. أحمق ملعون خالص واضح. انظر إلى نفسك! أنت تنتمي إلى سلالة العبيد. كعب الطبقات الحاكمة في حقوك. لمَ لا تكون رجلاً وتضرب عن العمل؟"

" لا إضراب. لا لا. ستطرد".

" أنت أحمق. أحمق لعين. انظر إلى نفسك! لا تملك القدرة على الحصول على حذاء محترم. وانظر إلى سروالك! حتى أنك تبدو جائعاً بحق الله. هل أنت جائع؟"

لم يتكلم.

" أجبني، أيها الأحمق! هل أنت جائع؟"

" لست جائعاً".

" أنت كاذب قذر".

انخفضت عيناه إلى قدميه وهو يخطو متثاقلاً. كان يعاين حذاءه. ثم نظر إلى حذائي، الذي كان أفضل من حذائه بكل حال. بدا سعيداً لأني كنت أملك الحذاء الأفضل. نظر إلى وجهي وابتسم. أغاظني. ما معنى أن يكون مسروراً لذلك؟ أردت أن ألكمه.

" جيد جداً،" قال." كم ثمنه؟"

" أغلق فمك".

مضينا، مشيت في إثره. فجأة غضبت كثيراً ولم أتمكن من السكوت.

" أنت أحمق! أحمق تتبع سياسة عدم التدخل! لمَ لا تهدم هذا المصنع وتطالب بحقوقك؟ تطلب حذاء! تطلب حليباً! انظر إلى نفسك! مثل معتوه، مدان! أين الحليب؟ لمَ لا تصرخ طالباً إياه؟"

توترت ذراعاه على المقابض. أبرق حلقه القاتم بالغضب. فكرت في أنني غاليت كثيراً. ربما نتشاجر. لكن لم يحدث ذلك.

" اهدأ!" قال همساً. " ربما نطرد!"

لكن المكان كان صاخباً للغاية، صريخ العجلات وخبط الصناديق، وشورتي نايلور يبعد مسافة مئة قدم عند الباب منشغل بمراجعة الأرقام وغير قادر على سماعنا. ورأيت كم كان الوضع آمناً، قررت أني لم أنته بعد.

"ماذا عن زوجتك وأولادك؟ هؤلاء الرضع الصغار؟ اطلب الحليب! فكر فيهم يموتون من الجوع في حين يسبح أطفال الغني في جالونات من الحليب! جالونات! ولم عليه أن يكون هكذا؟ ألست رجلاً مثل باقي الرجال؟ أو أنك أحمق، ومغفل، محاكاة ساخرة ضخمة لعزة النفس التي هي مقدمة أساسية للرجل؟ هل تصغي إلي؟ أو أنك تدير أذنيك لأن الحقيقة تلسعها وأنت ضعيف جداً وتخشى أن تكون في حالة أخرى سوى في حالة جر تامة؟ سلالة العبيد؟ سلالة العبيد! سلالة العبيد! أنت تريد أن تكون سليلاً للعبيد! تحب الأوامر القطعية! لا تريد الحليب، تريد وسواس المرض! أنت عاهرة، مومس، ديوث، عاهرة من الرأسمالية الحديثة! أنت تثير اشمئزازي إلى أبعد حد وأشعر برغبة في التقيؤ".

" نعم،" قال. " أنت تتقيأ جيداً جداً. أنت لست كاتب. أنت مجرد متقيئ".

" أنا أكتب طوال الوقت. رأسي يسبح في سلسلة أوهام من الجمل المعاد

تقييمها".

" باه! أنت تجعلني أتقيأ أيضاً".

" أنا أحتقرك! أيها الساذج الضخم!"

بدأ يكوم صناديق حمولته. نعر كلما حمل واحداً، كانت مرتفعة جداً يصعب الوصول إليها. كان من المفترض أن يُرني. ألم يقل الرئيس أن أراقب؟ حسناً، كنت أراقب. ألم يكن الرئيس شورتي؟ حسناً، كنت أنفذ الأوامر. ومضت عيناه بالغضب.

" تعال! اعمل!"

" لا تتحدث إليَّ، أيها البرجوازي البروليتاري الرأسمالي".

كل صندوق كان يزن خمسين باونداً. كدس عشرة صناديق واحداً فوق الآخر. ثم أرخى مقدمة عربته تحت الكومة وثبت الصندوق السفلي بملازم عند قاعدة العربة. لم أر يوماً ذلك النوع من العربات. لقد رأيت العربات اليدوية، لكن ليس عربات يدوية بملازم.

" ثانية يظهر التقدم رأسه الجميل. تثبت التقنية الجديدة نفسها حتى في عربة النقل البسيطة".

" اهدأ وراقب".

بهزة رفع الحمل عن الأرض ووازنه على العجلات، المقود على ارتفاع الكتف. كانت خدعة. عرفت بأني لن أفعلها. جر الحمل. ومع ذلك، إذا استطاع فعلها، هو مكسيكي، رجل بلا شك لم يقرأ كتاباً في حياته، لم يسمع بإعادة تقويم القيم، إذاً في وسعي أنا. هو هذا المياوم لقد شحن عشرة صناديق.

ثم ماذا عنك آرتورو؟ هل سيهزمك؟ لا-وألف لا! عشرة صناديق. جيد. سأجر اثني عشر صندوقاً. ثم تناولت عربتي. في هذا الوقت كان مانويل عائداً من أجل حمل جديد.

" كثير جداً،" قال.

"اخرس".

دفعت عربتي نحو الكومة وفتحت الملازم. كان يجب أن يحدث. ثقيل جداً. عرفت أنه سيحدث. لم يكن من فائدة من محاولة التغلب عليه، عرفت ذلك طوال الوقت، ومع ذلك فعلتها. كان هناك تشظ وتهشم. تدهورت طبقات الصناديق مثل برج. وتوزعت في كل مكان. وقع الصندوق العلوي مفتوحاً. قفزت العلب منه، تجري بأشكالها البيضوية على الأرض مثل جراء مرعوبة.

" كثير جداً!" صرخ مانويل." قلت لك كثير جداً!"

التفت وصرخت." هلا أغلقت فمك اللعين المدهن، أيها المياوم المكسيكي اللعين متملق رأسمالي بروليتاري برجوازي!"

أعاقت الكومة الساقطة درب العربات الأخرى. استداروا من حولها، يركلون جانباً العلب التي عرقلت حركتهم. ركعت وجمعتها. كان مقرفاً، أنا، رجل أبيض، على ركبتي، ألتقط علب السمك، في حين كان من حولي هؤلاء الغرباء واقفين على أقدامهم.

بعد وقت قصير رأى شورتي نايلور ما حدث. جاء يهرع.

" اعتقدت أنك تعرف كيف تعمل على الشاحنة اليدوية ".

قمت.

" هذه ليست عربات نقل يدوية. هذه شاحنات بملازم".

" لا تناقش. نظف هذه الفوضى".

" حوادث ستحدث، نايلور. روما لم تُبنَ في يوم واحد. هناك أمثال قديمة من هكذا تكلم زرادشت".

لوح بيديه.

" لأجل المسيح لا تهتم! حاول ثانية. لكن هذه المرة، لا تحمل الكثير. جرب خمسة صناديق كل مرة إلى أن تتقنها".

تململت. أوه حسناً، ماذا يمكنك أن تفعل في مرتع الحمقى ذاك؟ كان الأمر الوحيد الباقي أن تكون شجاعاً، أن يكون لديك الإيمان في لباقة الرجل الحقيقية، ولتتشبث بمبدأ واقعية التقدم.

" أنت الرئيس،" قلت." أنا كاتب، كما تعلم. دون كفاءة أنا.."

" لا يهم ذلك! أعرف كل شيء عن الأمر! يعلم الجميع بأنك كاتب، الجميع. لكن أسد لي صنيعاً، هلا تفعل؟" كان يتوسل تقريباً." حاول أن تحمل خمسة صناديق، هلا تفعل؟ فقط خمسة. ليس ستة أو سبعة. فقط خمسة. هل ستفعل هذ(هذا) من أجلي؟ هون عليك. لا تقتل نفسك. خمسة في كل مرة".

ابتعد. تدحرجت الكلمات بنبرة منخفضة تحت أنفاسه- قذارات تقصدني. وهكذا كان! ازدريته بوضع إبهامي في أنفي لظهره المنكفئ. احتقرته، شخص وضيع، مغفل بمفردات محدودة، غير قادر على التعبير عن أفكاره، مهما كانت فاحشة، إلا عبر وسيط زائف من لغة حمقاء. جرذ. كان جرذاً. كان مغفلاً، جرذ بلسان فاسد لا يعرف شيئاً عن نظرة هتلر الشمولية للعالم.

تبول عليه!

عدت إلى مهمة التقاط العلب التي وقعت. عندما جمعتها كلها قررت بأني سأحمل عربة أخرى. وجدت في الزاوية واحدة مختلفة عن الأخريات، لها أربع عجلات، نوع من عربة بلسان حديدي. كانت خفيفة جداً بسطح عريض مسطح. جررتها إلى حيث كان الأولاد يحمّلون عرباتهم. لقد خلقت حدثاً. نظروا إليها كما لو أنهم لو يروها من قبل، هاتفين بالإسبانية. حك مانويل رأسه بقرف.

" ماذا تفعل الآن؟"

جذبت العربة إلى المكان

" لن تعرفوا–يا أدوات البرجوازية".

ثم حملتها. ليس بخمسة صناديق. وليس بعشرة. وليس باثني عشر. وأنا أواصل تكديسها أدركت أي إمكانيات كانت لهذا النوع من العربات. عندما توقفت أخيراً كنت قد وضعت أربعة وثلاثين صندوقاً على ظهرها.

أربعة وثلاثون ضرب خمسين؟ كم كان ذلك؟ أخرجت دفتري وقلمي وحسبتها. ألف وسبعمئة باوند. وألف وسبعمئة ضرب عشرة كانت سبعة عشر ألف باوند. سبعة عشر ألف باوند كانت تساوي ثمانية أطنان ونصف الطن. ثمانية أطنان ونصف الطن في ساعة كانت تساوي خمسة وثمانين طناً في اليوم. خمسة وثمانون طناً في اليوم كانت تساوي خمسمئة وخمسة وتسعين طناً في الأسبوع. خمسمئة وخمسة وتسعون طناً في الأسبوع كانت تساوي ثلاثين ألفاً وتسعمئة وأربعين طناً في السنة. وبذلك المعدل سأحمل ثلاثمئة وتسعة آلاف وأربعمئة طناً في السنة. تخيل! والآخرون حملوا خمسمئة باوند في كل حمل. "مجاز!"

وقفوا جانباً وبدأت بالجر. تحرك الحمل ببطء. قطرت للخلف، مواجهاً الحمل. كان تقدمي بطيئاً لأن أقدامي كانت تنزلق على الأرض الرطبة. كان الحمل وسط الأشياء، مباشرة في طريق العربات الأخرى، ما تسبب ببعض الارتباك، لكن ليس الكثير، للقادمين والغادين. توقف العمل أخيراً. كانت جميع العربات محتشدة وسط الغرفة، مثل زحمة السير وسط المدينة. أسرع شورتي نايلور. كنت أسحب بشدة، أنعر وأنزلق، أتراجع أكثر مما كنت أتقدم. لكن لم يكن خطئي بل خطأ الأرض التي كانت زلقة للغاية.

" ما الذي يحدث هنا بحق الجحيم؟" صرخ شورتي.

تخففت للحظة. صفع جبهته بيده وهز رأسه.

" ماذا تفعل الآن؟"

" أشحن الصناديق."

" نحها جانباً! ألا تستطيع أن ترى بأنك تعرقل العمل؟"

" لكن انظر إلى حجم هذا الحمل! ألف وسبعمائة باوند!"

" أبعدها من الطريق!"

" هذا أكثر بثلاث مرات.."

" قلت، أبعدها من الطريق!"

الأحمق. ماذا يمكنني أن أفعل بمواجهة مثل هذا الفروقات؟

شحنت بقية الأصيل خمسة صناديق بعربة ذات عجلتين. كانت مهمة مزعجة للغاية. الرجل الأبيض الوحيد، الأمريكي الوحيد، وهو يحمل فقط نصف ما يحمل الأجانب. كان عليَّ أن أفعل شيئاً لهذا. لم يقل الأولاد شيئاً، لكن نعر كل واحد منهم عندما عبروا بي وبحملي التافه المؤلف من خمسة

صناديق.

مطولاً وجدت مخرجاً من ذلك. سحب العامل اوركيزا صندوقاً من قمة الكومة، مرخياً جدار الصناديق الأخرى بكامله. صرخت محذراً وركضت إلى الجدار ودفعته بكتفي. لم يكن ضرورياً، لكني سندت الجدار بجسدي، وجهي أحمر، كما لو كان الجدار على وشك أن ينهار فوقي. منع الأولاد سريعاً الجدار من السقوط. بعد ذلك أمسكت كتفي وتأوهت وصررت على أسناني. وترنحت مبتعداً بالكاد أستطيع السير.

" هل أنت بخير؟" سألوا.

" إنه لا شيء،" ابتسمت." لا تقلقوا، يا رفاق. أظن أني خلعت كتفي، لكنه بخير. لا تدعوا ذلك يقلقكم على الإطلاق."

إذاً الآن، بكتف مخلوع، لم يبق لديهم حجة ليكشروا على حملي المكون من خمسة صناديق.

عملنا تلك الليلة حتى الساعة السابعة. الضباب عوَّقنا. بقيت بضع دقائق عملاً إضافياً. كنت أسوِّف. أردت أن أرى شورتي نايلور وحيداً. كان لدي بضعة أمور أردت مناقشتها معه. عندما رحل الآخرون وبات المصنع مهجوراً، حلت عليه وحشة غريبة وممتعة. ذهبت إلى مكتب شورتي نايلور. كان الباب مفتوحاً. كان يغسل يديه بذلك المسحوق الصابوني القوي الذي كان نصف قلوي، استطعت أن أشمه. بدا جزءاً من الوحشة الفسيحة الغريبة للمصنع، انتمى إليه، مثل رافدة خشبية عبر السقف. بدا للحظة حزيناً وناعماً، رجلاً بكثير من المشاغل، مثلي ومثل أي شخص آخر. في ساعة المساء تلك، والمبنى يعرضه إلى وحشة فسيحة، بدا لي أنه كان رجلاً جيداً جداً في النهاية. لكن كان عندي شيء ما في عقلي. قرعت الباب. التفت.

" مرحباً. ما مشكلتك؟"

" لا مشكلة على الإطلاق،" قلت." أردت أن أعرف وجهة نظرك حول مسألة فحسب."

" حسناً، قل مباشرة. ما الأمر؟"

" مسألة صغيرة حاولت مناقشتها معك في وقت سابق من هذا الأصيل."

كان يجفف يديه بمنشفة سوداء.

" لا يمكنني أن أتذكر. عما كانت؟"

" كنت جلفاً للغاية بشأنها هذا الأصيل،" قلت." ربما لم ترغب في مناقشتها."

" أوه،" ابتسم." أنت تعرف كيف يكون الحال عندما ينشغل الرجل. بالتأكيد، سأناقشها. ما المشكلة؟"

" رؤية هتلر للعالم. ما رأيك برؤية الفوهرر للعالم؟"

" ما هذا؟"

" رؤية هتلر للعالم."

" هتلر ماذا؟ رؤية ماذا؟"

" رؤية هتلر للعالم؟"

" ما هذا؟ ماهي رؤية العالم؟ أنت نلت مني هناك، يا ولد. أنا لا أعرف حتى ماذا تعني."

صفرت وتراجعت

" يا إلهي!" قلت." لا تقل لي إن كلا تعرف ماذا تعني!"

هز رأسه وابتسم. لم يكن أمراً على غاية من الأهمية بالنسبة إليه، ليس مهماً كتجفيف يديه، على سبيل المثال. لم يشعر بأي خجل إزاء جهله-ولم يكن مصدوماً بالحد الأدنى. في الواقع، بدا مسروراً. طقطقت بلساني تعبيراً عن الخيبة وانسحبت من الباب، مبتسماً بيأس. هذا كان غالباً الكثير بالنسبة إليَّ. ماذا يمكنني أن أفعل بمواجهة جاهل مثل ذاك؟

" حسناً، إذا كنت لا تعرف، حسناً، أظن أنك لا تعرف، وأظن أنه لا فائدة من محاولة نقاشه، إذا كنت لا تعلم، وحسناً، يبدو كما لو أنك لا تعلم، إذاً حسناً، ليلة سعيدة، إذا كنت لا تعلم. ليلة سعيدة. أراك في الصباح."

وقف متفاجئاً جداً فنسي أن يواصل تجفيف يديه. ثم نادى فجأة. " هيه!" نادى." ماذا هناك؟"

لكني كنت راحلاً، مسرعاً عبر ظلام العنبر الفسيح، لم يكن يصلني سوى صدى صوته. في الطريق إلى الخارج عبرت بالغرفة الرطبة البليلة حيث ألقوا بسمك الإسقمري من مراكب الصيد. لكن الليلة لم يكن هناك إسقمري، انتهى الموسم للتو، وبدلاً منه كان هناك سمك التونة، أول سمك تونة حقيقي أراه في حياتي بهذا العدد، امتلأت الأرض به، آلاف منه مبعثرة على سجادة من ثلج قذر، أجسادها البيضاء مثل بطون تتخبط عبر الظلمة الجزئية. كان بعضها لا يزال حياً. يمكنك أن تسمع لطم الذيول المتقطع. هناك أمامي لطم ذيل سمكة كانت حية أكثر مما هي ميتة. سحبتها من الثلج. كانت شديدة البرودة ومع ذلك لا تزال تركل. حملتها بأفضل ما استطعت، أجرها أيضاً، إلى أن أوصلتها نحو طاولة التقطيع حيث سوف تنظفها النساء غداً. كانت جسيمة، تزن مئة باوند تقريباً، وحش من عالم آخر، وقوة عظيمة لا تزال في جسمها، وخط الدم يسيل من عينها، حيث تم اصطيادها. قوية كرجل، كرهتني وحاولت الهروب من لوح التقطيع. أخرجت سكيناً من

اللوح ووضعتها تحت خياشيمها البيضاء النابضة.

" أيها الوحش!" قلت." أيها الوحش الأسود! تهجأ رؤية العالم! هيا-تهجأها!"

لكنها كانت سمكة من عالم آخر، ليس في وسعها تهجئة أي شيء. كان أفضل ما في وسعها القتال لتنجو بحياتها، وكانت متعبة جداً. لكن مع ذلك كادت تهرب. لكمتها بقبضتي. ثم زلقت السكين تحت خيشومها، مسروراً بلهاثها العاجز وقطعت رأسها.

" عندما قلت تهجأ رؤية العالم، لقد عنيت ذلك!"

دفعتها للخلف بين رفاقها فوق الجليد.

"التمرد يعني الموت."

لم يكن هناك رد سوى الرفرفة الباهتة لذيل في مكان ما في الظلمة. مسحت يدي بكيس خيش ومشيت إلى الشارع متجهاً إلى البيت.

الفصل السادس عشر

في اليوم التالي لإتلافي النساء تمنيت لو أني لم أفعل. لم أفكر فيهنّ عندما كنت مشغولاً ومتعباً، لكن يوم الأحد كان يوم الراحة، ولسوف أتسكع هنا وهناك دون أن يشغلني شيء، وقد تهمس هيلين وماري وروبي والفتاة الصغيرة لي باهتياج، يسألنني عما دعاني لإتلافهن متسرعاً إلى هذا الحد، وعما إذا لم أكن نادماً الآن على ذلك، وهذا ما حدث فعلاً.

الآن كان عليَّ أن أقنع بذكرياتهن. لكن ذكرياتهن لم تكن جيدة بما فيه الكفاية. لقد هربن مني. كن بخلاف الواقع. لم أتمكن من الإمساك بها والنظر إليها كما فعلت مع الصور. الآن تجولت طوال الوقت نادماً على ما فعلت، ودعوت نفسي بالمسيحي المنتن القذر لأني فعلت هذا. فكرت في صنع مجموعة أخرى، لكنه لم يكن أمراً بالغ السهولة. لقد استغرق وقتاً طويلاً جمع هذه الصور الأخرى. لم أتمكن بسهولة من المضي في العثور على نساء معادلات للفتاة الصغيرة، وربما لن أحصل في حياتي أبداً على امرأة أخرى مثل ماري. لن يكون لهن يوماً نسخة مماثلة. كان هناك أمر آخر منعني من صنع مجموعة أخرى. كنت متعباً للغاية. اعتدت الجلوس مع كتاب سبنجلر أو شوبنهاور ولطالما كنت أثناء القراءة أنعت نفسي بالزائف والأحمق، لأن ما أردته حقاً كن تلك النساء اللاتي لم يعد لهن وجود.

الآن كانت الخزانة مختلفة، ممتلئة بملابس مونا ورائحة التبخير المقرفة. فكرت في بعض الليالي بأني لا يمكنني احتمالها. ذرعت السجادة الرمادية

جيئة وذهاباً أفكر كم كانت السجاجيد الرمادية مريعة، أقضم أظافري. لم أتمكن من قراءة شيء. لم أشعر برغبة في قراءة كتاب لرجل عظيم، وكنت أتساءل إذا كانوا عظماء جداً في النهاية. في النهاية، هل كانوا بعظمة هازيل أو ماري أو الفتاة الصغيرة؟ هل يمكن مقارنة نيتشه بشعر جين الأشقر؟في بعض الليالي لم أفكر في هذا على الإطلاق. هل كان سبنجلر بعظمة أظافر هازيل؟ أحياناً نعم، أحياناً لا. كان هناك وقت ومكان لكل شيء، لكن فيما يتعلق بي سأفضل جمال أظافر هازيل على عشر ملايين مجلد من أوزوالد سبنجلر.

أردت خلوة مكتبي ثانية. اعتدت أن أنظر إلى باب الخزانة ذاك وأقول إنه كان شاهدة لن أتمكن من عبورها مجدداً أبداً. فساتين مونا! لقد أقرفتني. ومع ذلك لم أتمكن من الطلب من أمي أو مونا أن ينقلن الملابس إلى مكان آخر. لم أتمكن من الذهاب إلى أمي والقول: " أرجوك انقلي تلك الفساتين." الكلمات لن تخرج. كرهتها. فكرت في أني كنت أصبح بابت، جباناً أخلاقياً.

ذات ليلة لم تكن أمي ومونا في البيت. قررت أن أزور مكتبي فقط لأجل الأيام الماضية. رحلة صغيرة عاطفية إلى أرض البارحة. أغلقت الباب وقفت في العتمة وفكرت في المرات العديدة عندما كانت هذه الغرفة الصغيرة تخصني وحدي، دون أن يقلقها جزء من أختي. لكنها لا يمكن أن تكون نفسها مرة أخرى. مددت يدي في العتمة وتحسست فساتينها المعلقة في علاقات الملابس. كانت مثل أردية أشباح، مثل أثواب ملايين وملايين من الراهبات الموتى منذ بداية العالم. بدوا يتحدونني: بدوا أنهم هناك فقط لمضايقتي وتدمير خيالاتي المسالمة عن نسائي اللواتي لم يكنَّ مطلقاً. استحوذت المرارة علي، وكان مؤلماً حتى تذكر الأوقات الأخرى. الآن كنت قد نسيت تقريباً سمات تلك الأخريات. لويت قبضتي في طيات فستان لأمتنع عن

الصراخ. الآن كانت الخزانة تفوح برائحة سُبُحات وبخور لا لبس فيها، وزنابق الجنائز البيضاء، السجاجيد في كنائس صباي، الشمع والنوافذ الطويلة والقاتمة، النساء المسنات في ثيابهن السوداء جاثيات في القداس.

كانت عتمة المعترف، وولد في الثانية عشرة من عمره يدعى آرتورو باندينى جاثياً أمام كاهن يخبره بأنه اقترف أمراً مريعاً، ويقول له الكاهن إنهما من شيء مريع للغاية في الاعتراف، والولد يقول إنه لم يكن واثقاً من أن ما فعله يشكل ذنباً، لكن مع ذلك كان واثقاً من أن لا أحد آخر يفعل شيئاً مثل ذلك لأنه يا أبت هو بالتأكيد مضحك، أعني، لا أعرف كيف أحكيه والكاهن يتملقه أخيراً ليخبره إياه، أول خطيئة عن الحب، ومحذراً إياه بألا يفعلها ثانية.

أردت أن أضرب رأسي بجدار الخزانة وأؤذي نفسي كثيراً حتى أفقد الوعي. لمَ لا أرمي تلك الفساتين. لمَ عليهم أن يذكروني بالأخت ماري جوستين، والأخت ماري ليو، والأخت ماري كوريتا؟ أظن أني كنت أدفع الإيجار في هذه الشقة، أظن بأنه يمكنني أن أرميها خارجاً. ولم أتمكن من فهم السبب. شيء ما يمنع ذلك. شعرت بأني أكثر ضعفاً من السابق، لأنني عندما كنت قوياً لم أكن لأتردد لحظة، كنت لأحزم هذه الفساتين وأطرحها من النافذة وأبصق عليها. لكن الرغبة قد رحلت. بدا سخيفاً أن أغضب وأبدأ بطرح الفساتين. شحبت الرغبة وانجرفت بعيداً.

وقفت هناك، ووجدت إبهامي في فمي. بدا ذلك مذهلاً. تخيل. أنا في الثامنة عشرة من عمري، ولا أزال أمص إبهامي! ثم قلت لنفسي، إذا كنت شجاعاً وجسوراً جداً، لم لا تقضم إبهامك؟ أتحداك أن تقضمه! جبان إذا لم تفعل. وقلت أوه! هل هو كذلك؟ حسناً، أنا لست جباناً وسأثبت ذلك!

قضمت إبهامي حتى ذقت طعم الدم. شعرت بأسناني على الجلد الطيع،

ترفض أن تتغلغل فيه، وأدرت إبهامي ببطء إلى أن اخترق السن الجلد. تردد الألم، تحرك نحو براجمي، وذراعي، ثم إلى كتفي وعيني. تلقفت أول فستان لمسته ومزقته أشلاء. انظر كم أنت قوي! مزقه إلى أشلاء! شقه حتى لا يبقى منه شيئاً! ومزقته بيدي وأسناني ونعرت بأصوات مثل كلب مسعور، متدحرجاً على الأرض، أشد الفستان بين ركبتي وأثور عليه، ألطخه بإبهامي الدامي، شاتماً إياه وضاحكاً عليه وهو يستسلم إزاء قوتي ويتمزق مزقاً. ثم بدأت بالبكاء. لم يكن الألم في إبهامي شيئاً. ما آلمني حقاً هي الوحدة. أردت أن أصلي. لم أتل صلاة منذ سنتين-منذ بداية المدرسة الثانوية عندما بدأت أقرأ كثيراً. لكن الآن أردت أن أصلي ثانية، كنت واثقاً من أنها ستكون عوناً، وأنها سوف تحسن حالتي، لأنه عندما كنت ولداً أصلي كان لها هذا الأثر علي. جثوت على ركبتي، وأغلقت عيني وحاولت التفكير في كلمات للصلاة. كانت كلمات الصلاة نوعاً مختلفاً من الكلمات: لم أدرك ذلك يوماً حتى تلك اللحظة. ثم عرفت الفرق. لكن لم يكن هناك كلمات. كان عليّ أن أصلي، أن أقول شيئاً، كان هناك صلاة في داخلي مثل بيضة. لكن لم يكن هناك كلمات.

بالتأكيد ليست تلك الصلوات القديمة!

ليست الصلاة الربية، عن أبينا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك، ليأتِ ملكوتك... لم أعد أؤمن بذلك أبداً. لم يكن هناك من ملكوت، ربما يكون هناك جحيم، يبدو ممكناً جداً، لكن لم يكن هناك جنة. ليس فعل الندامة، عن أوه يا إلهي، أنا آسف بإخلاص لأني أسأت إليك، وأكره كل أخطائي... لأن الشيء الوحيد الذي كنت آسف بشأنه كان خسران نسائي، وهذا كان شيئاً يعارضه الرب بالتأكيد. أو هل يفعل؟ بالتأكيد، لا بد من أن يكون ضد ذلك. لو كنت الرب بالتأكيد سأكون ضده. لا يمكن أن يكون الرب مؤيداً لنسائي إلا بالكاد. لا. إذاً كان ضدهن.

كان هناك نيتشه، فريدريك نيتشه.

جربته.

صليت: "أوه فريدريك الحبيب الغالي!"

ليس جيداً. بدت كما لو أني مثليّ.

جربت ثانية

"أوه عزيزي السيد نيتشه."

أسوأ. لأني أصبحت أفكر بصور نيتشه في صدارة كتبه. جعلوه يبدو في التاسعة والأربعين من العمر، مع شارب قذر، وكرهت من هم في عمره. عدا عن أن نيتشه كان ميتاً. لقد مات منذ سنوات. كان كاتباً خالداً، واتقدت كلماته عبر صفحات كتبه، وكان مؤثراً حديثاً عظيماً، لكن مع كل ذلك كان ميتاً وكنت أعرف.

ثم جربت سبنجلر

قلت: "عزيزي سبنجلر."

رهيب.

قلت: "مرحباً سبنجلر."

رهيب.

قلت: "اسمع سبنجلر!"

أسوأ.

قلت: "حسناً، أوزوالد، كما كنت أقول..."

ولا يزال سيئاً.

كانت هناك نسائي. كن ميتات أيضاً، ربما يمكنني أن أجد شيئاً فيهن. جربتهن الواحدة تلو الأخرى، لكن لم ينجح الأمر لأنه حالما فكرت فيهن استثرت على نحو كبير. كيف يمكن لرجل أن يكون شهوانياً وهو يصلي؟ كان هذا شائناً. بعد أن فكرت في الكثيرين سدى سئمت من الفكرة برمتها وكنت على وشك التخلي عنها، عندما على حين غرة خطرت لي فكرة جيدة، وكانت الفكرة أنه ليس عليّ أن أصلي لله أو لسواه، لكن لنفسي.

" آرتورو، يا رجلي. آرتورو الحبيب. يبدو أنك تعاني كثيراً، بغير وجه حق. لكنك شجاع، آرتورو. أنت تذكرني بمحارب جبار، مع ندوب مليون أرض مفتوحة. يا لها من شجاعة لديك! يا له من نبل! من جمال! آه آرتورو، كم أنت جميل حقاً! أحبك كثيراً، يا آرتوري، يا إلهي العظيم والجبار. إذاً ابكِ الآن، آرتورو. دع دموعك تنسكب، لأن حياتك حياة كفاح، معركة شديدة حتى النهاية، ولا أحد يعرف ذلك إلاك، لا أحد سواك، محارب جميل يقاتل بمفرده، رابط الجأش، بطل عظيم لم يعرف العالم أشباهه."

استندت على أعقابي وبكيت حتى آلمتني جوانحي. فتحت فمي وانتحبت، وشعرت بأن البكاء جيد وعذب للغاية، وهكذا سرعان ما بت أضحك مرتاحاً، أضحك وأبكي، تسيل الدموع على وجهي وتغسل يدي. كان يمكنني أن أواصل لساعات. أوقفني وقع خطوات في غرفة الجلوس. كانت الخطوات لمونا. وقفت ومسحت عينيّ، لكني أعرف أنهما كانتا حمراوين. حشرت التنورة الممزقة تحت قميصي وخرجت من الخزانة. سعلت قليلاً، منظفاً حنجرتي، لأدل على أن صفوي لا يعكره شيء.

لم تكن مونا تعرف بوجود أحد في الشقة. كانت الأضواء مطفأة وكل شيء، وظنت أن المكان خالٍ. نظرت إليَّ متفاجئة، كما لو أنها لم ترني من قبل. مشيت بضع خطوات، جيئة وذهاباً، أسعل وأتمتم لحناً، لكنها مازالت

تراقب، لا تقول شيئاً ولكن لا تزيح عينيها عني.

"حسناً،" قلت."يا ناقدة الحياة-قولي شيئاً." كانت عيناها على يدي." إصبعك. كله.."

" إنه إصبعي،" قلت." أيتها الراهبة السكرى بالله."

أقفلت باب غرفة النوم خلفي ورميت الفستان الممزق عند مسرب الهواء. ثم ضمدت إصبعي. وقفت إلى المرآة ونظرت إلى نفسي. أحببت وجهي. فكرت في أني شخص في غاية الوسامة. لدي أنف مستقيم جيد وفم رائع، وشفاه أكثر حمرة من شفاه النساء مع كل أصبغتها. كانت عيناي واسعتين وصافيتين، فكي ناتئ قليلاً وقوي، يدل على شخصية وانضباط ذاتي. نعم، كان وجهاً جميلاً. رجل محكوم بأن يجد فيه الكثير مما يثير اهتمامه.

عثرت في خزانة الأدوية على محبس أمي، حيث كانت تتركه عادة بعد أن تغسل يديها. وضعت الخاتم في راحة يدي ونظرت إليه بذهول. أن أفكر في هذا الخاتم، هذه القطعة المعدنية وحسب، مهر رباط الزواج الذي أثمر عني! كان ذلك أمراً لا يصدق. عرف والدي القليل، عندما اشترى هذا الخاتم، وأنه قد يرمز إلى رباط الرجل والمرأة الذي سينتج عنه واحد من أعظم الرجال في العالم. كم كان غريباً أن تقف في ذلك الحمام وتدرك كل هذه الأمور!لا تعرف هذه القطعة المعدنية الحمقاء سوى القليل عن أهميتها. ومع ذلك يوماً ما قد تكون مادة جامعة لا تقدر بثمن. يمكنني أن أرى المتحف، وأناس يتحركون حول متاع بانديني، صراخ المنادي بالمزاد، وأخيراً غداً يرفع مورجان أو روكفيلر سعر ذلك الخاتم إلى اثني عشر مليون دولار، ببساطه لأن أم آرتورو بانديني-أعظم كاتب عرفه في العالم-ارتدته.

الفصل السابع عشر

بعد مضي نصف ساعة. كنت أقرأ على الأريكة. كانت ضمادة إبهامي بادية للعيان تماماً. مع ذلك لم تقل مونا المزيد عنها. كانت في الغرفة تقرأ أيضاً وتأكل تفاحة. انفتح الباب الرئيس. كانت أمي عائدة من منزل الخال فرانك. وأول ما لفت نظرها كانت ضمادة الإصبع.

" يا إلهي،" قالت." ما الذي جرى؟"

" على كم حصلت من المال؟" قلت.

" لكن إصبعك! ماذا حدث؟"

" كم جلبت معك من نقود؟"

أسرعت أصابعها عبر محفظتها البالية وهي تواصل النظر إلى الإصبع المضمد. كانت مهتاجة وخائفة للغاية ما منعها من أن تفتح المحفظة. وقعت على الأرض. التقطتها، تطقطق ركبتيها، تمضي يداها في كل مكان، تتلمس قفل المحفظة. أخيراً نهضت مونا وأخذتها منها. منهكة تماماً ولا تزال قلقة على إبهامي، انهارت أمي في كرسي. عرفت أن قلبها كان يخفق بعنف. عندما التقطت أنفاسها سألت ثانية عن الضماد. لكنني كنت أقرأ. لم أجب. سألت مجدداً.

" جرحته".

"كيف"؟

" على كم حصلت من نقود؟"

عدتها مونا، ممسكة التفاحة بين أسنانها. " ثلاثة دولارات وبعض الفكة،" همست.

" بكم تقدر الفكة؟" قلت.

" كوني دقيقة من فضلك. أحب الإجابات الدقيقة".

" آرتورو!" قالت أمي. " ماذا حدث؟ كيف جرحته؟"

"خمسة عشر سنتاً،" أجابت مونا.

" إصبعك!" قالت أمي.

" أعطني الخمسة عشر سنتاً،" قلت.

" تعال وخذها،" قالت مونا.

" لكن آرتورو!" قالت أمي.

" أعطنيها"! قلت.

" أنت لست كسيحاً،" قالت مونا.

" نعم أنه عاجز للغاية!" قالت أمي. " انظري إلى إصبعه!"

" إنه إصبعي! وأعطني الخمسة عشر سنتاً تلك-أنت!"

" إذا كنت تريدها، تعال وخذها."

قفزت أمي من كرسيها وجلست بجانبي. بدأت ترفع الشعر عن عيني. كانت أصابعها ساخنة وكانت قد استعملت الكثير من بودرة التالك حتى كانت رائحتها كرائحة الأطفال، مثل طفل مسن. نهضت في الحال. مدت ذراعها نحوي.

" إصبعك المسكين! دعني أره."

توجهت نحو مونا.

"أعطني الخمسة عشر سنتاً."

لم تعطني إياهم. وضعتها على الطاولة، لكنها رفضت أن تناولني إياهم.

" ها هي. التقطها، إذا كنت تريدها."

" أريدك أن تناوليني إياها."

نخرت مشمئزة.

" أيها الأحمق!" قالت.

وضعت النقود في جيبي.

" ستندمين على هذا،" قلت." وليكن الله شاهداً علي، ستندمين على هذه الوقاحة."

" جيد،" قالت.

" تعبت من كوني حصان شغل عند زوج من النساء الطفيليات. أقول لك كنت على وشك أن أبلغ ذروة صبري. وأنا عازم على الفرار من هذه العبودية في أي دقيقة."

" براز براز براز،" سخرت مونا." لم لا تهرب الآن-الليلة؟ هذا سيسعد الجميع."

كانت أمي بعيدة تماماً. ذاهلة وتتأرجح جيئة وذهاباً ولم تستطع أن تعرف شيئاً عن إصبعي. طوال المساء لم أسمع صوتها إلا بغموض.

" سبعة أسابيع في مصنع التعليب. لقد اشمأززت منه."

" كيف جرحته؟" قالت أمي. " ربما دمه مسمم."

ربما كان! فكرت للحظة في أن هذا ممكن. بالعمل في ظروف المصنع غير الصحية، كان كل شيء ممكناً. ثم ربما كان دماً مسمماً. أنا، ولد مسكين أعمل في حفرة العرق تلك، وتلك كانت مكافأتي: دم مسمم! أنا، ولد مسكين أعمل لدعم اثنتين من النسوة لأنه توجب عليَّ ذلك، أنا الولد الفقير لا أشتكي أبداً، والآن أموت من تسمم الدم من ظروف المكان الذي كنت أكسب فيه قوتاً ليطعم فميهما. أردت أن أنفجر بالبكاء. تأرجحت في المكان وصرخت.

" كيف جرحته؟ سأخبرك كيف! الآن عليك أن تعرفي الحقيقة. الآن يمكن روايتها. ستعرفين حقيقته الشيطانية. جرحته بالآلة! جرحته وأنا أنفق حياتي في طاحونة الخيش الشاحبة تلك! جرحته لأن أفواه الفطر لامرأتين طفيليتين تعتمد علي. جرحته بسبب خاصية الذكاء الفطري. جرحته بسبب الشهادة الأولية. جرحته لأن مصيري سيرفضني دون مذهب اليقين! جرحته لأن استقلاب أيامي سينفيني دون تفش جديد! جرحته لأن لدي نبل المأرب!"

جلست أمي خجلة، لا تفهم شيئاً مما أقول، لكنها تشعر بما كنت أحاول قوله، عيناها كسيرتان، شفتاها ناتئتان، تنظر ببراءة في يديها. عادت مونا إلى قراءتها، تمضغ تفاحتها ولا تبالي. التفت إليها.

" نبل المأرب!" صرخت. " نبل المأرب! هل تسمعينني أيتها الراهبة! نبل المأرب! لكن الآن سئمت من النبل كله. أنا أنتفض. أرى يوم أمريكا الجديد، لي ولرفاقي العمال في طاحونة الخيش تلك. أرى أرض الحليب والعسل. أتصور، وأقول، سلام على أمريكا الجديدة! سلام. سلام! هل تسمعيني أيتها الراهبة! أقول السلام! السلام! السلام!"

" هراء هراء هراء". قالت مونا.

" لا تسخري-أيها الوحش المحال!"

صدرت ضجة هازئة عن حنجرتها، أخرجت كتابها، والآن كان ظهرها مواجهاً لي. ثم للمرة الأولى، لحظت الكتاب الذي كانت تقرأه. كان كتاباً جديداً من المكتبة، بغلاف أحمر لماع.

"ما هذا الذي تقرئينه؟"

لا جواب.

" أنا أغذي جسدك. أظن بأن لدي الحق بمعرفة من يغذي عقلك."

لا جواب.

" إذاً لن تقولي."

اندفعت وانتزعت الكتاب من يديها. كان رواية لكاثلين نوريس. انفتح فمي سريعاً لاهثاً عندما كشفت الحالة الصادمة بكاملها عن نفسها. إذاً كانت الأمور تجري في بيتي على هذا النحو! بينما رشحت دمي وعظامي في معمل التعليب، أغذي جسدها، هذا كان ما تغذي به عقلها!كاثلين نوريس. تلك كانت أمريكا الحديثة! لا عجب من انحطاط الغرب! لا عجب من قنوط العالم الحديث. إذاً هذا ما كان! أنا الولد الفقير أبري أصابعي حتى العظام، أحاول أفضل ما في وسعي لأقدم لهما حياة العائلة الكريمة، وهذه كانت مكافأتي! ترنحت، وحسبت المسافة حتى الجدار، أترنح نحوه، أتوجه نحو الجدار متراجعاً، ووهنت هناك أتنفس بشدة.

" يا إلهي،" تأوهت." يا إلهي." " ما الأمر؟" قالت أمي." الأمر! الأمر! سأقول لك ما الأمر. انظري ماذا تقرأ! أوه يا إلهي الجبار! أوه يا إلهي ارحم

روحها! وفكر في أنني أكدح منفقاً حياتي، أنا، الولد المسكين، أمزق لحم أصابعي، بينما تجلس وتقرأ هذا القيء المقرف. أوه يا إلهي، أعطني القوة! زد ثباتي! اعفني من خنقها!"

ومزقت الكتاب مزقاً. حطت القصاصات على السجادة. سحقتها بكعبي حذائي. بصقت عليها، أسلت لعابي عليها، ونظفت حنجرتي وانفجرت عليها. ثم جمعتها، حملتها إلى المطبخ، ورميتها في سلة المهملات.

" الآن،" قلت. " جربي ذلك ثانية."

" هذا كتاب من المكتبة،" ابتسمت مونا. " عليك أن تدفع ثمنه."

" سأتفسخ في السجن أولاً."

" مهلاً، مهلاً!" قالت أمي. " من أجل ماذا هذا كله؟"

" أين الخمسة عشر سنتاً؟"

" دعني أنظر إلى إبهامك."

" قلت، أين الخمسة عشر سنتاً؟"

" في جيبك،" قالت مونا. " أيها الأحمق."

وخرجت.

الفصل الثامن عشر

عبرت باحة المدرسة نحو محل جيم. خشخشت في جيبي السنتات الخمسة عشر. كان ملعب المدرسة مفروشاً بالحصى، فتردد صدى وقع أقدامي عليه. هذه فكرة جيدة، فكرت، باحات مفروشة بالحصى في كل السجون، فكرة جيدة، شيء ما يستحق التذكر، لو كنت سجيناً لأمي وأختي، كم سيكون الهرب فاشلاً في هذه الضجة، فكرة جيدة، شيء للتفكير فيه.

كان جيم في خلفية المتجر، يقرأ استمارة سباق. كان للتو قد وضع رفاً جديداً للمشروب. توقفت أمامه لأتفحص الزجاجات. كانت بعضها جميلة جداً، يبدو محتواها شهياً للغاية.

وضع جيم استمارة السباق وتقدم. محايداً دوماً، انتظر الشخص الآخر أن يبدأ بالكلام. كان يأكل لوحاً من الحلوى. بدا هذا مستغرباً للغاية. كانت المرة الأولى التي أراه فيها وفي فمه شيء. لم أحب طلعته أيضاً. طرقت على خزانة المشروب.

" أريد زجاجة خمر."

" مرحباً!" قال." وكيف حال الشغل في المعمل؟"

" بخير، كما أظن. لكن الليلة أظن بأني سأثمل. لا أريد التحدث عن معمل التعليب."

رأيت زجاجة ويسكي صغيرة، خمسية تحتوي على سائل ذهبي. أراد

عشرة سنتات مقابل تلك الزجاجة. بدا السعر معقولاً. سألته إذا ما كانت ويسكي جيدة. قال إنها كذلك.

" الأفضل،" قال.

" مباعة. سآخذ كلمتك وأشتريها دون تعليق إضافي."ناولته الخمسة عشر سنتاً.

"لا،" قال." فقط عشرة سنتات."

" ساعد نفسك بالنيكل الإضافي. إنه بقشيش، لفتة تنم عن الود الشخصي والصحبة."

ابتسم ولم يأخذه. ومازلت ماداً إياه، لكنه قلب راحة يده وهز رأسه. لم أتمكن من فهم السبب الذي يجعله رافضاً دوماً بقشيشي. لم يكن لأني أعرضه نادراً، بل على العكس، حاولت أن أدفع له بقشيشاً كل مرة، في الواقع كان الشخص الوحيد الذي بقششته يوماً.

" دعنا لا نبدأ بهذا مجدداً،" قلت." أقول لك إنني دوماً أدفع البقشيش. إنها مسألة مبدأ عندي. أنا مثل هيمنجواي. دوماً أفعل ذلك بالسليقة."

مع تكشيرة أخذه وأقحمه في بنطاله الجينز." جيم، أنت رجل غريب، شخصية ذات طابع وهمي بخصال ممتازة. أنت تتجاوز خيرة ما قدمه الغوغاء. أحبك لأن عقلك متسع."

هذا جعله نكداً. وقد يرغب في التحدث عن أمور أخرى. دفع الشعر عن جبهته ومرر يده على ظاهر عنقه، يشد عليها كما لو أنه يحاول أن يفكر في شيء يقوله. فتحت الزجاجة ورفعتها." في صحتك!" وشربت جرعة. لم أعرف لم كان عليَّ أن أشتري الخمر. كانت المرة الأولى في حياتي أنفق فيها المال ثمناً للخمر. كرهت طعم الويسكي. فاجأني وجوده في فمي، لكنه كان هناك

حقاً، وسرعان ما سرى مفعول الويسكي، صلبة على أسناني وفي منتصف الطريق إلى حنجرتي، ترفس وتمزق مثل قطة تغرق. كان الطعم رهيباً، مثل شعر يحترق. استطعت أن أشعر بها وهي تنزل، وتقوم بأشياء غريبة داخل معدتي. لعقت شفتي.

" بديع! كنت محقاً. إنها بديعة!" كانت في حفرة معدتي، تتقلب مراراً وتكراراً، تحاول أن تجد مكاناً لتستقر، وفركت بشدة حتى يعادل الاحتراق الخارجي الاحتراق الداخلي." رائع! ممتاز! استثنائي!" دخلت امرأة المتجر. لمحتها من زاوية عيني وهي تتقدم نحو نضد السجائر. ثم التفت ونظرت إليها. كانت امرأة في الثلاثين من العمر، ربما أكثر. لم يكن عمرها مهماً: كانت هناك–وهذا هو الأمر المهم. لم يكن فيها ما هو آخاذ. كانت عادية جداً، ومع ذلك شعرت بتلك المرأة. قفز حضورها عبر الغرفة ومزق أنفاسي من حنجرتي. كان مثل تيار كهربائي. ارتجف لحمي متعجباً. شعرت بانقطاع أنفاسي ودفعة الدم الأحمر. ارتدت معطفاً أرجوانياً شاحباً قديماً مرفق به ياقة من الفراء. لم تنتبه لي. لم تبد واعية لنفسها. نظرت باتجاهي ثم التفتت وواجهت النضد. رأيت وجهها الأبيض في ومضة. اختفى خلف الفرو ولم أره أبداً ثانية.

لكن نظرة واحدة كانت كافية بالنسبة إليَّ. لن أنسى يوماً ذلك الوجه. كان شاحباً على نحو عليل، مثل صور المجرمات عند الشرطة. كانت عيناها جائعتين ورماديتين وكبيرتين ومسكونتين. لم يكن لشعرها لون على الإطلاق. بني وأسود، فاتح وغامق: لا أتذكر. طلبت علبة سجائر مربتة على النضد بقطعة نقود. لم تتكلم. ناولها جيم علبتها. لم يشعر بالمرأة على الإطلاق، كانت بالنسبة إليه زبون آخر فحسب.

كنت لا أزال أحدق. عرفت بأنه لا ينبغي عليَّ التحديق إلى هذا الحد. لم

أكن أهتم كثيراً. شعرت بأنها لو رأت وجهي فقط فلن تعترض. كانت ياقة الفراء تشبه السنجاب. كان المعطف قديماً ورثاً عند الحواشي التي وصلت إلى ركبتيها. لقد كان على قياسها تماماً، يرفع هيئتها نحوي. كان جوربها حديدي اللون فيه خطوط حيث تراخى النسيج وتهدل. كان حذاؤها أزرق بكعبين غير متوازنين ونعال مهترئة. ابتسمت وحدقت بها بثقة لأني لم أكن خائفاً منها. امرأة مثل الآنسة هوبكنز أزعجتني وجعلتني أشعر بالسخف، لكن ليست صور النساء، على سبيل المثال، وليست امرأة مثل هذه. كان من السهل الابتسام، كان سهلاً حد الوقاحة، كان مضحكاً جداً أن تشعر بأنك قذر للغاية. أردت أن أقول شيئاً قذراً، مثيراً، مثل أوف! يمكنني أن آخذ أياً مما تقدمينه أيتها العاهرة الصغيرة. لكنها لم ترني. دون أن تستدير دفعت ثمن سجائرها وخرجت من المتجر وهبطت جادة آفالون نحو البحر.

سجل جيم المبيع وعاد إلى حيث كنت واقفاً. همَّ بقول شيء. خرجت دون أن أنبس بكلمة. فقط خرجت مباشرة من هناك ونزلت الشارع وراء تلك المرأة. كانت تفصلني عنها أكثر من دستة من الخطوات، مسرعاً نحو الواجهة البحرية. لم أعرف حقاً بأني كنت أتبعها. عندما أدركت ذلك توقفت هادئاً في سبيلي وفرقعت بأصابعي. أوه! إذاً الآن أنت منحرف! منحرف جنسي! حسناً حسناً، بانديني، لم أظن بأنك ستصل إلى هذا، أنا متفاجئ! ترددت، ممزقاً قطعاً كبيرة من ظفر إبهامي وبصقتها. لكني لم أرغب في أن أفكر بالأمر. سأفكر فيها.

لم تكن رشيقة. كانت مشيتها صلبة ووحشية، مشت بتحدٍّ، كما لو أنها تقول أتحداك أن توقفني عن المشي! مشت بطريقة متعرجة أيضاً، من جانب إلى آخر على الرصيف العريض، أحياناً عند الحاجز وأحياناً تكاد تخبط بألواح النوافذ الزجاجية على يسارها. لكن طريقتها في المشي لا تهم، تموج والتف

الشخص تحت المعطف الأرجواني القديم. كانت مشيتها طويلة وثقيلة. حافظت على المسافة الأصلية التي صانتها بيننا.

شعرت باهتياج شديد، سعيد للغاية ومنفعل بشدة. كانت هناك رائحة البحر، حلاوة الهواء المالحة النظيفة، لامبالاة النجوم الساخرة الباردة، ألفة الشوارع الضاحكة المفاجئة، وفرة الضوء النحاسي في الظلمة، الكسل المتوهج للهلال المشقوق. أحببت ذلك كله. شعرت برغبة في الصراخ، أن أحدث ضجة صارخة، ضجة جديدة، في حنجرتي. كان مثل المشي عارياً عبر واد والفتيات الجميلات على جانبيه.

تذكرت جيم فجأة في منتصف الشارع. التفت لأرى إذا ما خرج إلى بابه ليعرف سبب خروجي السريع. كان شعوراً بالذنب باعثاً على الاشمئزاز. لكنه لم يكن هناك. كانت واجهة متجره الصغير المضيء فارغة. لم يظهر أي أثر للحياة على طول جادة آفالون. نظرت نحو النجوم. بدت زرقاء للغاية، باردة وماجنة وبعيدة جداً ومزدرية تماماً، مغرورة للغاية. جعلت مصابيح الشارع المضيئة الجادة مضيئة كما لو أنه وقت مبكر في الغسق.

عبرت أول تقاطع عندما وصلت أمام الصالة في الشارع التالي. كانت تبتعد، لكنني سمحت بهذا. لن تهربي مني، أيتها السيدة الجميلة، أنا في أعقابك وليس لديك فرصة للتملص مني. لكن إلى أين أنت ذاهب يا آرتورو؟ هل تدرك بأنك تتبع امرأة غريبة؟ لم تفعل هذا يوماً. ما هو دافعك؟ الآن بدأت أخاف. فكرت في طوافات الشرطة تلك. لقد جرتني قدماً. آه-هذا ما كان-كنت سجينها. شعرت بالذنب، لكن أيضاً شعرت بأني لم أكن أرتكب خطأً. في النهاية، أنا أتمرن في هواء الليل، أتنزه قبل النوم، أيها الضابط. أعيش هناك، أيها الضابط. لقد عشت هناك مدة سنة، أيها الضابط. خالي فرانك. هل تعرفه، أيها الضابط؟ فرانك سكاربي؟ بالتأكيد، أيها الضابط!

يعرف الجميع خالي فرانك. رجل ممتاز. سيقول لك إنني ابن أخته. لا حاجة لتحتجزني تحت أي ظرف.

وأنا أواصل السير لطمت ضمادة الإبهام فخذي. نظرت وكانت هناك، تلك الضمادة البيضاء الرهيبة، تضرب عند كل خطوة، وتتحرك مع كل حركة من ذراعي، كتلة بشعة بيضاء كبيرة، ناصعة البياض وساطعة، كما لو أن كل مصباح في الشارع عرف بأمرها وسبب وجودها هناك. كنت مشمئزاً منها. فكر فيها! لقد قضم إبهامه حتى سال منه الدم! هل يمكنك أن تتخيل رجلاً مجنوناً يفعل ذلك؟ أقول لك إنه مجنون، سيدي. لقد فعل أموراً غريبة، سيدي. هل أخبرتك يوماً عن الوقت الذي قتل فيه تلك السرطانات؟ أظن بأن الرجل مجنون، سيدي. أقترح بأن نحتجزه ونفحص رأسه. ثم نزعت الضمادة ورميتها في مجرى المياه ورفضت أن أفكر فيها ثانية.

واصلت المرأة توسيع المسافة بيننا. الآن كانت على مسافة نصف شارع. لم أتمكن من السير أسرع. كنت أتقدم ببطء وقلت لنفسي أن أسرع قليلاً، لكن فكرة طوافات الشرطة بدأت تجعلني أتروى. كان رجال الشرطة في المرفأ من مخفر لوس أنجلس المركزي صارمين للغاية وقساة جداً يوقفون الرجل أولاً ثم يخبرونه عن سبب توقيفه ولطالما ظهروا فجأة، أبداً ليس سيراً على الأقدام، بل في سيارات البويك السريعة الهادئة.

" آرتورو،" قلت،" أنت بالتأكيد تسير نحو المشاكل. سيتم توقيفك بسبب الانحلال."

الانحلال؟ يا له من هراء! ألا يمكنني الذهاب في نزهة إذا شعرت برغبة في ذلك؟ تلك المرأة التي تتقدمني؟ لا أعرف شيئاً عنها. هذا بلد حر وحق الله. هل يمكنني أن أفعل شيئاً إذا صادف أنها تسير في الاتجاه نفسه الذي أسلكه؟ إذا لم يعجبها دعها تمشِ في شارع آخر أيها الضابط. هذا شارعي

المفضل بأية حال، أيها الضابط. خالي فرانك سكاربي، أيها الضابط. هو سوف يشهد بأني دوماً أذهب للتنزه على هذا الشارع قبل النوم. في النهاية هذا بلد حر، أيها الضابط.

عند التقاطع التالي توقفت المرأة لتشعل عود ثقاب بجدار المصرف. ثم أشعلت سيجارة. علق الدخان في الهواء الخامد مثل بوالين زرقاء مشوهة. وثبت على أصابع قدمي وأسرعت. عندما وصلت إلى الغيوم الراكدة رفعت نفسي على أطراف أصابعي وسحبتها للأسفل. الدخان من سيجارتها! آها.

عرفت أين وقع عود ثقابها. مشيت بضع خطوات والتقطته. هناك كان في راحة يدي. عود ثقاب استثنائي. لا يختلف عن باقي الأعواد، ومع ذلك عود استثنائي. كان نصف محترق، عود ثقاب برائحة صنوبر حلوة وجميلة جداً مثل قطعة من ذهب نادر. قبَّلته.

" يا عود الثقاب،" قلت." أحبك. اسمك هنرييتا. أحبك جسداً وروحاً."

وضعته في فمي ورحت أمضغه. كان للكربون طعم الصنوبر الحلو والمر اللذيذ، هش ونضر. لذيذ، ساحر. نفس العود الذي أمسكته بأصابعها. هنرييتا. أجمل عود أكلته على الإطلاق، سيدتي. دعيني أهنئك. كانت تغذ السير الآن، في إثرها كتل من الدخان. سحبت كميات كبيرة منه. آها. حركة ردفيها تلك كانت مثل كرة من الأفاعي. شعرت بها في صدري وفي أطراف أناملي.الآن كنا نتقدم نحو المقاهي وقاعات البلياردو على طول الواجهة البحرية. صخب هواء الليل بأصوات الرجال وقرقعة كرات البلياردو البعيدة. أمام قاعة آكمي Acme للبلياردو، ظهر عمال تفريغ السفن فجأة، عصي البلياردو في أيديهم. لا بد من أنهم سمعوا طقطقة كعب المرأة على الرصيف، لأنهم خرجوا فجأة والآن كانوا على الباب ينتظرون.

عبرت في زقاق من عيون صامتة، وتبعوها بأعناق تدور على محور بطيء، خمسة رجال يستلقون في العتبة. كنت متأخراً عنها بخمسة أقدام. نفرت منهم. أحدهم وحش وكلّاب محملي السفن معلق في جيبه، أخرج السيجار من فمه وصفر بنعومة. ابتسم للآخرين، نظف حنجرته، وبصق شريطاً فضياً على الرصيف. كرهت ذلك الوحشي. ألا يعلم بوجود أمر مدني يمنع البصاق على الرصيف؟ هل كان مدركاً لقوانين المجتمع المحترم؟ أو هل كان مجرد وحش بشري جاهل كان عليه أن يبصق ويبصق ويبصق لبهجة حيوانية، أجبرته رغبة كريهة فاسدة في جسده على أن يتجشأ حقده التافه كلما شعر برغبة في ذلك؟ لو أعرف اسمه فقط!السوف أسلمه إلى وزارة الصحة وأقيم عليه دعوى.

ثم وصلت إلى واجهة القاعة. راقبني الرجال وأنا أمر أيضاً، جميعهم يتسكعون ويبتغون شيئاً ينظرون إليه. كانت المرأة الآن في قسم حيث جميع الأبنية كانت سوداء وفارغة، زقاق كبير من نوافذ جدباء سوداء كئيبة. للحظة توقفت أمام واحدة من تلك النوافذ. ثم تابعت. شيء في النافذة استوقفها ولفت نظرها.

عندما بلغت النافذة رأيت ما كان. كانت نافذة الطابق الوحيد المشغول في المبنى. متجر للأدوات المستعملة، متجر للرهن. الآن وقد مر زمن طويل على انتهاء ساعات العمل كان المتجر مقفلاً، عجت النوافذ بالجواهر، بالأدوات، بالآلات الكاتبة، الحقائب وآلات التصوير. تقول لافتة على النافذة: أعلى الأسعار مدفوعة للذهب القديم. لأني عرفت بأنها قرأت تلك اللافتة، قرأتها مراراً وتكراراً. أعلى الأسعار مدفوعة للذهب القديم. الآن قرأها كلٌّ منا، هي وأنا-آرتورو بانديني وتلك المرأة. رائع!ألم تسترق النظر بعناية نحو مؤخرة المتجر؟ إذاً هكذا سيفعل بانديني، ولأنه مثلما فعلت امرأة

بانديني، بانديني يفعل. أضاء ضوء صغير في المؤخرة، فوق خزنة صغيرة ثخينة.انتفخت الغرفة بالأشياء المستعملة. في زاوية انتصب قفص سلكي كان المكتب خلفه. رأت عيون امرأتي كل هذا وسوف لن أنسى.

التفت لأتبعها ثانية. تقدمت عند المنعطف التالي من الحاجز تماماً عندما إشارة المرور أضاءت بالأخضر ومضت. وصلت سريعاً، تواقاً للعبور أيضاً، لكن الضوء تغير إلى الأحمر وتوقف. إلى الجحيم بالأضواء الحمراء. الحب لا يحتمل العوائق. بانديني يجب أن يمر. إلى النصر! وعبرت مع ذلك. كانت تتقدمني بعشرين قدماً فقط، غمرني غموض هيئتها المقوسة. سأبلغها قريباً. هذا لم يحدث.

حسناً، بانديني، ماذا ستفعل الآن؟

بانديني لا يتعثر. بانديني يعرف ماذا يفعل، أليس كذلك بانديني؟ بالتأكيد! سأنطق بكلمات حلوة لها. سأقول مرحباً، يا حبيبتي! ويا لها من ليلة جميلة، وهل تمانعين إذا رافقتك قليلاً؟ أعرف بعض الشعر الجميل، مثل نشيد الأناشيد لسليمان وجزء من قصيدة نيتشه عن الشهوانية-أيهما تفضلين؟ هل تعلمين بأني كاتب؟ نعم حقاً! أنا أكتب للأجيال القادمة. دعينا نمشِ نحو حافة المياه بينما أخبرك عن عملي، عن النثر للأجيال القادمة.

لكن عندما وصلت إليها حدث أمر غريب.

كنا نمشي جنباً إلى جنب. سعلت ونظفت حنجرتي. كنت على وشك أن أقول، مرحباً، يا امرأتي الجيدة. لكن شيئاً ما اكتظ في حنجرتي. لم أستطع أن أفعل شيئاً آخر. حتى لم أستطع النظر إليها، لأن رأسي رفض أن يستدير عنقي. كانت أعصابي قد انحلَّت. اعتقدت بأنه سيغمى علي. أنا أنهار، قلت، أنا في حالة من الانهيار. ثم حدث الأمر الغريب: بدأت أركض. أطلقت

أقدامي لريح، وقذفت رأسي إلى الخلف، وركضت كالأحمق. ومرفقاي يتحركان محدثان صوتاً ومنخراي يلتقيان الهواء المالح. ركضت مثل عداء، عداء نصف ميل أولمبي يعدو بأقصى سرعة المرحلة النهائية إلى النصر.

ماذا تفعل الآن، بانديني؟ لماذا تجري؟

أشعر برغبة في الجري. ماذا في ذلك؟ أظن بأنه يمكنني الركض إذا رغبت في ذلك، أليس صحيحاً؟

طقطقت قدماي على الشارع المهجور. كنت استأنف السرعة. عبرت الأبواب والنوافذ بي بطريقة رائعة. لم أدرك أبداً بأني أملك هذه السرعة. عابراً بقاعة محملي السفن سريعاً، انعطفت انعطافاً عريضاً نحو شارع فرونت. رمت المخازن الطويلة ظلالاً سوداء على الطريق، وفي وسطها كان صدى أقدامي السريع. كنت عند الأرصفة الآن، والبحر في الجهة الأخرى من الشارع، خلف المستودع.

لم أكن سوى آرتورو بانديني، أعظم عداء نصف ميل في تاريخ السباقات الأميركية وحوليات الميدان. كان جوتش البطل الهولندي الجبار، سيلفستر جوتش، شيطان سريع من أرض طواحين الهواء والأحذية الخشبية، يتقدمني بخمسين قدماً، وكان الرجل الهولندي الجبار يمنحني سباق سيرتي المهنية. هل سأكسب؟ تساءل آلاف الرجال والنساء في المدرجات -لاسيما النساء، لأني كنت معروفاً على نحو ممازح بين محرري الرياضة بأني"عداء المرأة "لأني كنت مشهوراً جداً بين المشجعات من الإناث. الآن كانت المدرجات تهتف على نحو مسعور. ترمي النساء أذرعها وترجونني أن أفوز-لأجل أمريكا. هيا بانديني! هيا باندييني! أوه باندييني! كم نحبك! وكانت النساء قلقات. لكن لم يكن هناك داع للقلق.

كان الموقف جيداً في قبضتي، وعرفت به. كان سيلفستر جوتش يتعب، لم يتمكن من تحمل الخطو. وكنت أحفظ نفسي لأجل آخر خمسين ياردة. عرفت بأني أستطيع أن أهزمه. لا خوف، يا سيداتي اللاتي تحببنني، لا خوف! شرف أمريكا يعتمد على نصري، أعرف هذا، وعندما تحتاجني أمريكا ستجدنني هناك، وسط القتال، تواقاً لأمنح دمي. بخطوات جميلة فخورة فتحت الخطو عند علامة الخمسين ياردة. يا إلهي، انظر إلى ذلك العداء! صراخ الفرح من حناجر آلاف النسوة. اندفعت بقوة تفصلني عشرة أقدام عن الشريط، أنترها بربع ثانية قبل الهولندي الجبار. الجلبة في المدرجات. اجتمع مصورو جريدة النيوزريل من حولي، ينشدون أن أدلي ببضع كلمات. من فضلك باندنيني من فضلك! مستنداً على الأرصفة الهاوايانية-الأميركية لهثت وابتسمت موافقاً على أن أمنح الأولاد تصريحاً. مجموعة لطيفة من الرجال.

" أريد أن أقول مرحباً لأمي،" لهثت،" هل أنت هناك، أمي؟ مرحباً! كما ترون، أيها السادة عندما كنت صبياً في كاليفورنيا كنت أوزع الصحف بعد المدرسة. في ذلك الحين كانت أمي في المستشفى. كانت كل ليلة تشرف على الموت. وهكذا تعلمت الجري. مع إدراك مريع بأني قد أفقد أمي قبل أن أنهي توزيع صحف ويلمنجتون الرسمية، اعتدت أن أركض مثل رجل مسعور، منهياً عملي ثم أركض مسافة خمسة أميال إلى المستشفى. وهذا كان تدريبي الأرضي. أردت أن أشكركم جميعاً، ومرة أخرى أقول مرحباً لأمي في كاليفورنيا. مرحباً ماما! كيف حال بيلي وتيد؟ وهل الكلب يتماثل للشفاء؟"

ضحك. همسات عن تواضعي البسيط الأصلي. تهانينا.

لكن في النهاية، لم يكن هناك الكثير من الرضى في هزيمة جوتش، وعلى الرغم من أنه كان نصراً عظيماً. كنت منقطع الأنفاس متعباً من كوني عدّاءً أولمبياً.

تلك المرأة في المعطف الأرجواني. أين هي الآن؟ أسرعت عائداً إلى جادة آفالون. لم تكن مرئية. كانت الجادة مهجورة إلا من محملي السفن في الشارع التالي والهوام يحوم حول مصابيح الشارع.

أيها الأحمق! لقد أضعتها. لقد رحلت إلى الأبد.

بدأت أتأرجح في الشارع هنا وهناك بحثاً عنها. في البعيد سمعت نباح كلب بوليسي. كان ذلك هرمان. أعرف كل شيء عن هرمان. كان كلب ساعي البريد. كان كلباً مخلصاً، هو لم ينبح فقط، بل يعض أيضاً. طاردني مرة مسافة شوارع وانتزع الجوارب من عقبي. قررت أن أكف عن البحث. كان الوقت يزداد تأخراً. الآن في ليلة أخرى قد أبحث عنها. كان عليَّ أن أذهب إلى العمل في وقت مبكر من صباح اليوم التالي. وهكذا انطلقت نحو البيت أصعد جادة آفالون.

رأيت اللافتة ثانية: أعلى أسعار تدفع للذهب القديم. أثارتني لأن المرأة في المعطف الأرجواني قرأتها. لقد رأت وشعرت بكل هذا-المتجر، الزجاج، النافذة، الخردة في الداخل. مشت على طول هذا الشارع. شعر هذا الرصيف بالثقل الفاتن لوزنها. تنفست هذا الهواء واشتمت ذلك البحر. اختلط به دخان سيجارتها. آه، هذا كثير جداً، كثير جداً!

عند المصرف لمست المكان حيث أشعلت العود. هناك-على أطراف أصابعي. رائع. شريط أسود صغير. أوه أيها الشريط، اسمك كلوديا. أوه كلوديا، أحبك. سأقبلك لأثبت ولائي. نظرت من حولي.

لم يكن من أحد في مرمى النظر على بعد شارعين. ومددت نفسي وقبلت الشريط الأسود.

أحبك كلوديا. أتوسل إليك أن تتزوجي بي. لا شيء آخر في الحياة يهم.

حتى كتاباتي، تلك المجلدات للأجيال القادمة، لا تعني شيئاً دونك. تزوجي بي أو سأذهب إلى الرصيف وأقفز برأسي أولاً. وقبلت ثانية الشريط الأسود. ثم ارتعبت عندما لحظت أن واجهة المصرف كلها كانت مغطاة بخطوط وخدوش لآلاف وآلاف من أعواد الثقاب. بصقت مشمئزاً. لا بد من أن تكون علامتها مميزة، شيء يشبهها، بسيط ولكنه غامض، لم يعرف العالم من قبل أثر عود مثله. سأجده لو توجب عليَّ البحث إلى الأبد. هل تسمعني؟ إلى الأبد وإلى الأبد. سأقف هنا حتى أشيخ، باحثاً وباحثاً عن علامة حبي الغامضة. لن يقلل الآخرون من عزيمتي. الآن أبدأ: عمر بطوله أو دقيقة ماذا يهم؟

وجدته بعد أقل من دقيقتين. كنت واثقاً من أصله. علامة صغيرة شاحبة جداً كانت مرئية بالكاد. فقط هي بوسعها أن تصنعها. رائعة. إشارة صغيرة وتلميح خفيف جداً، ينم عن موهبة عند طرفه، فيه القليل من الفنية، علامة مثل أفعى على وشك أن تضرب.

لكن شخصاً ما كان قادماً. سمعت وقع خطى على الرصيف. كان رجلاً طاعناً في السن ذا لحية بيضاء. حمل عصاً وكتاباً وبدا مستغرقاً في تفكير عميق. عرج على عصاه. كانت عيناه براقتين للغاية وصغيرتين. انحنيت داخل الممر المقنطر إلى أن عبر. ثم خرجت وأمطرت العلامة بقبل عنيفة. ثانية أتضرع إليك أن تتزوجي بي. لم يملك رجل أعظم من هذا الحب. الزمن والمد لا ينتظران أحداً. خير البر عاجله. الجوال لا ينمو عليه الطحلب. تزوجي بي!

فجأة اهتز الليل بسعال خافت. كان ذلك العجوز. كان قد سار في الشارع حوالي خمسين ياردة وانعطف. كن هناك، يستند على عصاه ويراقبني بتركيز.

أسرعت صاعداً الشارع أرتجف خجلاً. انعطفت عند نهاية الشارع. تراجع العجوز نحو الجدار. كان يتفحصه أيضاً. الآن كان يتابعني بنظره.

تململت عند التفكير فيه. شارع آخر وانعطفت مرة أخرى. كان لا يزال
هناك، ذلك العجوز الرهيب. ركضت بقية الطريق إلى البيت.

الفصل التاسع عشر

كانت مونا وأمي قد آوتا إلى السرير. شخرت أمي بخفوت. كانت الأريكة في غرفة الجلوس مفرودة، سريري مجهز والوسادة في مكانها. خلعت ملابسي ودخلت. مرت دقائق. لم أتمكن من النوم. حاولت النوم على ظهري ثم على جانبي. ثم حاولت على بطني. مرت الدقائق. سمعتها تنقضي على الساعة في غرفة نوم أمي. مرت نصف ساعة. كنت مستيقظاً تماماً. تقلبت وشعرت بألم في عقلي. كان هناك ثمة خطب. مرت ساعة. بدأت أغضب لعدم تمكني من النوم، ورحت أتعرق. رفست الأغطية وتمددت هناك، محاولاً التفكير في شيء ما. كان عليَّ النهوض باكراً. لن أكون فعالاً في المعمل إذا لم أنل قسطاً كافياً من الراحة. لكن عينيَّ كانتا دبقتين والتهبتا عندما حاولت أن أغلقهما.

كانت تلك المرأة، ترنحها من آخر الشارع، وميض وجهها الأبيض الشاحب. لم يعد السرير محتملاً. أضأت النور وأشعلت سيجارة. احترقت في حلقي. رميتها وقررت الإقلاع عن التدخين إلى الأبد.

عدت إلى السرير. وتقلبت. تلك المرأة. كم أحببتها!تكور إهابها، الجوع في عينيها الهلعتين، الفراء على عنقها،الفتق في جوربها، الشعور في صدري، لون معطفها، وميض وجهها، الخدر في أصابعي، العوم وراءها في الشارع، برودة النجوم الوهاجة، فضة الهلال الدافئ الخرساء، طعم عود الثقاب، رائحة البحر، نعومة الليل، محملو السفن، طقطقة كرات البلياردو، خرزات الموسيقى، تكور إهابها، موسيقى كعبيها، معاندة مشيتها، العجوز مع

الكتاب، المرأة، المرأة، المرأة.

جاءتني فكرة. رميت الأغطية وقفزت من السرير. يا لها من فكرة! جاءتني مثل انهيار ثلجي، مثل منزل يتداعى، مثل تهشم الزجاج. شعرت بالنار والجنون. كان هناك أوراق وأقلام في الدرج. غرفتها وأسرعت إلى المطبخ. كان الجو بارداً في المطبخ. أشعلت الفرن وفتحت بابه. جلست عارياً بدأت أكتب.

حب أبدي

أو المرأة التي يحبها الرجل

أو أمنيا فنست آمور [1]

لآرتورو جابرييل بانديني

ثلاثة عناوين.

بديع! بداية ممتازة. ثلاثة عناوين، فقط على هذا الشكل. رائع! لا يصدق! عبقري! عبقري حقاً!

وذلك الاسم. آه، بدا عظيماً.

آرتورو جابرييل بانديني.

اسم ليعتبر خالداً فترة طويلة من الزمن: اسم لعصور لانهائية. آرتورو جابرييل بانديني. اسم له رنين أفضل من رنين اسم دانتي جابرييل روسيتي. وكان إيطالياً أيضاً. انتمى إلى عرقي.

كتبت: " آرثربانينج، تاجر النفط المليونير الكبير ، العمل الفذ، الشرعي،

1- Omnia Vincit Amor: وهو عنوان لوحة للرسام الإيطالي كارافاجيو وهي تعرف باسم (الحب يهزم كل شيء)

السيد الصغير، الكريم، والمحب الكبير للنساء الفاتنات، الجميلات، الغريبات، الحلوات، شبيهات الكواكب في كل أنحاء العالم، في كل زاوية من زوايا الكوكب، النساء في بومباي، الهند، أرض تاج محل، أرض غاندي وبوذا، النساء في نابولي، أرض الفن والخيال الإيطاليين، نساء الريفييرا، نساء بحيرة بانف Banff، النساء عند بحيرة لويز، في جبال الألب السويسرية، في بستان جوز الهند في فندق الأمباسادور في لوس أنجلس، كاليفورنيا، نساء عند القنطرة الشهيرة في أوربا، هذا آرثر بانينج نفسه سليل عائلة قديمة من فرجينيا، أرض جورج واشنطن والتقاليد الأميركية العظيمة، هذا هوآرثر بانينج الوسيم والطويل، ستة أقدام وأربعة إنشات في جوربه، ممتاز، و بأسنان مثل صف من اللآلئ،الذي يتميز برشاقته، حيويته، غرابة أطواره، خصال تهتم لها النساء جميعاً بشكل هائل، هذا آرثر بانينج واقف عند سياج يخته الأمريكي الجليل، الشهير عالمياً، المحبوب للغاية، لارشمونت الثامن؛ويراقب بعيون ضارة، قوية، ذكورية، شديدة،الأشعة القرمزية،الحمراء،الجميلة، لسول القديمة -المشهورة بالشمس-، تغطس في المياه السوداء الوهمية الكئيبة للمحيط الشرق أوسطي، في مكان ما جنوب أوربا، في سنة ربنا،1935.

وكان هناك، سليل الثروة، العائلة الشهيرة، القوية، الفخمة، الإنسان الشهم، والعالم عند قدميه و العظيم القوي الرائع بانينج، الثروة في متناول يده، ومع ذلك، شيء ما أثار قلق آرثر بانينج الطويل، القاتم، الوسيم، المسفوع بأشعة سول القديمة وهو واقف هناك، وما أقلقه، كان أنه ولو أنه سافر إلى أراض عديدة و بحار، وأنهار أيضاً، ومع أنه مارس الحب، وكانت له علاقات غرامية، عرف العالم كله بها من خلال الصحافة، الصحافة القوية الطاحنة، كان آرثر بانينج هذا السليل تعيساً، وبالرغم من أنه كان

غنياً وشهيراً وقوياً إلا أنه كان وحيداً وغير محصن تجاه الحب. وهو واقف بحزم شديد هناك على رصيف يخته لارشمونت الثامن، اليخت الأكثر جمالاً وروعة وقوة، تساءل فيما إذا كان سيلتقي فتاة أحلامه قريباً، وهل ستشبه فتاة أحلامه في شيء فتاة أحلام صباه هناك عندما كان فتياً يحلم على ضفاف نهر بوتوماك، على ممتلكات والده الميسور الثري الرائعة، أو ستكون فقيرة؟

" أشعل آرثربانينج غليونه الثمين الجميل المصنوع من خشب الورد، ونادى واحداً من تابعيه، مجرد ضابط بحري، وطلب من ذلك التابع عود ثقاب. ذلك الوجيه الشهير المعروف والخبير، الشخصية في عالم السفن، وعالم البحرية، رجل ذو سمعة عالمية، في عالم السفن، وأختام الشمع، لم يكذب، بل قدم العود بانحناءة خضوع محترمة، وشكره بانينج الشاب الوسيم الطويل بتهذيب، ولو مع قليل من عدم اللباقة، وثم عاود حلمه الوهمي عن فتاة ثرية ستكون يوماً ما عروسه وامرأة أحلامه الجامحة.

" عند تلك اللحظة، لحظة صامتة، دوت صرخة مفاجئة، شنيعة، شديدة، من متاهة البحر المالح القبيحة، صرخة اختلطت مع خفق الأمواج الباردة عند مقدمة المركب الشهير الثمين المتباهي لارشمونت الثامن، صرخة ضيق، صرخة امرأة! صرخة امرأة!نداء استغاثة من لوعة مريرة وخلود! صرخة نجدة! النجدة! النجدة!بنظرة سريعة على المياه المضطربة، خضع الشاب آرثر بانينج، لتركيب ضوئي كثيف لنظام صارم، نظرت عيناه الزرقاوان الوسيمتان الرائعتان الماضيتان بعيداً وهو يخلع سترته المسائية الثمينة، سترة كلفت مئة دولار، ووقف هناك في بهجة شابة، جسده الشاب الرياضي الوسيم، الذي عرف كفاحات كروية في جامعة ييل، وكرة القدم في أوكسفورد في إنكلترا، وكان يرسم، مثل إله إغريقي، صورة ظلية أمام أشعة الشمس القديمة الحمراء، وهي تنغمس في مياه البحر الأبيض المتوسط الزرقاء. النجدة!

النجدة! النجدة!ندت تلك الصرخة الممضة عن امرأة عاجزة، مسكينة، نصف عارية، هزيلة، مبتلاة بالفقر، في أردية رخيصة، وهي تتحسس قبضةَ الموتِ المأساويِّ الشديدِ الجليديةَ من حولها. هل ستموت دون مساعدة؟ كانت محنة، دون مراسم، وفي الواقع،اندفع الوسيم آرتورو بانديني."

كتبت كل هذا القدر في وقعة انقضاض واحدة. جاءني بسرعة كبيرة حتى لم يكن لدي الوقت لكي أضع الشحطة على حرف T أو أضع النقطة على حرف I. الآن كان هناك وقت لالتقاط الأنفاس، وفرصة لقراءته، ففعلت ذلك.

آها!

مادة رائعة! عظيمة! لم أقرأ يوماً شيئاً كهذا من قبل في حياتي. رائع. نهضت، بصقت على يدي، وفركتهما معاً. هيا! من يريد أن يصارعني؟ سأصارع كل أحمق لعين في هذه الغرفة. يمكنني أن أهزم العالم أجمع. كان ذلك الشعور كما لو أن شيئاً لم يكن على الأرض. كنت شبحاً. عمت وحلقت وقهقهت وعمت. كان كثير جداً. من سيحلم به؟ أن أتمكن من الكتابة بهذا الشكل. يا إلهي! رائع!

ذهبت إلى النافذة ونظرت. كان الضباب يهبط. يا له من ضباب جميل. انظر إلى الضباب الجميل. رميت فيه قبلاً. لاطفته بيدي. عزيزي الضباب، أنت فتاة في فستان أبيض وأنا أبث غرامي في عتبة النافذة. كان يوماً حاراً، وأنا ساخن تماماً، لذا رجاء قبلني، عزيزي الضباب. أردت أن أقفز، أن أعيش، أن أموت، أن أنام مستيقظاً تماماً في حلم بلا أحلام. يا لها من أمور رائعة. يا له من صفاء رائع. كنت المحتضر والميت والخالد. كنت السماء ولست السماء. كان هناك الكثير ليقال ولا طريقة لقوله.آه، انظر الموقد. من سيصدق هذا! موقد. تخيل. موقد جميل. أوه أيها الموقد أحبك! من الآن فصاعداً سأكون

مخلصاً، أغدق عليك حبي كل حين. أوه أيها الموقد اضربني. اضربني في العين. أوه أيها الموقد، كم جميل هو شعرك! دعني أبْلّ فيه، لأني أحبك بجنون كبير، عزيزي، أيها الموقد الخالد. ويدي. هاهي. يدي. اليد التي كتبت. يا رب، يد. يا لها من يد أيضاً.اليد التي كتبت. أنا وأنت ويدي وكيتس. جون كيتس وآرتورو بانديني ويدي، يد جون كيتس بانديني. رائع. أوه يد أرض ربطة بسطة أرض ضخم[1].

نعم، كتبتها.

أيتها السيدات والسادة في اللجنة، في لجنة الأثداء البضة، لجنة، أغنية قصيرة، صغيرة[2]، كتبتها، أيتها السيدات والسادة، كتبتها. نعم حقاً. لن أنكر ذلك: تقدمة فقيرة، إذا جاز لي القول، لا شيء وحسب. لكن أشكر لكم كلماتكم اللطيفة. نعم، أحبكم جميعاً. صدقاً. أحب كل واحد منكم، لاسيما السيدات، النساء، الرحم الذي ينجب الرجال. دعهنّ يتعرين ويتقدمن. واحدة فواحدة رجاء. أنتن هناك، أيتها العاهرات الشقراوات الجميلات. سوف أنال منكن أولاً. أسرعن من فضلكن، وقتي محدود. لدي الكثير من العمل. ليس هناك سوى القليل من الوقت. أنا كاتب، كما تعلمن، كتبي تعرفنها، خالدة كما تعلمن، شهيرة كما تعلمن، أنتن تعرفن الشهرة، أليس كذلك، الشهرة تعرفنها، أليس كذلك؟ الشهرة وكل ذلك، لا لا، رجل طارئ في الزمن وحسب. أنا أجلس وحسب إلى تلك الطاولة الصغيرة هناك.

مع قلم، نعم. هدية الله-لا شك في ذلك. نعم، أؤمن بالله. بالتأكيد. الله. يا عزيزي وصديقي الله. آه، شكراً لك، شكراً لك. الطاولة؟ بالتأكيد. من

1- الكلمات في الأصل مقفاة.

2- أيضاً هنا الكلمات مقفاة مع كلمة committee

أجل المتحف؟ بالتأكيد. لا لا. لا حاجة إلى فرض رسم دخول. الأطفال: أدخلهم مجاناً، مقابل لا شيء. أريد جميع الأطفال أن تمسها. أوه شكراً لكم. شكراً لكم. نعم، أقبل الهدية. شكراً لكم، شكراً لكم جميعاً.الآن أذهب إلى أوروبا وإلى الاتحادالسوفييتي. شعب أوروبا ينتظرني. شعب رائع، هؤلاء الأوروبيون، رائع. والروس، أحبهم، أصدقائي، الروس. وداعاً، وداعاً. نعم، أحبكم جميعاً. عملي، كما تعلمون. الكثير منه: روائعي، كتبي، مجلداتي. وداعاً وداعاً.

جلست وكتبت ثانية. زحف القلم على الصفحة. امتلأت الصفحة. قلبتها. تحرك القلم. صفحة أخرى. على أحد الوجوه ثم الآخر. تكومت الصفحات. دخل الضباب من النافذة، خجول وبارد. سرعان ما امتلأت الغرفة. واصلت الكتابة. الصفحة الحادية عشرة.

الصفحة الثانية عشرة

رفعت بصري. كان ضوء النهار. سد الضباب الغرفة. كان الفرن مطفأً. ويداي خدرتان. ظهرت بثرة على إصبعي.التهبت عيناي. وظهري آلمني. بالكاد استطعت التحرك من شدة البرد. لكن لم أشعر في حياتي بشعور أفضل.

الفصل العشرون

لم أكن جيداً في المصنع ذلك اليوم. هرست إصبعي في مقلب العلب. لكن حمداً لله لم يتسبب ذلك بضرر. اليد التي أكتب بها لم تمس. بل اليد الأخرى، اليسرى: يدي اليسرى ليست بخير بأية حال، اقطعها لو تحب. نمت ظهراً على الأرصفة. عندما استيقظت كنت خائفاً أن أفتح عيني. هل أنا أعمى؟ هل أصابني العمى في وقت مبكر من سيرتي المهنية؟ لكن فتحت عيني، وبفضل الله رأيت. تحرك الأصيل مثل حمم بركانية. رمى أحدهم صندوقاً وضربني على ركبتي. لم يكن يهم. أي جزء مني أيها السادة لكن اصفحوا عن عيني ويدي اليمنى.

عند الانصراف هرعت إلى البيت. ركبت الحافلة. لم أكن أملك سوى نيكل واحد. نمت في الحافلة. كانت الحافلة الخطأ. كان عليَّ أن أمشي مسافة خمسة أميال. تناولت العشاء، كتبت. عشاء سيئ للغاية: هامبرغر. لا بأس، ماما. لا تثيري ضجة حولي. أحب الهامبرغر. كتبت بعد العشاء. الصفحة الثالثة والعشرون. كانت تتكوم. منتصف الليل نمت في المطبخ. تكورت في الكرسي وطقطقت رأسي أمام قائمة الموقد. لا لا أيها الموقد القديم انس الأمر. يدي بخير، وكذلك عيني، لا شيء آخر يهم. اضربني ثانية، لو تحب، هنا في معدتي. خلعت أمي عني ملابسي ووضعتني في السرير.

كتبت الليلة التالية حتى الفجر ثانية. ونمت أربع ساعات. جلبت ذلك اليوم ورقاً وقلماً إلى العمل. لدغتني نحلة في الحافلة وأنا ذاهب إلى المصنع

في ظاهر عنقي. يا للسخف! نحلة تلدغ عبقرياً. أيتها النحلة السخيفة! امض في سبيلك، من فضلك. يجب أن تكوني خجلة من نفسك. لنفترض أنك لدغتني في يدي اليمنى؟ هذا سخيف. نمت ثانية في الحافلة. عندما استيقظت كانت الحافلة في نهاية الخط، صحوت فوق ضفة سان بيدرو من مرفأ لوس أنجلس، ستة أميال بعيداً عن المصنع. عدت مستقلاً المعدية. ثم ركبت حافلة أخرى. كانت الساعة العاشرة عندما وصلت إلى المصنع.

وقف شورتي نايلور ينكش أسنانه بعود ثقاب.

"حسناً؟"

" أمي مريضة، لقد أخذوها إلى المستشفى." " هذا سيئ جداً،" كان كل ما قاله.

تسللت ذلك الصباح من العمل إلى دورة المياه. كتبت هناك. كان الذباب لا يعد ولا يحصى. حام فوقي، وزحف على يدي وعلى الورق. ذباب ذكي جداً. لا شك في أنه كان يقرأ ما كتبت. مرة وقفت هادئاً تماماً فقد يزحف على الأوراق ويتفحص كل كلمة بشكل كامل. كان أظرف ذباب عرفته في حياتي.ظهراً كتبت في المقهى. كان مزدحماً، تفوح منه رائحة الحساء الفواحة والدهن. بالكاد لحظتها. عندما هبت الصفارة رأيت طبقي أمامي. دون مساس. في الأصيل تسللت عائداً إلى دورة المياه. كتبت هناك نصف ساعة. ثم جاء مانويل. أخفيت الأوراق والقلم.

"الرئيس يريدك."

ذهبت لأرى الرئيس.

" أين كنت بحق الجحيم؟"

" أمي. حالها أسوأ. كنت أستعمل الهاتف، أتصل بالمستشفى."

فرك وجهه.

" هذا سيئ جداً."

" إن الأمر خطير للغاية."

قَرَقَ مستهجناً.

" سيئ جداً. هل ستتعافى؟"

" أشك في ذلك. يقولون إنها مسألة لحظات."

" يا إلهي. أنا آسف لسماع ذلك."

"لقد كانت أماً رائعة. مثالية. لن أعرف ماذا سأفعل إذا ما رحلت. أظن بأني سأقتل نفسي. هي الصديق الوحيد الذي لدي في العالم."

" ما المشكلة؟"

"تجلط رئوي."

صفَّر.

" يا إلهي! هذا فظيع."

" لكن هذا ليس كل شيء."

" ليس كل شيء؟"

" تصلب الشرايين أيضاً."

" يا إلهي القدير."

شعرت بالدموع تأتي وتنشقت. فجأة أدركت أن ما قلته عن أمي في كونها الصديق الوحيد الذي لدي في هذا العالم كان صحيحاً. وكان يخامرني الشك

لأن الأمر برمته كان ممكناً، أنا الولد المسكين أنفق حياتي في هذا المصنع وأمي تموت وأنا الولد المسكين دون أمل أو نقود، أكدح بائساً في حين تلفظ أمي أنفاسها الأخيرة، آخر أفكارها عني، ولد مسكين، يكدح في معمل لتعليب السمك. كانت فكرة تكسر القلب. كنت أسفح الدمع.

" لقد كانت رائعة،" قلت، وأنا أجهش بالبكاء." كانت تضحي بحياتها كلها من أجل نجاحي. لقد آلمني في الصميم."

" إنه قاس." قال شورتي." أظن بأني أعرف كيف تشعر."

غاص رأسي. جررت نفسي بعيداً، تنهمر الدموع على وجهي. كنت متفاجئاً من أن كذبة وقحة تكاد تكسر قلبي.

" لا. أنت لا تفهم. لا يمكنك! لا أحد يمكنه أن يفهم ما أحس به."

أسرع خلفي.

" اسمع،" ابتسم." لم لا تكن متزناً وتأخذ اليوم إجازة؟ اذهب إلى المستشفى! ابق مع أمك! أفرحها! ابق بضعة أيام-أسبوع! سيكون الأمر بخير هنا. سأمنحك راتباً بدوام كامل. أعرف كيف تشعر. يا للجحيم، أظن بأنه كان لدي أم سابقاً."

صررت على أسناني وهززت رأسي." لا. لا يمكنني. لا أريد. واجبي هنا، مع بقية الرجال. لا أريد أن أعامل معاملة خاصة. أمي قد ترغب في أن يكون بهذا الشكل أيضاً. حتى لو كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة أعرف بأنها قد تقول ذلك."

أمسك بأكتافي وهزني." لا!" قلت." لا أريد "

" انظر هنا! من هو الرئيس؟ الآن افعل ما أقوله لك. اخرج من هنا

واذهب إلى ذلك المستشفى، وابق هناك إلى أن تتحسن أمك"

أخيراً استسلمت، وتناولت يده. " يا إلهي، كم أنت رائع! شكراً! يا إلهي، لن أنسى هذا ما حييت."

ربت على كتفي.

" انس الأمر. أنا أتفهم هذه الأمور. أظن بأنه كان عندي أم يوماً."

أخرج من محفظته صورة. " انظر،" ابتسم.

أمسكت الصورة الفوتوغرافية الشاحبة أمام عيني المغشيتين. كانت امرأة مربوعة قرميدية اللون في عباءة الزفاف التي تهدلت مثل شراشف من السماء، تسقط عند قدميها. كانت وراءها خلفية تمثل أشجاراً وشجيرات، زهور تفاح وزهور في ريعان تفتحها، المنظر الطبيعي مشقوق بثقوب واضحة للرؤية. " أمي،" قال. "عمر تلك الصورة خمسون عاماً." اعتقدت أنها كانت أقبح امرأة رأيتها في حياتي. كان فكها مربعاً مثل فك رجل شرطة. الزهور في يدها مثل هراسة البطاطا، كانت ذابلة. وشاحها كان ملوياً، مثل وشاح معلق من عود ستارة مكسور. وحواف فمها معقوفة للأعلى في ابتسامة ساخرة استثنائية. بدت كما لو أنها احتقرت فكرة كونها متأنقة تماماً لتتزوج واحداً من هؤلاء النايلور الملاعين.

" جميلة-جميلة جداً يعجز التعبير عن وصفها."

" كانت آية تماماً."

" هي تبدو كذلك. هناك شيء ناعم فيها-مثل تلة في الشفق، غيمة في البعيد، شيء حلو وروحاني، تعرف ماذا أعني-مجازاتي غير وافية."

" نعم. لقد توفيت بسبب ذات الرئة."

" يا إلهي،" قلت." فكر في ذلك! امرأة رائعة مثل تلك!قصور ما يسمى علماً! وكله بدأ من برد شائع أيضاً، أليس كذلك؟"

" نعم. هذا ما حدث تماماً."

" نحن عصريون! كم نحن حمقى! نسينا جمال الأشياء القديمة والثمينة الخارق-مثل تلك الصورة. يا إلهي، إنها بديعة."

" نعم. يا إلهي، يا إلهي."

الفصل الحادي والعشرون

كتبت ذلك الأصيل جالساً على مقعد في الحديقة. انزلقت الشمس وزحفت الظلمة من الشرق. كتبت في نصف ضوء. عندما هبت الريح الرطبة من البحر غادرت وذهبت إلى البيت. مونا وأمي لا تعرفان شيئاً، تظنان بأني قادم من المصنع.

بدأت بعد العشاء ثانية. لم تكن تنحو لتصبح قصة قصيرة في النهاية. أحصيت ثلاثة وثلاثين ألفاً وخمسمئة وستين كلمة، بغض النظر عن أدوات التنكير. رواية، رواية كاملة. كان هناك مئتان وأربع وعشرون فقرة، وثلاثة آلاف وخمسمئة وثمانون عبارة. احتوت عبارة واحدة على أربعمئة وثمان وثلاثين كلمة، أطول عبارة رأيتها في حياتي. كنت فخوراً بها وعرفت بأنها ستذهل النقاد. في النهاية ليس في وسع أي شخص أن يطيلها إلى هذا الحد.

وواصلت الكتابة كلما استطعت، سطر أو اثنان في الصباحات، كل يوم في الحديقة على مدى ثلاثة أيام، وصفحات في الليل. عبرت الأيام والليالي على القلم مثل قدم طفل راكض. امتلأت ثلاثة دفاتر بالكتابة ثم الرابع. بعد أسبوع انتهت. خمسة دفاتر. 96,009 كلمة.

كانت قصة عن غراميات آرثر بانينج الشهوانية. ذهب في يخته من بلد إلى بلد ينشد امرأة أحلامه. كان له علاقات غرامية مع نساء من كل عرق وبلد في العالم. بحثت في القاموس عن كل بلداني، ولم أفوت واحداً. كان هناك ستون بلداً، وعلاقة حب شهوانية في كل واحد منها. لكن آرثر بانينج لم يجد

امرأة أحلامه أبداً. أنهيت القصة عند الساعة الثالثة وسبع وعشرين دقيقة يوم الجمعة السابع من شهر آب تماماً. آخر كلمة في آخر صفحة كانت ما تمنيته تماماً.

"الموت."

أردى بطلي نفسه برصاصة في الرأس.

وضع مسدساً على صدغه وتكلم.

" لقد فشلت في إيجاد امرأة أحلامي،" قال." الآن أنا مستعد للموت. آه يا غموض الموت العذب."

لم أكتب بالضبط بأنه قدح الزناد. بل ألمحت إلى ذلك، ما أثبت قدرتي على استعمال التحفظ في ذروة ماحقة.

وهكذا أنهيت.

الفصل الثاني والعشرون

عندما وصلت إلى البيت مساء اليوم التالي كانت مونا تقرأ المخطوط. كانت الأوراق مكومة على الطاولة، وكانت تقرأ الكلمات الأخيرة في الصفحة الأخيرة، بذروتها الهائلة. بدت تقرأ باهتمام شديد وعينين متسعتين. خلعت سترتي وفركت يدي.

"ها!" قلت" أرى أنك مستغرقة. مشوق، أليس كذلك؟"

رفعت بصرها بوجه سقيم.

" إنه سخيف،" قالت." سخيف تماماً. لم يثرني. لقد تسبب لي بالمغص".

"أوه،" قلت." هكذا إذاً!"

مشيت في الغرفة.

" ومن تظنين نفسك بحق الجحيم؟"

" إنها سخيفة. كان عليَّ أن أضحك. لقد تجاوزت معظمها. حتى أني لم أقرأ ثلاثة ألواح منها."

هززت قبضتي أمام أنفها.

" وكيف تحبين أن أحطم وجهك حتى ينزف، أيتها الرخيصة الهاذية؟"

" إنها مغرورة. كل تلك الكلمات الكبيرة!"

انتزعت الأوراق منها.

" أيتها الكاثوليكية الجاهلة! أيتها المراقبة القذرة! أنت مقرفة، مثيرة للغثيان، عازبة فظة باردة!"

بلل بصاقي وجهها وشعرها. تحرك منديلها على عنقها ودفعتني جانباً. ابتسمت.

" لمَ لمْ يقتل بطلك نفسه في الصفحة الأولى بدلاً من الأخيرة؟ كان ذلك ليجعلها قصة أفضل بكثير."

أمسكت بها من حنجرتها.

" كوني حذرة جداً، مما تقولين، أيتها المومس الكاثوليكية. أحذرك-كوني حذرة للغاية".

حررت نفسها وخمشت ذراعي.

" إنه أسوأ كتاب قرأته على الإطلاق".

أمسكت بها ثانية. قفزت عن الكرسي وناضلت بوحشية، تخمش وجهي بأظافرها. تراجعت وأنا أصرخ مع كل خطوة.

" أيتها المتظاهرة بالورع، الراهبة المثيرة للغثيان، راهبة عاهرة مصابة، مقززة قردة حقيرة سخيفة، وريثة للكاثوليكية الزائفة".

كان هناك مزهرية موضوعة على الطاولة. تفحصتها، ومشت نحو الطاولة والتقطتها. لعبت بها بين يديها، تلاطفها، تبتسم، وتروز وزنها، ثم تبتسم لي مهددة. ثم وازنتها على كتفها، جاهزة لضرب رأسي بها.

"ها!" قلت." هذا صحيح! ارمها!"

تجردت من قميصي، تطايرت الأزرار في كل مكان، وفتحت صدري العاري. قفزت على ركبتي أمامها، صدري بارز. ضربت صدري، وطرقته

بكلتا قبضتي إلى أن إحمر ولسعني.

" اضربي!" صرخت." دعيني أنلها! استأنفي محاكم التفتيش. اقتليني! اقتلي أخاك. دعي هذه الأراضي تحمر بالدم النقي الغني لعبقري تجاسر!"

" أيها الأحمق. لا يمكنك الكتابة. لا يمكنك الكتابة على الإطلاق".

" أيتها الوقحة! أيتها الراهبة الوقحة من بطن مومس كاثوليكية".

ابتسمت بشدة.

" سمني ما شئت. لكن أبقِ يديك بعيداً عني".

"ضعي تلك المزهرية".

فكرت للحظة، تململت، ووضعتها. نهضت من وضع الجثو. تجاهل واحدنا الآخر. كان كما لو أن شيئاً لم يحدث. راحت تلتقط أزرار قميصي عن البساط. جلست لحين، لا أفعل شيئاً سوى الجلوس والتفكير فيما قالته عن الكتاب. دخلَت إلى غرفة النوم. سمعت حفيف مشط يمر في شعرها.

" ما كانت مشكلة القصة؟" سألت.

" إنها سخيفة. لم أحبها".

" لمَ لا؟"

" لأنها كانت سخيفة".

" اللعنة! انقديها! لا تقولي إنها سخيفة! انقديها! ما مشكلتها؟ لم هي سخيفة؟"

جاءت إلى الباب.

" لأنها سخيفة. هذا كل ما يمكنني قوله عنها".

دفعتها نحو الجدار. كنت ساخطاً. ثبت ذراعيها أمامها، واحتجزتها بساقي بإحكام، وحملقت في وجهها. كانت صامتة وغاضبة.اصطكت أسنانها بعجز، شحب وجهها وأصبح مبقعاً. لكن الآن وأنا أمسك بها، كنت خائفاً من إفلاتها. لم أنس سكين الجزار.

"إنه أكثر الكتب التي قرأتها جنوناً!" صرخت." الأشنع، الأكثر خسة، الأكثر جنوناً، أكثر كتاب مضحك في العالم! كان سيئاً جداً ولم أتمكن من قراءته".

قررت أن أكون لا مبالياً. حررتها ونقفت أصابعي تحت أنفها.

" هراء! هذا من أجلك. رأيك لا يزعجني أدنى إزعاج".

مشيت إلى منتصف الغرفة. وقفت هناك وتحدثت إلى الجدران الفسيحة.

"لا يمكنهم مسنا. لا-لا يمكنهم! لقد هزمنا الكنيسة. دانتي، كوبرنيكوس، جاليليو، والآن أنا-آرتورو بانديني، ابن بنَّاء بسيط. نحن نمضي ونواصل المضي. نعلوهم. لقد تجاوزنا جنتهم السخيفة أيضاً".

فركت ذراعيها المكدومتين. مشيت نحوها ورفعت يدي نحو السقف.

"يمكنهم شنقنا، وإحراقنا، لكننا نمضي-نحن-القائلين نعم، المنبوذين، الخالدين، القائلين نعم حتى آخر الزمن".

قبل أن أتمكن من الانحناء التقطت المزهرية ورمتها. كان مرماها مثالياً من مثل هذه المسافة القريبة. أصابتني المزهرية تماماً وأنا أدير رأسي. ضربتني خلف أذني وتحطمت. للحظة فكرت في أن جمجمتي تهشمت. لكنها كانت مزهرية صغيرة، ورقيقة. تلمست باحثاً عن الدم عبثاً. تكسرت دون أن تخدشني. تناثرت القطع الرنانة حول الغرفة. ما من أثر واحد للدم، وبالكاد سقطت شعرة من رأسي.

معجزة!

التفت هادئاً وغير متأذ. وإصبعي نحو السقف وتحدثت مثل واحد من الحواريين.

" حتى لو كان الرب في صفك. أقول لك، حتى عندما يكسرون المزهريات فوق رؤوسنا، لم تؤذنا، ولم تحطم رؤوسنا".

كانت مسرورة لأني لم أجرح. ضاحكة، ذهبت إلى غرفة النوم. تمددت على السرير وسمعت ضحكها المتواصل. وقفت في الباب وراقبتها تطوي وسادة بابتهاج.

" اضحكي،" قلت." هيا. لأني حقاً أقول لك، من يضحك أخيراً يضحك كثيراً، وأيضاً يجب أن أقول، نعم ثانية وثانية، هكذا تكلم زرادشت".

الفصل الثالث والعشرون

جاءت أمي إلى البيت، تطوي الرزم بين ذراعيها. قفزت عن الأريكة وتبعتها إلى المطبخ. وضعت الرزم وناظرتني. كانت مقطوعة الأنفاس، وجهها أحمر من خفقان الدم، لأن صعود الدرج كان يتعبها دوماً.

"هل قرأت القصة؟"

" نعم، بالتأكيد."قالت لاهثة.

أخذتها من أكتافها أمسك بهما بشدة.

" لقد كانت قصة عظيمة-أليس كذلك؟ أجيبي بسرعة!"

شبكت يديها، تأرجحت، وأغلقت عينيها.

"بالتأكيد!"

لم أصدقها.

" لا تكذبي علي، أرجوك. أنت تعرفين تمام المعرفة بأني أكره كل أنواع التظاهر. أنا لست زائفاً. أنا أريد الحقيقة دوماً".

حينئذٍ نهضت مونا، جاءت ووقفت في الباب. استندت ويداها من خلفها وابتسمت ابتسامة الموناليزا.

" قولي ذلك لمونا"، قلت.

التفتت أمي نحو مونا.

" قرأتها-ألم أفعل يا مونا؟"

لم يتغير تعبير مونا.

"انظر!" قالت أمي بانتصار." مونا تعرف أنني قرأتها، أليس كذلك يا مونا؟"

التفتت نحو مونا ثانية.

" قلت إنها أعجبتني، ألم أقل؟"

لم يتغير التعبير على وجه مونا.

" انظر! مونا تعلم أنهاأعجبتني-أليس كذلك يا مونا؟"

بدأت أضرب صدري.

" يا إلهي!" صرخت." تحدثي إلي! أنا! أنا! أنا! وليس إلى مونا! أنا! أنا! أنا!"

ارتفعت يدا أمي في يأس. كانت مجهدة إلى حد ما. لم تكن واثقة من نفسها تماماً.

" لكني قلت لك للتو إنني وجدتها رائعة!"

" لا تكذبي علي. غير مسموح بالخداع".

تنهدت وكررت ذلك بإصرار ثانية.

" رائع. للمرة الثالثة أقول إنها رائعة. رائعة".

" كفي عن الكذب".

انخفضت عيناها وتقلبتا. أرادت أن تصرخ وتبكي. ضغطت صدغيها وحاولت أن تجد بطريقة أخرى لتعبر عن رأيها.

" إذاً ماذا تريدني أن أقول؟"

" أريد الحقيقة، من فضلك. فقط الحقيقة".

" حسناً إذاً. الحقيقة هي أنها رائعة".

" كفي عن الكذب. أقل ما يمكن أن أتوقعه من المرأة التي منحتني الحياة شبه قليل بالحقيقة".

ضغطت يدي وقربت وجهها من وجهي.

" آرتورو،" تضرعت." أقسم بأني أحببتها. أقسم".

وقد عنت ذلك.

الآن كان يوجد شيء ما أخيراً. كانت هنا امرأة فهمتني. هنا أمامي، هذه المرأة، أمي. فهمتني. دم دمي، عظم عظامي، قدَّرت نثري. وقفت أمام العالم لتعلن بأنه رائع. كانت هنا امرأة للعصور، وامرأة محبة للجمال بكل سبلها العادية، ناقدة بالسليقة.استكان شيء في داخلي.

" أمي الصغيرة،" همست." أمي الصغيرة العزيزة. أمي الغالية العزيزة الحلوة. أحبك كثيراً. الحياة قاسية عليك للغاية، يا أمي الغالية العزيزة".

قبلتها، وتذوقت بشرة عنقها المالحة. بدت متعبة للغاية، مكدودة. أين العدالة في هذا العالم، حتى تفرض على هذه المرأة أن تعاني دون أن تتذمر؟ ألا يوجد إله في السماء قرر ووجدها ملكاً له؟ يجب أن يكون! لا بد من أن يكون!

" أمي العزيزة الصغيرة. أنا ماض لأهدي كتابي إليك. إليك-أمي. إلى أمي، في إعجاب شكور. إلى أمي، دونها لكان هذا العمل مستحيلاً. إلى أمي، في إعجاب شكور من ابن لن ينسى".

بصيحة التفتت مونا وعادت إلى غرفة النوم.

" اضحكي!" صرخت." اضحكي أيتها المغفلة!" " أمي العزيزة الصغيرة،" قلت." أمي العزيزة الصغيرة." " اضحكي!" قلت." أنت غبية عنيفة! اضحكي!" " أمي العزيزة الصغيرة. لك: أمي: قبلة!" وقبلتها.

" البطل جعلني أفكر فيك،" ابتسمت." أمي العزيزة الصغيرة".

سعلت، ترددت. كان شيء ما يزعجها. كانت تحاول أن تقول شيئاً.

" الأمر الوحيد هو، هل كان على بطلك أن يمارس الحب مع تلك المرأة السوداء؟ تلك المرأة من جنوب إفريقيا؟"

ضحكت وعانقتها. هذا كان مسلياً حقاً. قبلتها وربت على خدها. كانت مثل طفل صغير، مثل رضيع صغير جداً.

" أمي الصغيرة العزيزة. أرى أن للكتابة أثراً عميقاً عليك. لقد أثارتك حتى حدود روحك النقية، يا أمي العزيزة الصغيرة".

" لم أحب تلك الفتاة الصينية أيضاً." " يا أمي العزيزة الصغيرة. يا أمي الطفلة." " ولم أحب تلك العلاقة مع المرأة من الاسكيمو. أعتقد أنه كان مريعاً. لقد أثار غثياني". هززت إصبعي في وجهها.

" الآن، الآن. دعينا نستبعد التزمت هنا. دعينا من الاحتشام المتطرف. دعينا نحاول أن نكون منطقيين وفلسفيين".

قضمت شفتها وقطبت. كان هناك شيء آخر يقضم داخل رأسها. فكرت للحظة ثم نظرت بوضوح في عيني. عرفت المشكلة: كانت خائفة أن تشير إليها، أياً كانت.

" حسناً،" قلت." تحدثي. بصراحة. ماذا أيضاً؟"

"المكان الذي نام فيه مع فتيات الكورس. لم أحب ذلك أيضاً. عشرون فتاة كورس! خلت أن هذا كان رهيباً. لم أحبه على الإطلاق".

" لمَ لا؟"

" لا أظن بأنه وجب عليه أن ينام مع الكثير من النساء".

" أوه لا تحبين؟ ولمَ لا؟"

" لا أحب وفقط-هذا كل شيء".

"لمَ لا؟ لا تحومي حول الموضوع. قولي رأيك، إذا كان لديك رأي. وإلا اسكتي. يا للنساء!"

" كان يجب أن يجد فتاة كاثوليكية صغيرة طاهرة، ويستقر ويتزوجها".

إذاً هذا هو! أخيراً ظهرت الحقيقة. أمسكتها من كتفيها ودومتها حتى صار وجهي قريباً من وجهها، عيناي في مستوى عينيها.

" انظري إلي،" قلت." أنت اعترفت بأنك أمي. حسناً، انظري إلي! هل أبدو مثل شخص قد يبيع روحه للثروة وحسب؟ هل تظنين بأني أعطي اهتماماً للرأي العام وحسب؟ أجيبي!"

تراجعت.

ضربت صدري بعنف.

"أجيبيني! لا تقفي هناك مثل امرأة، بلهاء، كاثوليكية برجوازية مراقبة محاطة بالقذارة. أنا أطلب جواباً!"

ازدادت جرأة الآن.

" كان البطل قذراً. ارتكب الزنى في كل صفحة تقريباً. نساء، نساء،

نساء! كان نجساً منذ البداية. لقد أشعرني بالغثيان".

" ها!" قلت." أخيراً انكشفت! أخيراً تنبثق الحقيقة المريعة! البابوية تعود! العقل الكاثوليكي ثانية! بابا روما يلوح بعلمه البذيء".

مشيت إلى غرفة الجلوس وخاطبت الباب." هاكم كل شيء. لغز الكون. إعادة تقويم الفضائل المعاد تقويمها أصلاً. الكاثوليكية. ريدنيكري[1]. البابوية. المومس الكاثوليكية في كل رعبها الصارخ! ضحية. نعم-حقاً أقول إنه إن لم تصبحوا مدخرين ستصبحون من الملاعين! هكذا تكلم زرادشت!"

1- شخص من جنوب آميركا.

الفصل الرابع والعشرون

بعد العشاء جلبت المخطوط إلى المطبخ. فردت الأوراق على الطاولة وأشعلت سيجارة.

" الآن سنرى مدى سخفها".

وعندما بدأت أقرأ سمعت مونا تغني.

"اصمتي!"

جلست مرتاحاً وقرأت أول بضعة أسطر. عندما خلصت مع ذلك القدر رميت الكتاب مثل أفعى ميتة ونهضت من الطاولة. مشيت حول المطبخ. مستحيل! لا يمكن أن يكون صحيحاً!

" هناك خطب ما هنا. الحر شديد. لا يناسبني. أحتاج إلى غرفة مفعمة بهواء نقي".

فتحت النافذة وتطلعت لبرهة. كان الكتاب ملقى خلفي. حسناً-عد واقرأه، بانديني. لا تقف إلى النافذة. الكتاب ليس هنا، إنه في الخلف هناك، خلفك على الطاولة. عد واقرأه.

أطبقت فمي بشدة وجلست وقرأت خمسة أسطر أخرى. اندفع الدم إلى وجهي. حرث قلبي مثل عجلة.

" هذا غريب، غريب جداً حقاً".

تناهى إلي صوت مونا من غرفة الجلوس. كانت تغني. ترنيمة. يا رب، ترنيمة في مثل هذا الوقت. فتحت الباب وأخرجت رأسي.

" كفي عن هذا الغناء أو سأريك شيئاً سخيفاً حقاً".

" سأغني عندما أرغب في الغناء".

" لا ترانيم. أمنع الترانيم".

" وسأغني الترانيم أيضاً".

" غني ترنيمة وموتي. افعلي ما تشائين".

" من مات؟" قالت أمي.

" لا أحد،" قلت." لم يمت أحد بعد".

عدت إلى الكتاب. عشرة أسطر أخرى. قفزت وقضمت أظافري. نتشت إهاب إبهامي. ومض الألم. مغلقاً عيني، استوليت على الجلدة بين أسناني وقطعتها. ظهرت بقعة صغيرة من الدم الأحمر تحت الظفر.

" انزف! انزف حتى الموت!"

التصقت ملابسي بي. كرهت ذلك المطبخ. راقبت عند النافذة جريان حركة المرور في جادة آفالون. لم يسبق أن سمعت مثل هذه الضجة. لم أتألم يوماً كما تألمتمن إبهامي. ألم وضجيج. كانت جميع الأبواق في العالم تدوي في ذلك الشارع. كان الصخب يقودني نحو الجنون. لم أستطع العيش في مكان مثل هذا والكتابة. أزمن الطابق السفلي صوت صنبور الحمام. من كان يستحم في هذه الساعة؟ أي عفريت؟ ربما كانت أنابيب المياه معطلة. هرعت عبر الشقة نحو حمامنا وفتحت الماء. عملت بشكل صحيح-لكنها كانت صاخبة، صاخبة جداً واستغربت كيف أني لم ألاحظها من قبل.

" ما المشكلة؟" قالت أمي.

" هناك ضجة كبيرة هنا. لا يمكنني أن أبدع في هذه الجلبة. أقول لك إني تعبت من مستشفى المجانين هذا".

" أظن أنه هادئ جداً الليلة".

" لا تعارضيني -أيتها المرأة".

عدت إلى المطبخ. هذا كان مكان تستحيل فيه للكتابة. لا عجب. لا عجب-ماذا؟ حسناً، لا عجب أنه كان مكاناً مستحيلاً للكتابة. لا عجب؟ عم تتحدث؟ لا عجب-ماذا؟ كان هذا المطبخ ضرراً. هذا الحي كان ضرراً. كانت هذه البلدة ضرراً. مصصت جرح الإبهام النابض. كان الألم يمزقني مزقاً. سمعت أمي تتحدث إلى مونا.

" ما مشكلته الآن؟"

" إنه أحمق،" قالت مونا.

هرعت إلى الغرفة.

" سمعتك!" صرخت." وأحذرك أن تسكتي! سأريك من هو السخيف هنا".

" لم أقل إنك سخيف،" قالت مونا. " قلت إن قصتك سخيفة. وليس أنت." ابتسمت." قلت إنك أحمق. وقلت إن كتابك سخيف."

" احذري! ليكن الله شاهداً علي، أحذرك".

" ما مشكلتكما؟" قالت أمي.

" هي تعلم،" قلت." اسأليها".

لململت أطراف شجاعتي إزاء المصاب، صررت على أسناني وعدت إلى الكتاب. وضعت الصفحة أمامي، وأغلقت عيني. كنت خائفاً من قراءة السطور. ما من كتابة يمكن أن تنجز في هذا المصح. ما من أدب يمكن أن ينبثق من فوضى الحماقة هذه. يتطلب النثر الجميل هدوءاً، أجواء مسالمة. ربما حتى موسيقى ناعمة. لا عجب! لا عجب!

فتحت عيني وحاولت قراءتها. لا فائدة. لا يفيد. لم أستطع قراءتها. حاولت جهاراً. لا فائدة. لم يكن هذا الكتاب جيداً. كان مضجراً بشكل من الأشكال، كان فيه الكثير من الكلمات. مملاً بطريقة ما. كان كتاباً جيداً جداً. لقد فشل. كان سيئاً حقاً. كان سيئاً تماماً. كان أسوأ من ذلك. كان كتاباً رديئاً. كتاباً منتناً. كان كتاباً ملعوناً للغاية. كان مضحكاً، سخيفاً، أوه إنه سخيف، سخيف، سخيف. عار عليك، أيها الشيء السخيف القديم، كتابة شيء بهذا السخف. مونا على حق. إنه سخيف. كله بسبب النساء اللاتي سممن عقلي. يمكنني أن أشعر بقدومه-جنون تام. كتابة ممسوس. جنون ها! انظر! إنه مجنون! انظر إليه! أحد المخادعين! تماماً، جنون هاذ. لقد أصبح هكذا بسبب الكثير من النساء السريات، سيدي. أشعر بأسف مريع عليه. حالة تدعو للرثاء، سيدي. كان ولداً كاثوليكياً صالحاً. ذهب إلى الكنيسة وكل هذه الأمور، كان مخلصاً جداً، سيدي. ولد نموذجي. متعلم على أيدي الراهبات، كان شاباً ممتازاً. الآن حالة تدعو للشفقة، سيدي. مؤثرة للغاية. تغير فجأة. نعم-حدث شيء ما للفتى. انحرف بعد وفاة والده، وانظر ما الذي حدث. كان لديه أفكار. كل تلك النساء الزائفات. كان هناك دوماً لوثة من الجنون في الولد، لكنه ولع بهؤلاء الزائفات فأظهرنه. كنت أرى الولد هنا يمشي وحيداً. عاش مع أمه وأخته في منزل الجص ذاك مقابل المدرسة. كان يدخل إلى محل جيم كثيراً. اسأل جيم عنه. جيم عرفه جيداً.

عمل في مصنع التعليب. عمل كثيراً من الأعمال هنا. ولم يتمكن من المحافظة على أي منها-ضال للغاية.

مخادع فاسد، معتوه. معتوه، أقول لك، معتوه تماماً. نعم-الكثير من النساء، النوع الخاطئ. لا بد من أنك سمعت حديث القرد. مثل مختل. ألعن كاذب في مقاطعة لوس أنجلس. مهلوس. يعاني من جنون العظمة. تهديد للمجتمع. تبع النساء في الشوارع. كان يجن على الذباب ويأكله. النساء فعلن هذا. قتل الكثير من السرطانات أيضاً. قتلها كل أصيل. إنه معتوه تماماً. أكثر الرجال جنوناً في مقاطعة لوس أنجلس. مسرور لأنهم احتجزوه. أنت تقول إنهم وجدوه يتجول عند الأرصفة فاقد الوعي؟ حسناً-هذا هو. ربما يبحث عن المزيد من السرطانات ليقتلها. خطر، أقول لك. يجب أن يكون خلف القضبان. وجب التحري فيها بحرص شديد. أبقه هناك بقية حياته. يشعر بالأمان مع المعاتيه في مستشفى المجانين حيث يناسبه المكان. حالة محزنة مع ذلك. أسف رهيب على أمه وأخته. تصليان من أجله كل ليلة. هل يمكنك أن تتخيل ذلك؟ نعم! ربما هما مجنونتان أيضاً.

رميت نفسي على الطاولة وبدأت البكاء. أردت أن أصلي ثانية. أردت أن أتلو الصلوات أكثر من أي شيء في العالم.

ها! المعتوه يريد أن يصلي!

مجنون يصلي! ربما هي خلفيته الدينية. ربما كان متديناً جداً عندما كان طفلاً. أمر مسل في هذا الرجل. مضحك للغاية. قضمت براجمي. خمشت الطاولة. وجدت أسناني طريقها إلى إهاب الإبهام الوامض. قضمت. انتشرت أوراق الكتابة من حولي على الطاولة. يا له من كاتب! كتاب عن مسامك كاليفورنيا! كتاب عن غثيان كاليفورنيا!

ضحك.

سمعتهما في الغرفة المجاورة، أمي ومونا. كانتا تتحدثان عن النقود. كانت أمي تشتكي بمرارة. كانت تقول إننا لن نأخذ مرتبي من معمل التعليب أبداً. كانت تقول إننا سنذهب جميعاً لنعيش في منزل خالي فرانك. لسوف يعتني بنا جيداً. عرفت مصدر هذا النوع من الأحاديث. كلمات الخال فرانك. كان يتحدث لأمي ثانية. عرفت. وعرفت أنها لم تكن تكرر كل ما قاله حقاً: بأني تافه ولا يمكن الاعتماد علي، وأن عليها دوماً أن تتوقع الأسوأ مني. وكانت أمي تقود الحديث ومونا لا تجيب. لَلم تجبها مونا؟ لمَ على مونا أن تكون فظة للغاية؟ قاسية للغاية؟

قفزت ودخلت.

" أجيبي أمك عندما تخاطبك!"

هلع مونا حالما رأتني. كانت المرة الأولى التي أرى فيها نظرة الخوف تلك في عينيها. وثبت فجأة. كان ما أردته دوماً. تقدمت نحوها.

قالت،" احترس!"

كانت تحبس أنفاسها، وتضغط نفسها على الكرسي.

" آرتورو!" قالت أمي.

دخلت مونا إلى غرفة النوم وصفقت الباب. ودفعت بثقلها على الجانب الآخر. نادت أمي لتبعدني. باندفاعة قوية فتحت الباب. استندت مونا على السرير، وتراجعت متعثرة لتقع عليه. كانت تلهث.

" كن حذراًا!"

" أيتها الراهبة!"

" آرتورو!" قالت أمي.

" أيتها الراهبة! إذاً كان سخيفاً، أليس كذلك؟ وأثار ضحكك، ألم يفعل؟ إذاً كان أسوأ كتاب قرأته في حياتك، ألم يكن؟"

رفعت قبضتي ولوحت. ضربتها على فمها. أمسكت شفتيها وارتمت بين الوسائد. جاءت أمي تصرخ. رشح الدم من بين أصابع مونا.

" إذاً ضحكت بسببه، ألم تفعلي؟ تهكمت! على عمل عبقري. أنت! على آرتورو بانديني! الآن بانديني يرد الضربات. يضرب باسم الحرية!"

غطتها أمي بذراعيها وجسدها. حاولت أن أسحب أمي بعيداً. تخلصت مني مثل قطة.

" اخرج!" قالت.

اختطفت سترتي وغادرت. كانت أمي تثرثر هناك. ومونا تتأوه. شعرت بأني لن أراهما ثانية وكنت مسروراً.

الفصل الخامس والعشرون

في الشارع لم أدر إلى أين أذهب. كان للبلدة اتجاهين جديرين بالاهتمام: شرقاً وغرباً. في الشرق تقع لوس أنجلس. والبحر على بعد نصف ميل غرباً. سلكت اتجاه البحر. كان البرد قارساً تلك الليلة الصائفة. والضباب قد بدأ يظهر فجأة. دفعته الريح في شتى الاتجاهات، شرائط بيضاء هائلة زاحفة. سمعت في القناة خوار صفارات الإنذار بالضباب مثل حمولة من العجول. أشعلت سيجارة. كان دم مونا على براجمي. مسحته بساق بنطالي. لم يزُل. رفعت قبضتي حتى ببللها الضباب بقبلة باردة. ثم مسحته ثانية. لكنه لم ينمح. ثم مسحت براجمي بالقذارة عند حافة الرصيف حتى اختفى الدم، لكني مزقت جلد براجمي بفعلي هذا، والآن كان دمي يتدفق.

" جيد.انزف-أنت.انزف!"

عبرت ملعب المدرسة وهبطت جادة آفالون، أحث الخطى. إلى أين أنت ذاهب آرتورو؟ كانت السيجارة كريهة، مثل لقمة من الشعر. بصقتها أمامي، ثم دهستها ملياً بكعبي. نظرت نحوها من فوق كتفي. كنت مذهولاً. لا تزال مشتعلة، يتموج دخان شاحب في الضباب. اجتزت شارعاً، أفكر في تلك السيجارة. لا تزال حية. آلمني أنها لا تزال مشتعلة. لمَ عليها أن تظل مشتعلة؟ لمَ لمْ تنطفئ؟ ربما نذير شؤم. لمَ عليَّ أن أحرم تلك السيجارة من الدخول عالم أرواح السجائر؟ لم أدعها تحترق وتتعذب بشكل بائس للغاية؟ هل بلغت هذا الحد؟ هل كنت وحشاً مريعاً للغاية كي أحرم تلك السيجارة

موتها المحق؟

عدت مسرعاً.

وكانت هناك.

دهستها حتى أصبحت كتلة بنية.

" وداعاً عزيزتي السيجارة. سنلتقي ثانية في الجنة".

ثم تابعت المسير. لعقني الضباب بألسنته العديدة الباردة. زررت سترتي الجلدية، جميع الأزرار ما عدا الزر الأخير.

لِمَ لا أزرر الزر الأخير أيضاً؟

هذا ضايقني. هل عليّ أن أزرره، أو أتركه غير مزرر، أضحوكة عالم الأزرار، زر عديم الفائدة؟

سأدعه غير مزرر.

لا، سوف أزرره.

نعم، سوف أفكه.

لم أفعل لا هذا ولا ذاك. وبدلاً من ذلك استحضرت قراراً هاماً. نزعت الزر من ياقتي ورميته في الشارع.

" أنا آسف أيها الزر. كنا أصدقاء لوقت طويل. كثيراً ما لمستك بأصابعي، ولقد صنت دفئي في الليالي الباردة. سامحني على ما فعلته. سنلتقي في الجنة".

توقفت عند المصرف ورأيت خدوش أعواد الثقاب على الجدار. موطن إهمال خدوش أعواد الثقاب، عقوبتهم الأرضية لكونهم بلا أرواح. فقط خدش عود ثقاب واحد هنا يملك روحاً-فقط واحد، الخدش الذي صنعته

المرأة ذات المعطف الأرجواني. هل عليَّ أن أتوقف وأزوره؟ أو أواصل السير؟

سأتوقف.

لا، سأواصل.

نعم سأفعل.

لا لن أفعل.

نعم ولا.

نعم ولا.

توقفت.

وجدت خدش عود الثقاب الذي صنعته المرأة ذات المعطف الأرجواني. كم كان جميلاً! يا لها من براعة في ذلك الخدش!يا له من تعبير! أشعلت عود ثقاب، خدش ثقيل طويل. ثم دفعت الطرف الكبريتي المحترق في الخدش الذي صنعته. تشبث بالجدار، عالقاً به.

" أنا أستدرجك. أحبك، وأقدم لك حبي جهاراً. كم أنت محظوظ!"

علق هناك، عند علامتها الفنية. ثم وقع، الكبريت المشتعل يبرد. تابعت المسير، بخطوات عسكرية قوية، فاتح اغتصب الروح النادرة لخدش عود ثقاب. لكن لمَ كان على العود أن يبرد ويقع؟ لقد أزعجني. أصبت بالذعر. لمَ كان على هذا أن يحدث؟ ماذا فعلت لأستحق هذا؟ كنت بانديني-الكاتب. لمَ خيبني العود؟هرعت عائداً غاضباً. وجدت العود حيث وقع على الرصيف، ممدداً هناك بارداً وميتاً ليراه العالم أجمع. التقطته.

" لماذا وقعت؟ لماذا تتخلى عني ساعة نصري؟ أنا آرتورو بانديني-

الكاتب العظيم. ماذا فعلت بي؟" لا جواب.

" تكلم! طلبت شرحاً". لا جواب.

" حسن جداً. ليس لدي خيار آخر. لا بد من أن أدمرك." نترته نصفين ورميته في الميزاب. استقر قرب عود آخر، الآخر لم يكن مكسوراً، عود وسيم للغاية ورشة من كبريت أزرق حول عنقه، عود ثقاب عالمي جداً ومعقد. وهناك تمدد عودي، مهاناً، كسيراً.

" أنت تحرجني. الآن عليك أن تعاني حقاً. أدعك لسخرية مملكة الأعواد. الآن جميع الأعواد ستراك وتتهكم عليك. لذا كن كذلك. بانديني يتكلم. بانديني، سيد القلم الجليل.

لكن بعد نصف شارع بدا ذلك غاشماً على نحو رهيب. ذلك العود المسكين! ذلك الرفيق المحزن! هذا كله لم يكن ضرورياً. لقد بذل أفضل ما في وسعه. عرفت كم كان شعوره سيئاً. عدت وأمسكت به. وضعته في فمي ومضغته حتى اللب.

الآن سوف لن تتعرف عليه جميع الأعواد الأخرى. بصقته على يدي. وهناك كان، مكسوراً ومهروساً، في حالة تفسخ. ممتاز! رائع! أعجوبة الرفض. بانديني، أهنئك! لقد صنعت معجزة هنا. لقد سرعت القوانين الخالدة وعجلت العودة إلى المصدر. جيد، بانديني! عمل رائع. فحل. إله حقيقي، إنسان متفوق جبار، سيد الحياة والأحرف.

مررت بقاعة آكمي للعب البلياردو، بالقرب من متجر الأشياء المستعملة. الليلة كان المتجر مفتوحاً. والنافذة كما كانت تلك الليلة منذ ثلاثة أسابيع، عندما استرقت النظر من خلالها، المرأة ذات المعطف الأرجواني. وهناك كانت اللافتة: أعلى الأسعار مدفوعة للذهب القديم.

كل هذا من تلك الليلة التي مضى عليها وقت طويل، عندما هزمت جوتش في سباق النصف ميل وحققت النصر لأمريكا بشكل مجيد للغاية. وأين هو جوتش الآن، سيلفستر جوتش، ذلك الهولندي الجبار؟ عزيزي الكبير جوتش! سيمر وقت طويل قبل أن تنسى بانديني. كان عداء عظيماً، مساوياً لبانديني تقريباً. أي حكايات سيرويها لأحفاده! عندما نلتقي ثانية في أرض أخرى قد نتحدث عن الأزمنة الغابرة، أنا وجوتش. لكن أين هو الآن، ذلك الشريط من الوميض الهولندي؟ لا بد من أنه عاد إلى هولندا، يزجي وقته مع طواحين الهواء والتوليب والأحذية الخشبية، ذلك الرجل الجبار، المساوي لبانديني تقريباً، ينتظر الموت بين الذكريات الحلوة، ينتظر بانديني.

لكن أين هي -امرأتي من تلك الليلة الزاهية؟ آه أيها الضباب، قدني إليها. لدي الكثير لأنساه. اجعلني شبيهاً بك، ماءً عائماً، مبهماً كالروح، واحملني إلى ذراعي المرأة ذات الوجه الأبيض. أعلى الأسعار للذهب القديم.

مضت تلك الكلمات عميقاً في عينيها، في أوردتها، في عقلها، في سواد عقلها خلف ذلك الوجه الأبيض. لقد تركت جرحاً بليغاً هناك، ذكرى من شريط عود ثقاب، نوراً ستحمله إلى القبر، انطباعاً. رائع، رائع بانديني، كم هي نظرتك عميقة! كم هو غامض دنوك من الألوهية. يا لها من كلمات، كلمات جميلة، جمال اللغة، عميقاً في معبد عقلها.

وأراك الآن، يا امرأة تلك الليلة- أراك في طهارة غرفة نوم قذرة في فندق رخيص في المرفأ ، والسديم في الخارج، وأنت تستلقين وساقاك مسترخيتان وباردتان من قبلات الضباب المميتة، وتفوح من شعرك رائحة الدم، حلوة كالدم، جوربك المهترئ والمفتوق متدل على كرسي متهالك تحت ضوء أصفر بارد لمصباح وحيد ملوث، رائحة الغبار والجلد الرطب تدوم في

المكان، حذاؤك الأزرق الرث يتعثر بحزن على جانب السرير، وجهك مغضن بالبؤس المرهق والفاقة المنهكة، شفتاك لبغي، ومع ذلك زرقاء ناعمة جميلة تناديني كي آتي إلى تلك الغرفة البائسة لأولم نفسي على النشوة الفاسدة لهيئتك، فلربما أعطيك جمالاً ملوياً للبؤس وجمالاً ملوياً للرخص، جمالي ملك لك، يظلم الضوء ونحن نصرخ، حبنا البائس ووداعاً لوميض الفجر الرمادي المتعرج الذي رفض أن يبدأ حقاً ولن تكون له نهاية حقيقية.

أعلى الأسعار مدفوعة للذهب القديم.

فكرة! حل لجميع مشاكلي. هرب آرتورو بانديني.

دخلت

" إلى أي وقت تفتحون؟"

لم يرفع اليهودي بصره عن حساباته خلف السلك.

" بعد ساعة".

" سأعود".

عندما وصلت إلى البيت كانوا قد ذهبوا. كان هناك ملحوظة غير موقعة على الطاولة. كتبتها أمي.

لقد ذهبنا إلى منزل الخال فرانك لقضاء الليلة. تعال إلى هناك.

كان مفرش السرير منزوعاً، وكذلك غطاء إحدى الوسائد. مكومين على الأرض، مبقعين بالدم. كان على طاولة الزينة ضمادات وزجاجة مطهر زرقاء اللون. وضع حوض ماء مخضب باللون الأحمر على الكرسي. كان بجانبه خاتم أمي. وضعته في جيبي.

سحبت الصندوق من تحت السرير. كان يحتوي على كثير من الأشياء،

تذكارات من طفولتنا كانت أمي قد خبأتها بعناية. رفعتها واحداً تلو الآخر. وداع عاطفي، نظرة بانديني إلى الأشياء الماضية قبل الهرب. خصلة شعر أشقر في كتاب صغير للصلوات أبيض اللون: كان شعري عندما كنت طفلاً، كان كتاب الصلوات هدية في يوم مناولتي الأولى. قصاصات من صحيفة سان بيدرو عندما حصلت على الشهادة الابتدائية، قصاصات أخرى عندما غادرت المدرسة الثانوية. قصاصات تخص مونا. صورة من صحيفة لمونا في فستان مناولتها الأولى. صورتها وصورتي يوم سر التثبيت. صورتنا في أحد الفصح. صورتنا عندما غنينا في الكورس. صورتنا معاً في مأدبة الحبل بلا دنس. صفحة فيها كلمات من مباراة التهجئة عندما كنت في المدرسة الابتدائية، 100٪ فوق اسمي. قصاصات عن مسرحيات المدرسة. جميع بطاقات تقويمي المدرسي منذ البداية، وجميع بطاقات مونا. لم أكن ذكياً، لكني كنت أنجح دوماً. كان هناك واحدة: الحساب 70، التاريخ 80، الجغرافيا 70، التهجئة 80، التعليم الديني99، الإنجليزية 97. لم يكن هناك مشكلة في مادة التعليم الديني أو اللغة الإنجليزية بالنسبة إلى آرتوروبانديني. وهنا كانت إحدى بطاقات مونا: الحساب 96، التاريخ 95، الجغرافيا 97، التهجئة 94، التعليم الديني 90، اللغة الإنجليزية 90. يمكنها أن تهزمني في أشياء أخرى، لكن ليس في مادتي اللغة الإنجليزية والتعليم الديني. هذا ممتع جداً. حكاية عظيمة لكتاب سيرة آرتورو بانديني. أسوأ أعداء الرب يتفوق في مادة التعليم الديني على أفضل أصدقائه وكلاهما من نفس العائلة. سخرية عظيمة. يا لها من سيرة ذاتية ستكون! يا رب لو تكون حياً وتقرأها!وجدت في قاع الصندوق ما أردت. كانت مجوهرات العائلة ملفوفة في شال مزركش. خاتمان ذهبيان صلبان، ساعة ذهبية وسلسلة، مجموعة من أزرار أكمام ذهبية، طقم حلق ذهبي، بروش ذهبي، بعض المشابك الذهبية، جوهرة ذهبية، سلسلة ذهبية، بعض المتنوعات الذهبية-مجوهرات ابتاعها أبي أثناء حياته.

" كم سعرها؟" قلت.

رسم اليهودي على وجهه هيئة فظة.

" كلها خردة. لا يمكنني بيعها".

" كم سعرها مع ذلك؟ ماذا عن تلك اللافتة: أعلى الأسعار للذهب القديم؟"

" ربما مئة دولار، لكني لا أستطيع استعمالها. ليس فيها الكثير من الذهب. أغلبه طلاء".

"أعطني مئتي دولار ويمكنك الحصول عليها جميعاً".

ابتسم بمرارة، شحبت عيناه السوداوان بين جفنين كأجفان الضفادع.

" أبداً. ليس بمليون سنة".

" اجعلها مئة وخمسة وسبعين دولاراً".

دفع المجوهرات نحوي.

" خذها. لا أزيد على خمسين دولاراً سنتاً".

" اجعلها مئة وخمسة وسبعين".

اتفقنا على مئة وعشرة دولارات. ناولني الأوراق النقدية واحدة تلو الأخرى. كان أكبر مبلغ من المال أمسكه بيدي في حياتي. فكرت في أني سأنهار من مرآه. لكني لم أدعه يعرف.

" إنها سرقة"، قلت." أنت تسلبني".

" أنت تعني الحسنة. أنا عملياً أعطيك خمسين دولار".

"هائل"، قلت." مشين".

بعد خمس دقائق كنت في الشارع عند محل جيم. كان يلمع الكؤوس خلف النضد. كانت تحيته دوماً على حالها.

" مرحباً! وكيف هو العمل في المصنع؟ " جلست، وأخرجت لفة الأوراق وعددتها ثانية.

" لفيفة وفيرة حصلت عليها هناك،" ابتسم." بكم أدين لك؟" " عجباً- لا شيء".

" هل أنت واثق؟"

"لكنك لا تدين لي بسنت".

" أنا مغادر البلدة،" قلت." عائد إلى مركز القيادة. اعتقدت بأني أدين لك ببضعة دولارات. أنا أسدد جميع ديوني". كشر لمرأى النقود.

" أتمنى لو أنك تدين لي بنصف ذلك المال." " ليس كله لي. بعضه للحزب. نفقات السفر".

"أوه. تقيم حفلة وداع، ايه؟"

" ليس ذلك النوع من الحفلات. أقصد، الحزب الشيوعي." " هل تعني الروسي؟"

" سمه بذلك إذا شئت. أرسله المفوض ديمترييف. مال من أجل تسديد النفقات".

توسعت عيناه. صفر ووضع منشفته.

" هل أنت شيوعي[1] ؟" لفظها باللكنة الخاطئة، حتى أصبحت سجعاً

1- Communist و Tunis

مع كلمة تونس.

نهضت وذهبت إلى الباب ونظرت بحذر أعلى وأسفل الشارع. عائداً، أومأت نحو خلفية المتجر.

همست، " هل من أحد هناك؟ " هز رأسه. جلست. حدق واحدنا بالآخر بصمت. رطبت شفتي. نظر نحو الشارع وعاد نحوي ثانية. كانت عيناه تتلصصان دخولاً وخروجاً. نظفت حنجرتي.

" هل يمكنك أن تحفظ السر؟ أنت تبدو رجلاً جدير بالثقة. هل يمكنك؟ "

ابتلع ريقه بشدة، وانحنى للأمام.

" اهدأ، " قلت. " نعم أنا شيوعي ".

" روسي؟ "

" في المبدأ-نعم. أعطني شراب الملت[1] بالشوكولا ".

كان مثل خنجر صغير وخز جانحيه. كان خائفاً أن يبعد عينيه. حتى عندما التفت ليضع المشروب في الخلاط نظر من أعلى كتفه. قهقهت وأشعلت سيجارة.

" نحن لا نؤذي أبداً، " ضحكت. " نعم، تماماً ".

لم يقل كلمة.

شربت الملت ببطء، متوقفاً بين الحين والآخر لأقهقه. عامت ضحكة مطمئنة صغيرة مبتهجة من حنجرتي.

1- حبوب تنقع بالماء لصنع المشروبات الكحولية.

" لكن حقاً! نحن بشر تماماً. تماماً!"

راقبني مثل لص مصارف.

ضحكت ثانية، ضحكة يسيرة مترددة بهيجة.

" ديمتريف سيستمتع بهذا. سأخبره في تقريري التالي عنه. سيقهقه ديمترييف الكبير في لحيته السوداء. كم سيقهقه، ذلك الذئب الروسي الأسود! لكن حقاً-نحن لا نتسبب بالأذى أبداً-أبداً. أنا أؤكد لك، تماماً. لكن حقاً يا جيم. ألا تعرف؟ لكن حقاً-"

" لا أعرف".

رددت الصوت مرتعشاً ثانية

" لكن بالتأكيد! لكن بالتأكيد لا بد من أن تعرف".

نهضت وضحكت ضحكة بشرية للغاية.

" نعم-ديمترييف الكبير سيستمتع بهذا. وكم سيقهقه في لحيته السوداء، ذلك الذئب الروسي الأسود!"

وقفت أمام نصب المجلات.

" وماذا يقرأ البرجوازيون الليلة؟"

لم يقل شيئاً. امتدت عداوته المريرة مثل سلك مشدود بيننا، ولمع الكؤوس بحنق، واحداً تلو الآخر.

" أنت تدين لي بثمن الشراب،" قال. أعطيته ورقة بقيمة عشرة دولارات.

رنت آلة تسجيل النقد. سحب الفكة وضربها على النضد." هاك! أي شيء آخر؟" أخذت الجميع إلا ربعاً. ذلك كان بقشيشي المعتاد." نسيت

ربعاً،" قال." أوه لا!" ابتسمت." هذا لك-بقشيش." " لا أريده. احفظ مالك."

دونما كلمة، فقط مبتسماً بثقة، مفكراً، وضعته في جيبي.

" ديمتريف الكبير-كم سيقهقه ذلك الذئب الأسود." " هل تريد أي شيء آخر؟"

أخذت الأعداد الخمسة من مجلة فنانين وعارضات من على رفه. في اللحظة التي لمستها عرفت لماذا أتيت إلى محل جيم بالكثير من المال في جيبي.

" هذه، سآخذ هذه." انحنى على النضد. كم لديك هناك؟"

"خمسة".

"يمكنني أن أبيعك اثنتين فقط. وعدت شخصاً آخر بالباقي".

وعرفت بأنه يكذب.

" إذاً اثنتان، يا رفيق".

عندما خرجت إلى الشارع ثقبت عيناه ظهري. عبرت ملعب المدرسة. لم تكن النوافذ في شقتنا مضاءة. آه النساء ثانية. هنا يأتي بانديني مع نسائه. سيكن معي في ليلتي الأخيرة في هذه البلدة. فجأة شعرت بالكراهية القديمة.

لا. بانديني لن يستسلم. ليس مجدداً أبداً!

لففت المجلات ورميتها بعيداً. استقرت على الرصيف، تخفق في الضباب، تقف الصور القاتمة مثل زهور سوداء. ذهبت نحوها وتوقفت. لا، بانديني! الإنسان المتفوق لا يضعف. الرجل القوي يدع الإغواء في متناول يده فيتمكن من مقاومته. ثم انطلقت نحوها مجدداً. تشجع بانديني! قاتل حتى الحفرة الأخيرة! التفت بكل قوتي عن المجلات وتوجهت نحو الشقة

مباشرة. عند الباب نظرت إلى الوراء. كانت مرئية في الضباب.

رفعتني ساقان حزينتان على الدرج الذي يصدر صريراً. فتحت الباب وأضأت المصباح. كنت وحيداً. توهجت العزلة ولاطفت. لا. ليس في هذه الليلة الأخيرة. لأني الليلة أرحل مثل منتصر.

استلقيت، قفزت. استلقيت. قفزت. مشيت هنا وهناك باحثاً. في المطبخ، في غرفة النوم، حجرة الملابس. ذهبت إلى الباب وابتسمت. مشيت إلى المكتب، إلى النافذة. رفرفت النساء في الضباب. بحثت في الغرفة. هذه معركتك الأخيرة. أنت تكسب. واصل القتال.

لكن الآن كنت أسير نحو الباب. والآن الدرج. أنت تخسر، قاتل مثل إنسان-متفوق! ابتلعني الضباب المدمدم. ليس الليلة، بانديني. لا تكن مثل أحمق، رعاع. كن بطلاً في النزاع!

ومع ذلك كنت عائداً، المجلات في قبضتي. وهناك يزحف-ذلك الضعيف. سقط ثانية.

انظر إليه ينسل خلسة عبر الضباب مع نسائه الباردات. دوماً سينسل عبر الحياة مع نساء باردات من مجلات وكتب. عندما ينتهي سيجدونه، ومع ذلك في أرض الأحلام البيضاء تلك، يتلمس نفسه في الضباب باحثاً عن نفسه.

مأساة، سيدي. مأساة عظيمة. وجود مائع بغير عظام، سيدي. والجسد، سيدي. وجدناه على الواجهة البحرية. نعم، سيدي. اخترقت رصاصة القلب، سيدي. نعم، انتحار، سيدي. وماذا سنفعل بالجثة، سيدي؟ للعلم-فكرة جيدة، سيدي. مؤسسة روكفيلر، لا أقل. أراده على هذا النحو، سيدي. أمنيته الأرضية الأخيرة. كان عاشقاً عظيماً للعلم، سيدي-للعلم وللنساء

الباردات.

جلست على الأريكة وقلبت الصفحات. آه، النساء، النساء.

فجأة نقفت أصابعي.

فكرة!

رميت المجلات وهرعت باحثاً عن قلم. رواية! رواية جديدة! يا لها من فكرة! يا إلهي، يا لها من فكرة! فشلت الأولى، بالتأكيد. لكن ليس هذه. هنا كانت فكرة! في هذه الفكرة الجديدة لن يكون آرتورو بانديني ثرياً على نحو عظيم، بل فقيراً! لن يكون باحثاً في العالم على متن يخت ثمين عن نساء أحلامه. لا! بل على العكس من ذلك. ستبحث النساء عنه! واو! يا لها من فكرة! ستقدم المرأة السعادة، سترمز إليها، وسيكون آرتورو بانديني رمزاً لجميع الرجال. يا لها من فكرة!

بدأت الكتابة. لكن خلال بضع دقائق شعرت بالتقزز. غيرت ملابسي وحزمت حقيبة. احتجت إلى تغيير في الخلفية. كاتب عظيم احتاج إلى التنويع. عندما انتهيت من حزم الحقيبة جلست وكتبت مكتوباً وداعياً لأمي.

أيتها المرأة العزيزة التي منحتني الحياة:

مضايقات هذه الليلة القاسية واضطراباتها التي ستسوي نفسها فيما بعد إلى حالة تدفعني، آرتورو بانديني، لاتخاذ قرار عملاق هائل. أعلمك بهذا دون لبس. لذا أغادرك الآن وابنتك الساحرة أبداً (أختي الحبيبة مونا) وأنشد استثماراً رائعاً لمهنتي الأولية في عزلة عميقة. وكما يقال، أغادر الليلة إلى العاصمة نحو الشرق-لوس أنجلس، مدينة الملائكة. أستودعك سخاء أخيك الكريم، فرانك سكاربي، الذي كما تقول العبارة، رجل عائلة جيد (هكذا!). أنا مفلس لكني أطلب منك بكل وضوح أن تكفي عن قلقك

العقلي بشأن مصيري، لأنه حقاً يكمن في راحة الآلهة الخالدين. لقد قمت باستكشاف فاشل خلال سنوات أن عيشي معك ومع مونا مضر بغرض الأدب السري والراقي، وأكرر لك بوضوح بأني فنان، مبدع لا يشك به. وفي حد ذاتها، الانفجارات المترددة للفكر والذكاء تجد تمتعاً صغيراً في السيطرة المحرفة والفاسقة التي نسميها نحن البشر الفقراء، لنقص في مفردات أفضل وأكثر اقتضاباً، البيت. أمنحك بكل وضوح حبي ومباركتي، وأقسم بإخلاص، عندما أقول بكل وضوح إنني لا أسامحك فقط على ما وقع بحزن هذه الليلة، لكن على كل الليالي الأخرى. هكذا، أظن بكل وضوح بأنك ستردين بطريقة مشابهة. قد أقول في الختام بأن لدي الكثير لأشكرك عليه، أيتها المرأة التي تنفست نفس الحياة في عقل مصيري؟ نعم، هو، هو.

توقيع

آرتورو غابرييل بانديني

نزلت إلى المحطة وحقيبة في اليد. انتظرت قطار منتصف الليل الذاهب إلى لوس أنجلس عشر دقائق. جلست وبدأت أفكر في الرواية الجديدة.

الطريق إلى لوس أنجلس ستدهشك .هذا ما يتوجب على الروايات الجيدة أن تفعله .مزج فانتي الخيال مع الواقع، وهذا صحيح، لأن الواقع هو نصف الخيال بأية حال .هذا كتاب معقد، ولو أن أسلوبه ليس كذلك، وهو يستحق القراءة مراراً وتكراراً .يطرح في كل مرة مزيداً من الأسئلة .إنه صعب، مريح، مضحك، وحزين .سيجعلك غاضباً ومسروراً .وأكثر من أي شيء، هو كتاب صادق، وهذا نادر بل أكثر ندرة في هذه الأيام .الشخصيات ليست مثالية وما من أبطال إنها رواية صادقة حتى أن مخطوطتها رفضت في الثلاثينيات ولم تنشر حتى العام 1985 بعد سنتين من وفاة الكاتب .الطريق إلى لوس أنجلس كلاسيكية ضائعة، تم العثور عليها الآن وأعيد نشرها، السرور لائق اليوم كما كان عندما كتبت لأول مرة.


ISBN 978-9938-880-52-6

